عبد العاطي حامد



مغامرات صحفي في قاع المجتمع المصري

الطبعة الرابعة

قالوا عن
مغامرات صحفي ..



عبد العاطي حامد

● الصحفي الناجح لا يضع قلمه في يده فقط .. إنه يضع روحه على كفه أيضًا .. وبقدر ما تعطي الصحافة تعطيك .. وعبد العاطي حامد أعطى الصحافة كثيرًا ...

مصطفى أمين

● كتاب عبد العاطي حامد .. متعة وتسلية وموعظة ودعوة للإصلاح .. ثمرة لذيذة على شجرة الصحافة التي اسمها "البحث عن المتاعب" من أجل القضاء عليها ..!!

أنيس منصور

● يكاد عبد العاطي حامد أن يكون الصحفي المصري الوحيد الذي عاش مجموعة من التجارب كصحفي أولاً وكواحد من أبطال هذه التجارب .. برغم أنه بدأ حياته الصحفية مع بداية الستينات لكنه استطاع في هذا العمر القصير أن يثبت وجوده وأن يكون صحفيا لامعًا ..

سعيد سنبل

● إن هذا الكتاب يتضمن عملاً جديدًا في تاريخ الصحافة المصرية ولقد تخطفه القراء عند صدوره في طبعاته السابقة .. وهو نظرًا أن طريق "صاحبة الجلالة" ليس مفروشًا بالورود والرياحين ولكنه مفروش بالشوك والجمر والتضحية والمغامرات .. ومن هذا الباب دخل عبد العاطي حامد إلى طريق الصحافة ..

محمد فهمي عبد اللطيف

٢٧

مغامرات صحفى

فى قاع المجتمع المصرى

بقلم

عبد العاطى حامد

الطبعة الرابعة

•• الاخراج الفنى :

عاطف مصطفى

مجدى حجازى

•• الغلاف للفنان :

محمود مصطفى

كلمة

بقلم مصطفى أمين

وعدت صديقى وتلميذى عبدالعاطى حامد ان أكتب مقدمة كتابه « مغامرات صحفى فى قاع المجتمع المصرى » .

وفوجئت بشيء لم يحدث لى طوال حياتى ! عامل المصعد يذكرنى ان أكتب مقدمة عبد العاطى حامد ! ساعى مكتبى يقول لا تنس مقدمة عبد العاطى حامد ! سائق سيارة اخبار اليوم يستحلفنى أن أكتب مقدمة عبد العاطى حامد !

بل حدث أن سألنى متسول قرشا فى شارع طلعت حرب ، واعطيته القرش ، ووجدته يقول لى لا تنس ان تكتب مقدمة عبد العاطى حامد !

وذهلت لهذا الحصار العجيب . ولكن هذا هو عبد العاطى حامد الذى يحاصر اى شيء يخطر على باله ، حتى يحقق ما يريد !

وهذا الاصرار والاستمرار هو احد اسرار النجاح فى الصحافة ..

ولم أكن فى حاجة الى هذا الحصار والضغط المتواصل لاكتب مقدمة عبد العاطى حامد ، فان عبد العاطى واحد من تلاميذى الذين أستطاعوا أن يقتحموا الحصار ويصلوا الى ، وانا مقيد الحرية ومسجون ، الحراس يحيطون بى ، والضباط يراقبوننى ، والمخبرون يعدون على انفاسى ! والويل لمن يستطيع أن يقتحم الحصار ! ولكن عبد العاطى قفز كل هذه العوائق والموانع والقيود، واستطاع ان يصل الى فى سجنى !

وفوجئت به يعرض على ان يفعل من اجل ما تصــورت انه مستحيل !

وظننت ان عبد العاطى جن ، أو فقد عقله من صــدمة محنتى ! ولكنى فوجئت أكثر بانه صنع من أجل فعلا ما تصورت أنه مستحيل !

وقد تصورت ان عبد العاطى يبالغ ، او يعد بالمستحيل لارضائى فى سجنى ، ولكن بعــد ذلك تاكدت أنه فعل من أجل ما اعتقدت أنه مستحيل ، وخاصة فى ظروف المعاملة القاسية التى كانوا يعاملوننى بها ..

ان كثيرين من اصــدقائى وتلاميذى عرضوا من أجل حريتهم للخطــر ، وحيــاتهم للمهالك . ولم يكونوا يتصورون ابدا ان الفجر سيجئ بعــد الظلام ، وان الحرية ستطل بعد الطغيان .

وواجب الصحفى ان يقف دائما بجوار كل من يعتقد انه مظلوم ، وان يحتضن الخطر ، ولا يرهب اى قوة تقف فى طريق اعلان الحقيقة .

ولقد عاش عبــد العاطى مع المغامرات ، لانه آمن أن الخوف لا يصــنع الصحفى ، وانما الذى يصــنعه هو الجرأة والاقدام .

الصحفى الناجح لا يضــع قلمه فى يده فقط .. انه يضع روحه على كفه أيضا !

وبقدر ما تعطى الصحافة ، تعطيك !

وعبد العاطى حامد أعطى الصحافة كثيرا ..



مقدمة الطبعة الرابعة

عزيزى القارى،

كل سنة وانت طيب ..

لم يخطر ببالى ان كتاب مغامرات صحفى سيلاقى كل هذا النجاح، ولم يخطر ببالى أيضا أننى ساطبع الطبعة الرابعة من هذا الكتاب خصوصا أن الرقم الذى وزع منه ليس بالرقم البسيط اذ تعترف ادارة توزيع الاخبار أن مغامرات صحفى من أكبر الكتب بين سلسلة كتاب اليوم التى وزعت توزيعا كبيرا ، ولهذه الطبعة قصة ظريفة .. وهى ان جريدة لوس انجيلوس الامريكيـة وهى من أكبر الصحف الامريكية قد كتبت تحقيقا صحفيا عن كتاب مغامرات صحفى وذلك فى عددها الذى صدر فى يوم ٣ يوليو ١٩٧٨ . وقالت بين فقرات التحقيق « أن مغامرات صحفى يعتبر كتابا هاما يجب أن يترجم الى معظم دول العالم حيث أن صـــاحبه قام بمغامرات عديدة وعرض حياته للموت وانه بحق مغامرة فى القاع يجب أن تظهر الى السطح » وجاء الى اكثر من طالب فى الجامعة الامريكية ، والجامعات المصرية يطلبون نسخة من كتاب مغامرات صـــحفى حيث أن ادارة توزيع الاخبار ، التى طبعت هذا الكتاب ليس عندها اى نسخة ، وكان ردى عليهم انه لا يوجد عندى انا اى نسخة .. وكان رد احد الطلبة على لماذا لا تطبع الكتاب . لماذا تطمس تاريخك وعملك بهذا الشكل .. وفعلا فكرت ان اطبع الكتاب لاول مرة على نفقتى الخاصة . ومنذ مارس الماضى وانا افكر فى اعادة طبع الكتاب . وقررت بالفعل ان اطبع الكتاب فى ديســـمبر واتفقت مع مطابع الاخبار . ثم تاجل الموعد الى اول يناير . ثم اول فبراير . وتفاءلت فاننى احب شهر فبراير وهو احب شهور السنة الى قلبى ففيه حدثت مناسبات اعتز

بها وفيه أيضا فكرت في عمل كتاب مغامرات صحفي لأول مرة ٠ لذلك ، صممت على ان يكون موعد الصدور في أول فبراير ٠ فهو شهر الامل والعمل والتفاؤل بالنسبة لى وأرجو ان يكون ذلك دائما٠

وانا استعد للطبعة الرابعة تذكرت ما حدث عندما بدأت فى عمل هذه المغامرات التى ضمنتها هذا الكتاب ٠ فقد حدث انه عندما انتهيت من عملى فى مغامرة « خدام فى البيوت » ونشرتها فى مجلة الجيل ٠ ان ثار بعض الزملاء الصحفيين وهددوا برفع الامر الى نقابة الصحفيين لفصلى اذ كيف يعمل صحفى عضو فى نقابة الصحفيين كخادم فى البيوت ٠ وعندما وصلت الى مبنى النقابة وقتها ثار فى وجهى بعض الزملاء وسبونى ٠ ويومها عدت الى مكتبى باخبار اليوم وانا فى حالة سيئة ٠ ولكن زال هذا بعد موقف لا انساه من أستاذى المرحوم على أمين فقد دخلت اليه أشكو له ما حدث لى من سب وتهجم على فى النقابة فقال لى وهو يصافحنى « مبروك لقد نجحت » وعندما وجدنى اندهش من تصرفه قال لى رحمه الله ٠٠ لا تتعجب ٠٠ فان النـاس لا تهاجم الفاشلين ٠ فالفشـــل مصيره السكوت والنجـــاح ثمنه الهجوم واخبار اليوم التى تعمل فيها ويعمل بها الآن اكثر من الف موظف بنيت من ضرب الطوب الذى القاه علينا اعـداؤها ٠ فاذا رماك الحاقدون بالطوب فلا تنظر اليهم ولا تضيع وقتك فى الكلام معهم ٠٠ بل خذ هذا الطوب وحول هدمهم الى بناء وكلامهم الى عمل وحقدهم الى حب ٠٠ واذا سمعت كلامى فانك ستكون صحفيا لامعا ٠٠ ويكون لك مستقبل كبير ٠٠ وان مغامراتك الصحفية ستصبح كتابا يدرس فى الجامعة ، ويتخاطفه آلاف المؤلفين والقراء » ٠٠

رحم الله على أمين فان ما قاله قد تحقق ٠٠ فقد كانت مغامرات صحفى سؤالا فى امتحان الليسانس بقسم الصحافة عام ١٩٧٣ ٠٠ وطبع مغامرات صحفى أربع مرات وكتبت عنه جريدة لوس انجيلوس تايمز الامريكية اكثر من مرة وكذلك صحيفة دير شبيجيل الالمانية وجريدة الهيرالد تريبيون والســانداى تايمز الانجليزية ٠٠ هذا بخلاف الكتاب العرب والمصريين ٠٠

عرفنا من محاضرة الأستاذ عبد العاطى حامد أن محرر الشئون الداخلية لكى يؤدى واجبه كاملا وبنجاح قد يعرض حياته للخطر مثله فى ذلك مثل المحرر العسكرى فى جبهات القتال تتبع على تحقيق صحفى عسكرى وآخر اجتماعى مبينا ما قد يعترض جمع مادتهما من أخطار بالرغم من إختلاف هذه هذه المصادر وما هى أسس تحريرهما مبينا أوجه اختلاف هذه الأخطار ان وجدت ..

سؤال عن « مغامرات صحفى » فى امتحان الليسانس بقسم صحافة

وكان ثمن هذا النجاح العرق والدموع ففى أثناء تنكرى كخادم فى البيوت تعرضت للذل والهوان وأثناء تنكرى كمتسول كاد المعلم هيمو كبير الشحاتين أن يقطع رجلى ويدى ويشوهنى .. وكادت المعلمة وعصابتها أن تقتلنى عندما شكت فى أمرى وأثناء تنكرى فى العصابة التى تراسها هى وكانت تخطف الاطفال .. وكان شوطا كبيرا مع المعلمة التى حكم عليها بالسجن ٢٥ عاما بعد ان كتبت عنها .. أما فى أثناء تنكرى كعامل تراحيـــل فقد اخــذت بلهارسيا وانكلستوما أثناء عملى وأثناء تناولى الماء من الترعة ومازلت اعالج منهما الى الآن .. وقد تسرب البرد الى جسمى والى عظامى من سجن ليمان طرة عندما كنت متنكرا فيه كمســجون وكان كل موضوع يترك ذكرى فى جسمى .. ورغم كل هذا نسيت آثار الضرب والتعذيب الموجودة في جسمى والتى أصبحت ثمرة حفرت عليه وقائع للذكرى .. وكان كل هذا يهون بجانب ما تعرضت له من الضغط والارهاب والفصل أكثر من مرة والدخول الى السجن الحربى والتطاول الذى حدث على بأفظع الالفاظ من بعض المسئولين فى الدولة الذين كانوا يتولون أكبر المناصب فى ذلك الوقت الذين تصوروا انهم يستطيعون بسهولة القضاء على واحالتى الى المحاكمة وادخالى السجن ومحو اسمى من الصحافة بل من الوجود نهائيا .

وقد حققت معى السلطات أكثر من مرة على ما كتبته من تحقيقات والحمد لله ظهر أن كل ماكتبته حقيقة بل اقل من الحقيقة .. ولقد

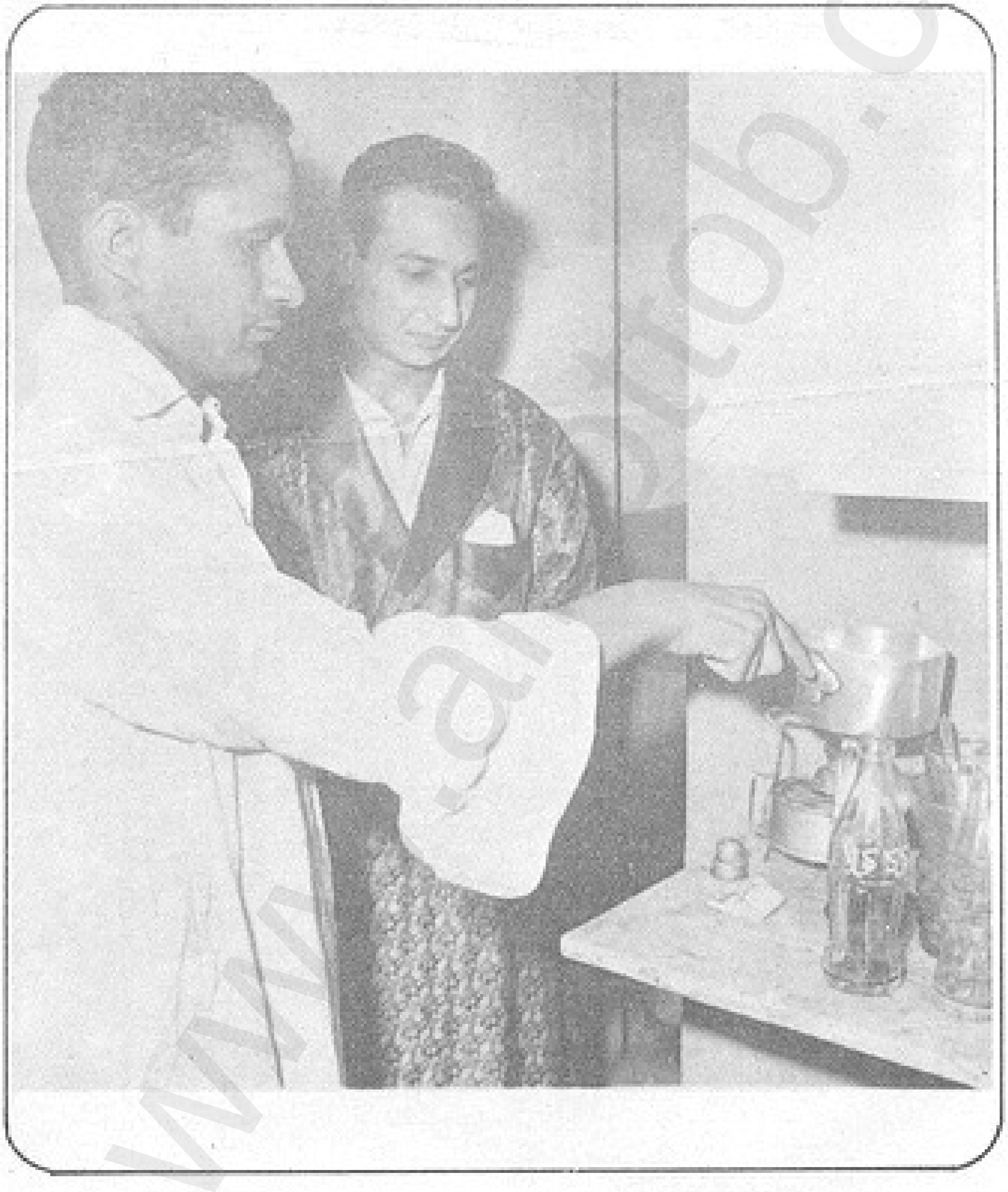
قدمت الدليل بالكلمة والصورة على كل ما كتبت .. وكنت أؤمن دائما بأن الصحفى الناجح هو محامى الشعب ، وكلما نجح المحامى فى عرض قضيته ، كسب القضـــية ، كذلك كلما نجح الصحفى فى عرض مايكتب ، استطاع التأثير لضرورة حل هذه القضية فقد ظهرت براءتى وصدقى فى كل التحقيقات التى اجراها المسئولون فى ذلك الوقت بل ظهر أن كل ما كتبته ما هو الا جزء قليل مما شاهدت ومما تعرضت له ..

وكان عزائى من هذا أنه حدثت تغيرات هـــامة بعد كل تحقيق نشرته ومع كل تحقيق تنكرى قمت به كانت تحـــركنى الى تنفيذه دوافع اصلاح معينة يعانى منها مجتمعنا ويجب أن تمتد اليه يد الاصلاح .. وفعلا كانت تمتد يد الاصلاح .. وكان هذا الكتاب الذى بين يديك الآن هو ثمرة النجاح .. !!

عبد العاطى حامد

فبراير ١٩٨٠

أيام خدمة في البيوت!



ما الذي يجري في مكاتب الخدم ؟

ما الذي يجري داخل البيوت ؟؟
لقد دخلت اول تجربة لحل مشكلة خطيرة تهدد فئة من مجتمعنا تبحث عن حل .. لقد قمت بهذه التجربة وعشتها على اعصابي ورأيت فيها الكثير وكتبت هذا التحقيق الاول من نوعه .. والذي استجابت على اثره الدولة ونظمت مهنة الخدم واستبدلت كلمة خـدام التي شكوت منها .. واصبح الاسم الرسمي « للخدام » .. « الشغال » ولاول مرة اصبح للخدامين نقابة تدافع عنهم وعن حقوقهم وعن كرامتهم ايضا .

أنا عبد العاطي عبد الصبور .. عمري ١٨ سنة .. من بلدة ميت الموز بالمنوفية .. كنت باشتغل فلاح .. ولكنني زعلت مع أخويا « زينهم » فقررت أن أترك الفلاحة وأروح أشتغل خـدام عند أي واحد في مصر أم الدنيا . وعرفني أحد الناس الطيبين مكتبك .. ووصفه لي .. وبعد ماتهت كتير عرفت عنوانك .

(كان هذا الكلام بيني وبين أحد أصحاب مكاتب التخديم في القلعة) وبعد أن نظر الى نظرة كلها اشمئزاز قال لي :

ــ هيه وانت معاك بطاقة شخصية ؟

فأجبته : والله أنا نسيتها في البلد .

ــ طيب وازاي يابني تمشي من غير بطاقة . البوليس يقبض عليك .. أسـمع أنا حاقولك حاجة تروح دلوقتي لقسم الدرب الاحمر .. وتقول لهم أنا عاوز أطلع رخصة خدام .. بس لازم تطلع بطاقة شخصية .

وسألته والطريقة ازاي ؟

فأجاب : تجيب صورتين تتصورهم عند أي واحد وتدفع سبعة وثلاثين قرش وترجع تعمل الفيش والتشبيه وبعد ٣ أيام تاخـد الرخصة . وبعدين تيجي لي . والمكاتب موجودة كتير .

●●●

وفي هذه اللحظة سمعت خلف حاجز الخشب الموجود في الدكان .. أصوات نساء ورجال فنظرت تجاهها . فلفت نظري بصوته الاجش :

ــ انت واقف مستني ايه ؟



كأى شغال فى البيوت نزلت لاشترى الخضار فوضعت السلة فى يدى ، وفى اليد الاخـــرى حملت طبق القوطة واحاول أن انقيهـــا جيـــدا خوفا من أن تســـبنى الست !!

فقلت له بارتباك : هو فين يا عم قسم الدرب الاحمر • واركب له ازاى •

وفى هذه اللحظة دخلت امرأة عمرها حوالى الثلاثين •• وفهمت من كلامها أنها تبحث هى الاخرى عن عمل •• وبعد أن انتهى معها نظر الى وقال : انت أول مرة تيجى مصر ؟ دانت باين عليك خام قوى ؟ وقاطعته السيدة •• وقالت : معلهش يا معلم بكره يدردح •• وتكلم فى هذه المرة بحدة :

ـ شوف أمش وأسأل مش حاتوه •• ولا تتوه يا أخى أنت خايف على نفسك •• انت حتكون أحسن من مين ؟! امش أنا مش فاضيلك أما تجيب الرخصة أبقى تعالى ••

●●●

ووقفت امامى عقبة هى كيف أحضر بطاقتى الشخصية أو أغيرها • اننى لابد أن أنتهى بسرعة وبعد أن سألت على مخدم آخر دلونى على مخدم فى المبتديان بالسيدة زينب •• وذهبت الى هناك والمكتب فيه سعاة •• ووكلاء وموظفون •• أما رئيس المكتب •• فهو فى سن الخامسة والخمسين وأمامه الاوراق مكدسة • النظارة تتدلى من عينيه على أنفه •• وفى المكتب سيدتان بدينتان وقالت لى احداهما التى فهمت فيما بعد أنها زوجة رئيس المكتب :

ـ أنت داخل هاجم كده ليه ماتستنى بره ورد عليها رئيس المكتب ووجه كلامه الى وهو يقول : أنا مش قلت لك استنى بره هو أنت ماعندكش ذوق ؟

وردت عليه الست :

ـ دا مش هو ده •• دالتانى أسمر •• دا باين عليه زبون جديد؟

ونادى الرجل : يا عبد العظيم •

وحضر اليه شاب نحيف برونزى الشكل فقال له : شوف أخوك •• فهمه ازاى الشغل •

وبعد أن تأكد عبد العظيم أننى حاضر بالفعل لكى أشتغل خادما •• قادنى الى وكيل المكتب أحمد أفندى •• لانه ممنوع مقابلة رئيس المكتب (سى ابراهيم) •

●●●

وأحمد افندى هذا •• رجل يرتدى جاكيت أو بالطو لا أعرف • وحدجنى بنظرة غريبـــة من فوق الى تحت وقال : انت يا بنى اشتغلت قبل كده ؟

فقلت له : والله يا سيدى أنا لسة جاى من الارياف •

ـ يعني طفشان ؟
ـ لا والله يا سيدى أنا زعلت مع أخويا وقلت له لازم أروح مصر « أم الدنيا » .
وأكملت له بقية القصة .
ـ بقى أنا أخوك أحمد نصر وكيل الشيخ ابراهيم . وده محمد محمد جبريل لسه منتظر شغل .. هيه ؟ وناوى تشتغل بكام .. مش كفاية ٨٠ قرش أو جنيه فى الشهر كفاية عليك وتاكل وتشرب وتنام وتتاوى .. بدلا من أن يقبض عليك البوليس ..
قلت له : أى حاجة يا سيدى .. المهم أتاوى .. وبعد ذلك مال على وهمس فى أذنى وقال : اســـمع حاقولك حاجة .. أنا حاشغلك بجنيه وحاديلك ٨٠ قرش بس أنا اللى حاقبض من اللى حاتشتغل عندهم المهم ما تعرفش المعلم باى حاجة أحسن يعدين يطردك ومافيش حـــد يشغلك تانى .. والفلوس الباقية حابقى أشيلهالك .
وسألته : دا المعلم باين عليه « شرس » .
فأجاب بسرعة : آه .. شرس .. هو أنت تقرا وتكتب . قولى بصراحة .
ـ لا والله أنا طلعت من تانية ابتدائى وبعده كده على الغيط ومن الغيط على هنا عدل .. !!
ـ طيب وانت ساكن فين دلوقتى ؟
ـ أنا قاعد مع واحد قريبى فى الشرابية .. وأنا جاى من هناك قلت أزور السيدة زينب وأسأل على مكتب التخديم .. يمكن الاقى شغلة ؟
ـ طيب دا أنت حظك من السما اللى وقعت فى ايدى . المهم وانت جاى تجيب معاك حق الدخان يعنى تجيب علبة دخان معسل .. أو تجيب حقها .. أنت حر .. خليك واد حرك .
ـ والله أنا يا سيدى مامعيش فلوس .
وهنا رد الجالس بجانبه : أما أنت البعيد ماعندكش نظر .. مش برضه تشوف المعلم .. وهو حيقوم باللازم .. امال عاوز تاكلها بيضة مقشرة .
ورد المعلم أو الوكيل : شوف يا بنى أنا عارف طريق أشغلك فيه .. تاخد فلوس وتعيش كويس .. بس المهم البطاقة الشخصية .
ـ والله يا معلم .. أنا مامعيش بطاقة نسيتها فى البلد .
فقال : لا ، كده كوم والبطاقة أو الرخصة كوم . صحيح أنت باين عليك ابن حلال .. لكن الواحد ما يضمنش ظروفه . واذا

المعلم الكبير عرف حايكشر فى وشك .. فالاحسن تروح تتصور .. وتطلع الرخصة .. وتشوف البطاقة .. ابعت هاتها من البلد معلهش وأنا موجود هنا كل يوم .. بس ماتنساش اللى قلت لك عليه .. حق الدخان .. أنا فى انتظارك .. وتقوم بقى مع السلامة أحسن المعلم يسلمك للبوليس .

● ● ●

وفى اليوم التالى ذهبت الى الشيخ ابراهيم فوجدت معه أربع سيدات وكلهن زوجات سى ابراهيم .. فهو رجل صاحب مزاج ويحب الزواج والطلاق من الخادمات طبعا .. ونظرت الى احداهن وهى بيضاء بدينة .

فقالت : هيه .. عملت ؟ طلعت الفيش والتشبيه .. والا لأ ؟

فأجبتها : والله يا ستى أنا أديت الفلوس لابن عمى علشان يطلع الفيش والتشبيه .

وسألتنى : واديته كام ؟ ..

ـ والله ٢٥ قرش ..

فقالت بحدة : آه يا كداب يا لئيم دا الفيش والرخصة بـ ٣٧٫٥ قرش . يبقى ازاى اديته .. أوعى تقعد هنا الا أما تجيب الوصل . قوم فز من هنا . روح هات الوصل وتعالى .. وسمعت صوت المرأة الاخرى يسرسع من الداخل .. وتقول :

ـ الواد ده .. شكله كده ليه .. امشى ياواد انجر .. روح هات الوصل .. وابقى تعالى بعد ساعة . قابل المعلم أوعى تيجى من غير الوصل أحسن نوديك القسم .

● ● ●

وبعد ساعة .. رجعت لهم بعد أن وجدت وصلا قديما من محكمة شبرا من سنة ١٩٥٩ باسم عيشة حسن .. وضيعت معالمه بالاستيكة وفى هذه المرة .. وجدت المعلم يقف أمام المكتب ومن حوله وكيله محمد أفندى ووكيل محمد أفندى عبد العظيم كما يطلقون عليهم . وعبد العظيم منتظر رهن الاشارة .. كذلك يقف شخص عجوز أسمه عم صابر لم أره من قبل .

ووقفت أمام ابراهيم أفندى وقلت له :

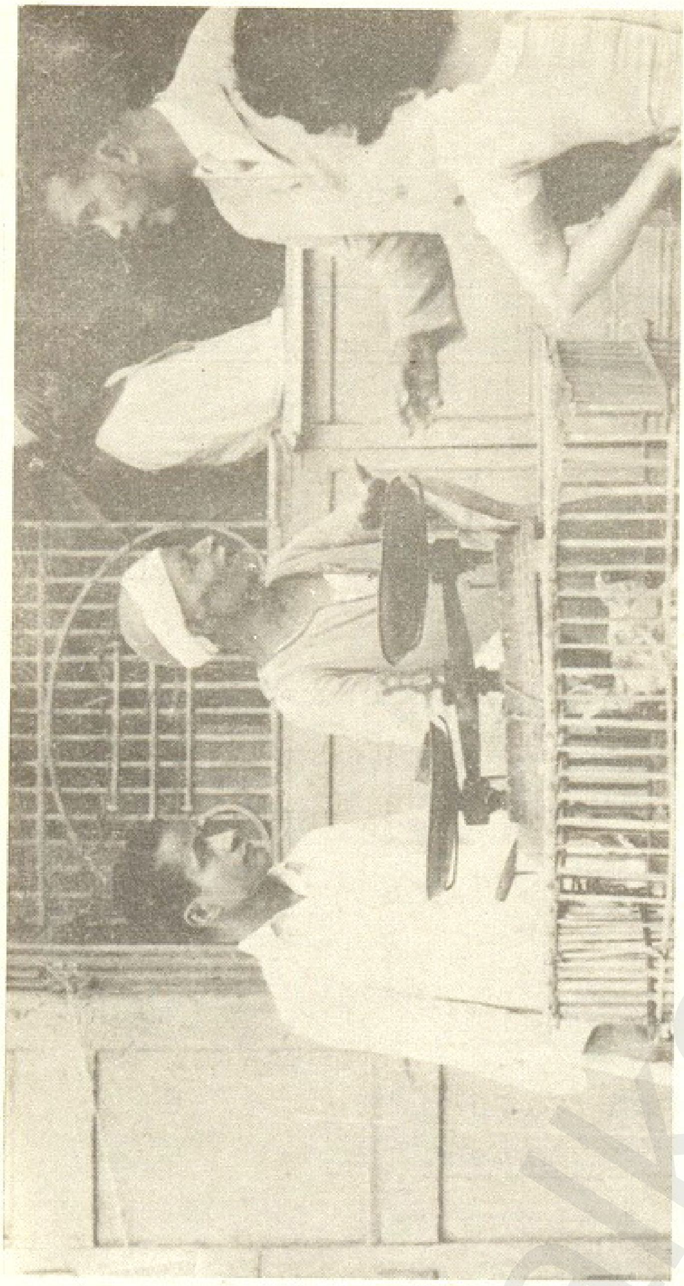
ياسى ابراهيم (وشاور لى بكل احتقار على وكيله أحمد) ..

وذهبت الى أحمد وقال لى : هيه عملت ايه فأعطيته الوصل وأعطاه هو الآخر بدوره الى سى ابراهيم .. ولقبته بهذا اللقب لانه يزعل عندما لا يناديه أى شخص خلاف هذا .. ونظر الى المعلم نظرة كلها احتقار واشمئزاز مملوءة بغضب وقال :

ـ هيه عملت ايه ياواد ..
ونظر الى الوصل الذى أعطاه له أحمد .. أنت عامل حدق وجاى تضحك علينا ياواد يا مفعوص يالى لسة جاى من ورا البهيمة جايب وصل بأنك ساقط القيد .. دا اللى تقول عليه موسى يطلع فرعون انت باين عليك حرامى .. نشال .. أمال اذا كنت ساقط القيد .. يبقى جابر ايه بقى (جابر خادم عجوز) دانت لسة صغير .. المهم لازم تجيب وصل بأنك مش ساقط القيد ولا حاجة .. انت حر امشى انجر .. (وفى هذه اللحظة تدخل أحمد وكيل الشيخ ابراهيم ونظر الى لانى وعدته بحق الدخان) وقال :

ـ والنبى يا معلم علشان خاطرى .. شغله .. ولا رخصة ولا غيره .. وفى ضمانتى أننا .. هو عاوز ياكل ويشرب .. بس .. وان كان ٥٠ قرش مصاريفه بس يبقى زى بعضه .. لازم برضه يكون عندنا رأفة ..

ونظر الى المعلم نظرة غريبة بعد أن كان يدفعنى بيده وقال: وبعدين يا أحمد .. قلبك رق تانى .. على العموم .. أنا خالى من المسئولية دى .. وانت اتصرف معاه .. بس اذا حصل حاجة يبقى أناخالى المسئولية.



كان من ضمن عمل الخادم شراء اللحوم والطيور وغسيل الأطباق وتقشير البصل .. وكانت الدموع تنهمر من عينى من التعب ومن البصل أيضا

وهمس أحمد فى أذنه ببضع كلمات لم أفهمها ٠٠ ونظر الى وقال : فوت ياواد العصر ٠٠ بس تعالى بدرى شوية ٠

وانصرفت من عندهم وانا أفكر ٠٠ هذا هو مصير أى خادم يتردد على مكتب الخدم ٠٠ وفى تمام الساعة الثالثة ذهبت الى هناك وجدت أحمد فى انتظارى بدون المعلم الذى علمت أنه يوزع وقته بين نسائه الاربع ٠٠ وتعجبت لماذا يتزوج هذا الكهل أربع نساء مرة واحدة ٠٠ وكيف يتصرف معهن ٠٠ واستقبلنى أحمد فى هذه المرة ببشاشة لم أتعودها من قبل وقال :

ــ معاك كام من الفلوس ٠٠ شوف يا عم انت كنت حتغرم فى الرخصة أد ايه مش حكاية ٥٠ قرش وماكنتش عارف أنك حاتشتغل واللا ايه ٠٠ المهم لا يمنى على الفلوس ٠٠ حق الدخان زى ما اتفقنا ٠

وأخذت افتش فى جيوبى واعطيته ٢٥ قرشا فنظر الى بغيظ وقال: دى بس ٠٠ بقى أنا سودت وشى مع المعلم وحشقلك دلوقتى وتدينى ٢٥ قرشا روح يابنى أما تجيب الفيش والرخصة أبقى تعالى ٠

فقلت له : والنبى ياسى أحمد ٠٠ حابقى اديك نصف الماهيــة بس اما أشتغل ٠٠ انت عارف أنا مقدر جميلك ٠٠ والنبى معلهش النوبة دى ٠

وأجابنى أحمد : يا سلام لو ماكانش الواحد قلبه أبيض ويبرق بسرعة ٠٠ بس شوف أنا ليه نصف الماهية زى ما اتفقنا ٠٠ ادينى الفلوس ٠٠ خش استنى مع العيال اللى جوه ٠

ودخلت وراء الحاجز الخشبى فى انتظــار أوامر أحمد أفندى فوجدت ٣ بنات أعمارهن متقاربة صـغراهن فى حوالى السادسة عشرة وكبراهن فى حــوالى العشرين وسيدتين كبيرتين فى السن فى جانب الحجرة وفى الجــانب الآخـر رجـــلا عجوزا وشابا ٠٠ ووجدت انظارهن جميعا مصوبة الى ٠٠ ومــرت فترة صمت كبيرة قطعها أحدهم بقوله :

ــ انت عملت الرخصــة وللا لا ياعبده ٠٠ وذعـــرت من يكون هذا ٠٠ ونظرت اليــه بامعــان وتذكرت اننى رأيته ٠٠ عند المعلم ٠٠ وأجبته :

ــ أيوه وهى مع المعلم ٠

فرد على قائلا : انت مش عــارفنى واللا ايه ٠٠ أنا محمـــد جبريل اللى كنت قابلتك أول يوم ٠

فقلت : أهلا وسهلا ٠٠ وانت جيت امتى ٠

فأجاب : أصل أنا حاشتغل طباخ .. خلاص يمكن أروح للراجل اللي حاشتغل عنده (وأشار بيده الى الرجل الآخر وقال) دا عمك مدبولي .. راجل طباخ ماهر .. بس الزمن هو اللي غدار .. كل ما يشتغل عند واحد اذا كان موظف ينقل أو البيت اللي يشتغل فيه يحصل له كارثة يعني بالعربي وش شؤم .

ورد عليه مدبولي : يا شيخ ماتقولش الكلام ده .. أعوذ بالله بس هو النصيب وربنا بكرة يعدلها بس الاولاد عازين مصاريف .. وأنا طباخ ماليش حظ .

وقاطعه محمد : وأولادك بياكلوا منين ؟

فأجاب : من أولاد الحلال .

وفي هذه اللحظة دخلت زبونة جديدة . ومعنى دخول الزبون هو الرضاء التام من سي ابراهيم رئيس الخدم .. والزبونة .. فتاة متوسطة الجمال في الثالثة والعشرين من العمر .. جلست صامتة . وبعد قليل قطعت صمتها أم السعد وهي أحدى السيدات كبيرات السن اللاتي كن موجودات في الحجرة أو حاجز الخدم كما يطلقون عليه وقالت لها :

ـ الشابة جاية تشتغل .. فردت عليها .. أيوه وبعد أسئلة كثيرة من أم السعد بدأت تحكي حكايتها .

اسمها « نفيدة » كان والدها تاجرا كبيرا في احدى قرى الصعيد وجرت بين أسرتها وأسرة أخرى معارك كبيرة .. فقد فيها والدها وأخوتها وأبناء عمها .. ولم يبق سوى أخيها الصغير (عمر) فأخذته مع والدتها وفروا الى القاهرة . واشتغلت والدتها خادمة في أحد البيوت أما عمر فقد ذهب الى المدرسة .. الكل يريد أن يعمل .. واشتغلت في منزل قبل ذلك ولكنها تركته لانها لم تسترح فيه .. وأصحابه اتهموها بالسرقة .. وخرجت وكانت تود أن تعود .. ولكنها عرفت انه ليس لها أمان .. ولذلك تركتهم وجاءت الى ابراهيم الذى شغلها عندهم .

في هذه اللحظة سمعت صوتا من الخارج ينادي :

ـ والله يا معلمة مافيش غير اتنين بس .

الواد بتاع امبارح .. والبنت اللي قال عليها المعلم .. ولسه أما تشوف المعلم حيعمل ايه .

وبعد ذلك أطلت امرأة بيضاء سمينة .. عرفت من أم السعد ان اسمها (ست الكل) زوجة المعلم نمرة ٤ وهي في سن

الثلاثين في صدرها عقد من الذهب ٠٠ كانت زميلة لام السعد فى الخدمة والمعلم تزوجها ٠٠ وهى ساذجة وضحك عليها وسمعت صوت المعلم ٠٠ وهو صوت فيه خنافة ٠٠ وهو يقول :

ـ يا أحمد أفندى ٠

وبعد خمس دقائق عاد أحمد أفندى وطلب محمد جبريل ٠٠ لقد جاء له الفرج ٠٠ اشتغل عند جماعة من الزمالك ٠٠ متريشين ٠٠ مرتبه ٥ر٤ جنيه فى الشهر ٠٠ خلاف أكله ونومه ٠٠ وذلك لخبرته كطباخ وخادم فى نفس الوقت ٠٠ انما مرتبه الحقيقى فهو ١٥ر١ جنيه والمعلم يحتفظ لنفسه بثلاثة جنيهات من مرتبه شهريا بحجة انه يحفظها له٠٠عندما يحتاج اليهوالا يفصلهمن نقابة الخدامين التى هو عضو مجلس ادارة فيها ويدعى عليه اشياء كثيرة ٠٠ واذا لم يفعل ذلك فكيف يستطيع أن يوكل عشرة افراد و٤ زوجات وخمسة أولاد وهو عاشرهم ٠

زعلت لان محمد جبريل كان صديقى الوحيد ٠٠ ولكن سمعت المعلم يقول : الواد بتاع امبارح هاته راخر ٠٠

وفتح الباب أحمد أفندى وطلبنى ٠٠ وأنا خارج شيعتنى نظرات الموجودين فى الحجرة ٠٠ كما شيعت من قبلى محمد جبريل ٠٠ وذهب محمد مع شخص غريب ٠٠ وأنا تولانى أحمد وأخذنى معه ٠٠ وركبنا الاتوبيس ولم أشعر الا وأنا فى الجيزة ٠

المنزل نصف عمر ٠٠ ثلاثة أدوار ٠٠ يقع فى حارة عبد اللطيف بالجيزة وطلعت معه فى الدور الثانى ٠٠ وفتح شخص فى سن الخمسة والاربعين الباب ٠٠ وسلم على أحمد أفندى ٠٠ وأخذه على حجرة الجلوس بينما انا واقف أنتظر ٠٠ ولم يسمح لى بالجلوس ٠٠ وقال له الواد جبته أهو ٠٠ انما واد لسه خام ٠٠ ولا يعرفش سرقة ولا طفشان ٠٠ واستأذن منه (سيدى) وأطلق عليه سيدى لانى من هذه اللحظة خادم عنده ٠٠ كنت خائفا ٠٠ خالجنى شعور غريب ٠٠ وصحوت من تفكيرى على صوت أحمد أفندى وهو ينادى على فذهبت اليه وأخذ يتلو على النصائح :

ـ اوعى لسيدك ٠٠ شوف طلباته ٠٠ طاوع أوامره ٠٠ خلى بالك من أسيادك الصغيرين ٠٠ واستأذن بعد أن وضع فى جيبه النقود التى أعطاها له سيدى : وجاءت سيدتى وهى امرأة فى الخامسة والثلاثين من عمرها ٠٠ بدينة لاتستطيع تحريك جسمها ٠٠ ونادت على وقالت :



أثناء دخول مكتب الخدم لاعمل في بيت جديد ..وذلك
بعد أن تركت المنزل الذي كنت أعمل فيه ..



كان غسيل الاطباق يأخذ اكبر وقت مني خصوصا لأن الست
كانت تطلب مني غسيل الاطباق اكثر من مرة !!

ـ انت اسمك ايه ؟

أجبتها : عبد العاطي عبد الصبور ٠

ـ ايه ؟ ٠٠

ورددت اسمي ثلاث مرات ٠

ثم قالت : انت اسمك عبده بس ٠٠ فاهم ٠٠ عبده بس ٠٠ امشي بقى روح استحمى وطلع الجرب اللي في جسمك ٠٠ وغير وبعدين تعالى ٠٠ ماتنساش تطلع الوساخة اللي في ملابسك ٠

وفي هذه اللحظة شككت في نفسي ٠٠ هل صحيح أنا وسخ أو هذه عبارة تقليدية ٠٠ ودخلت الحمام ٠٠ فأنا لوني أسمر ٠٠ أمي من المنوفية ٠٠ وأبي صعيدي ؟؟ هل سيتحقق لها أن اتحول الى أبيض اللون مرة واحدة أظن هـذا غير معقول ٠٠ انما هي نغمة عند كل سيدة يبتدى يشتغل عندها خادم جديد ٠

أمرتني سيدتي بأن أساعد « أم علي » الغسالة في نشر الغسيل لانها ولية كبيرة ومش قادرة ٠٠ وخرجت وأخذت « المصفى » مملوءة بالملابس ونشرتها في البلكونة وأنا ليس عندي خبرة بنشر الملابس ٠٠ فعلقت البيجامة من رجلها وملاية السرير لم أستطع نشرها كويس ٠٠ والفانلات (كلفتهم) ووضعت عليهـا المشابك ٠٠ وجاءت أم علي وصلحت الغسيل بدون أن تقول لسيدتي ودخلت الى الشـقة فوجدت « ستي الصغيرة » وهي زوجة ابن صاحب المنزل تأمرني بشراء بطاطس وطمـاطم و « جوز فراخ » ٠٠ واشتريت الخضار ورجعت الى المنزل ٠٠ ووجدت سيدتي في المطبخ ٠٠ وأمرتني بأن أقشر لها البصل واغسل لها الاطباق فقط ٠٠ تمرنت على هذا ما يقرب من الساعتين وهي عملية صعبة جدا ٠٠ وتنظر الى ستي بين لحظة وأخرى ٠٠ لاني خايب ٠٠ ولا أعرف تقشير البصل ٠٠ وبدأت الدموع تنزل من عيني ٠٠ وظللت على هذا الى أن انتهى الطبخ ٠

وجاء موعد الغداء ٠٠ وأخذت الاطبـاق وبدأت أعد المائدة وانتظرت الى أن أكل أسيادي ٠٠ ثم أكلت أنا فضلاتهم وعرفت أن مهنة الخدم صعبة ٠٠ وهي مهنة تؤلم النفس أحيـانا ويصعب على الانسان نفسه في كثير من الظروف ٠٠ وافتكرت كلام «أم السعد» لاني نمت على البلاط ٠ وقلت لسيدي انني لا أجيـد أي شيء واريد الذهاب الى المخدماتي لكي يرسلني الى أهـلي في الريف وتصنعت الزعل ٠٠ وعند العصر ٠٠ ذهب معي سيدي لآخر مرة

الى المخدماتي وقابل أحمد وقال له : باين عليـــه مش حيعمر ٠٠ وبصراحة الـــواد كبير كمان ٠٠ وانا أخـــاف على البيت منه ٠٠ شوف لنا واد صغير أحسن ٠٠ وقابلني « أحمد » هذه المرة بوجه عابس جدا ٠٠ وقال لى :

ــ روح بات عند أهلك وتعالى الصبح ٠

وذهبت اليه في الصباح ولم يسمح لى بان أدخل حجرة الانتظار هذه المرة وقال لى : فوت الصبح بس تعالى الساعة التاسعة وفى الموعد المحدد حضرت له ٠٠ فأشار على أن أحضر بعد الظهـــر بعد أن أحضر معى ٢٥ قرشـــا وأدركت أن أحمد افنـــدي يعاقبنى ٠ وحضرت ومعى النقود الذى طلبهـــــا ٠٠ واصطحبنى الى محطة الاتوبيس ولم أشعر الا وأنا فى ميدان العباسية بشارع أبو خوده فى الدور السادس ٠

وامام شقة معلق عليهـــا بطاقة مكتوب عليهـــا فؤاد ٠ ف شركة مصر للطيران قـــرع الجرس وخرج شـــاب أنيق بالروب دي شامبر ٠٠ وسلم على أحمد وبعد دقـــائق فى حجـــرة الجلوس قبض المعلم وشرب كوب الشاى وسلمنى الى « ســـيدى » وعرفه باسمى « عبـــده » وعرفت اننى سأشتغل مع مهنـــدس في الطيران ومتزوج من دكتورة فى قصر العينى ٠٠ وعنده خـــادمة (زميلة لى) اسمها سيدة وهى طفلة صغيرة وبعد أن تلا على ســـيدى النصـــائح دق الجـــرس ٠٠ فأمرنى بأن أفتح الباب ٠٠ وفتحته ووجدت أمامى سيدة أنيقة تدخل بدون استئذان وعرفت أنهـــا « المدام » واخذت تنظر الى وقالت : انت لازم الخـــدام الجـــديد مش كده ؟

قلت لها : أيوه يا ستى ٠٠ ودخلت الى مكاني فى المطبخ ٠٠ وبعد ذلك طلبنى ســـيدى وعرفنى بستى ٠٠ وأفهمنى أمامها أن أصل عملى هو المسح والكنس وتقضية الطلبات ٠٠ وبدأت أشتغل وأنا فى أشد الغيظ ولا يوجـــد راحة من ســـيدى ولا ستى لقـــد ظنوا أنهم اشترونى ٠٠ أو فى اعتقادهم أن الخـــادم الجديد لابد أن يشوف العين الحمرة ٠٠ أما الاكل فى هذه المرة فكان نظيفـــا نوعا ما ٠٠ كنت أشارك سيدة أكلها ٠٠ فى طبق واحد ٠٠ وبعد أن حـــددت الاختصاصات بينى وبين ســـيدة فمهمتها فى المطبخ فقط مع « ستى » أو مساعدتها فى التنظيم وأنا مهمتى الاعمـــال الكبيرة ٠٠ وعند خروج أسيادى للفسحة كانت سيدة ترافقهم ٠٠ لانها بنت صغيرة ٠٠ أما أنا ففى اعتقـــادهم أفهم كل شىء لذلك

كانوا يقفلون الشقة بعد خروجهم ويتركونني أمانة في عنق عبد الله البواب الذي يجلس بجانبي يحدثني عن الخمسين بيضة أم قرش ومغامراته في شبابه .. أيام زمان .. ولا أدري ما السبب الذي دعاه أن يحدثني عن حبه مع البنت مرجانة التي دوخته واستطاع أن يفوز بها شباب من قريته ، وكيف أن الحظ أوقعه في بوز « عليه » زوجته الآن .. وحكاياته التي ينافس بها أبو زيد الهلالي وعنترة بن شداد .

وبعد رجوع أسيادي كان يجب أن أخدم عليهم حتى يتناولوا عشاءهم .. وأعمل لهم الشاي ويجلسوا في الفراندة .. وأنا بوزي في بوز سيدة .. الى ان يدخلوا حجرة النوم وأنام في الصالة على فرشة بسيطة واغطي نفسي بالبطانية .. وسيدة تنام في حجرة الجلوس .. وفي صباح اليوم التالي .. لا بد أن اصحو في السادسة لكي أغلي اللبن وأشتري الفول وأعد الفطار مع سيدة الى أن يجهز ثم أقرع الباب برقة الى أن اتأكد من سماع صوت سيدي وهو يقول .. حضر الفوطة ووضب الفطار .. لانني تركته مرة بدون أن يتنبه فكانت النتيجة أنه تأخر فشتمني كثيرا .. وبعد ثلاثة أيام على هذه الحالة قلت لسيدي :

ـ انني كنت زعلان مع أخي .. وأنا من عائلة مبسوطة ، وسوف أذهب اليهم الليلة .. ولم يتركني سيدي الا بعد أن دفعت له ٣٥ قرشا وهي العمولة التي أخذها أحمد نظير احضاري اليه .. وترك لي ٢٠ قرشا كان قد أعطاها لي مصروفي ، وتحت تهديده لي بوضعي في « الكركون » لانه سوف يبلغ عني بأني حرامي وجئت لاعرف أسرار المنزل .. دفعت له المبلغ .

وذهبت مرة أخرى الى المخدماتي وقلت له انني لا أستطيع أن أخدم في بيوت فيها أولاد وأسرة .. قال : ماذا تريد : قلت بحق منزل كويس . أجاب أنا حارسلك لبيت كله بقشيش . وأرسلني الى منزل في الزمالك وهناك عرفت الحقيقة المرة أن هذا المنزل يدار للدعارة ولعب القمار وأنا على شراء البيرة والمزة .. وبعد فترة خرجت وأبلغت رجال الآداب عن المنزل وضبطوا المنزل والرجال متلبسون باللعب وقبضت الشرطة على المتهمين وكنت أنا شاهدا في القضية وبالطبع لم أذهب الى المخدماتي بل ذهبت الى مكتبي .

●●●

وانتهت مغامرتي التنكرية كخادم وكان اشد ما يؤلمني هو كلمة

«الخدام» التي كنت آمل أن تتحول الى «شغال» واستغلال المخدماتية وأصحاب مكاتب التخديم للبسطاء الطيبين وخصوصا الفتيات والاحتيال عليهم وتشغيلهن فى أعمال أخرى منافية للاداب وبعيدة عن المنازل النظيفة وذلك لكي يقبضوا المعلوم . وعدم وجود نقابة حقيقية تدافع عن مصالح هؤلاء الكادحين ولابد ان يحترم الخادم في المجتمع فهو عنصر عامل فيه .. وبعد ان انتهيت من هذه المغامرة كتبت تحقيقا صحفيا عن مأساة الخدم ونشرته في مجلة «الجيل» وبعد النشر تحقق الكثير .. تحول أسم الخادم الى الشغال وقفلت مكاتب التخدم سيئة السمعة واصبح يوجد نقابة قوية وتامينات اجتماعية على الشغالين .. وكل يوم يحصل الشغالون على مكاسب جديدة وخصوصا أن بعضهم ترك المهنة ليشتغلوا كعمال وموظفين وارتفع سعر الخدم واصبح الذى يحصل على خادم كانه حصل على كنز لابد ان يعامله معاملة حسنة ، لدرجة أن اصحاب البيوت أصبحوا يصرخون من الشغالين والشغالات وسوء معاملتهم ولكن لا يستطيعون الاستغناء عنهم لدرجة أن أحد كبار الاغنياء قال لى مرة روح يا شيخ منك لله أنت السبب في رفع رأس الشغالين علينا .. !!



آسف ..
لقد خدعتك !

تصور أنك أنت المحول الأول والوحيد لهذه المقبرة الرهيبة !

تصور انك بقرش الاحسان الذى تدفعه بين وقت وآخر لتطعم جائعا رق له قلبك انما تحول مواطنا غيرك الى مسخ مشوه يزحف بقية عمره على الارض ؟
تصور أن ما تعتبره رحمة هو فى الواقع حكم بالغ القسوة على انسان سليم بالعجز مدى الحياة ؟ تصور أن ما تفعله قلنا منك انه تقرب الى الله ليس سوى معصية لا يمكن ان يغفرها لك الله . اذا كنت لا تصدق فاقرأ هذه المغامرة .

لقد قررت أن أوجه الى مشـــكلة التســـول فى بلادنا ضربة قاضية وأخيرة أن المجتمع الديمقراطى الاشتراكى لايعترف بالتسول

أن الحياة الكريمة حق لكل مواطن يعيش على أرضـنا مهما بلغت به درجة العجز .. أن مجتمعنا يجب أن يوفر العمل لكل عاطل والعلاج لكل مريض ولقمة العيش الكريمة لكل من لا يستطيع الحصول عليها .. !!

أن مشــــكلة التسـول كابوس مخيف كان يجب أن يختفى من قاموس مشاكلنا منذ سنوات ؟

ولكنك أنت ـ للاسف ـ لا تزال مصرا على أن تخلقه من العدم بقرش تدفعه بطيبة قلبك .

لقد أمضيت شهرا كاملا بذراع موضوعة فى الجبس وجلباب مهلهل وقدمين عاريتين أنام الليل على الارصفة واقضى النهار متعلقا بسلم الترام فى محاولة جريئة وعنيدة للوصول الى القـــاع .. الى حيث ترقد الحقيقة البشعة المروعة وحيث تتردى كل يوم أكثر من حياة انسانية موفورة الصحة . وتتحول الى حطام وهذه هى الحقيقة كما رأيتهــا .. لقد احتلت عليك واستطعت أن آخذ من جيبك وفى غفلة منك ٥٨٠ قرشا كل يوم لاثبت لك أن مشـــكلة التسول ليست فى الواقع سوى مشكلة غفلة تلعب أنت فيها الدور الاول والاخير ، وهذه هى القصة كاملة :

انا عبده الحافظ (الشحات) ربما تكون أحـــد الذين قابلتهم بالاسكندرية فى محطة الرمل وسيدى (ابو العباس) وعلى مقاهى الكورنيش .. أو فى طنطا فى ميدان السيد البدوى والشوارع المتفرعة منه .. أو فى القاهرة عند مساجد الحسين والسيدة زينب والامام الشافعى وفى شوارع الزمالك وجاردن سيتى ؟

ربما تكون قد أعطيتنى قرشا لله بعـد أن أثار عطفك منظـر ذراعى الموضوعة فى الجبس واعتقدت أنها مكسورة بالفعل واننى

فى حاجة الى مساعدة حتى استطيع أن أجد لقمة العيش ؟؟ ان كثيرين غيرك أعطونى مما أعطاهم الله متأثرين بنفس المنظر .

وكنت أقوم بعمل هذه المغامرة الصحفية عن حياة التسولين ووسائلهم فى خداع الملايين من عباد الله .. وكانت الذراع المكسورة وغلاف الجبس الصلب جواز المرور الى دنيا الشحاتين .

●●●

وفى دنيا الشحاتين شهدت العجب .. رأيت عالما غريبا .. غامضا على رأسه حكام قساة .. تجردت قلوبهم من كل أثر للرحمة . يتسترون تحت ثياب الضعف بينما يبترون فى وحشية رهيبة أعضاء كاملة من أجسام رعاياهم فى هذا العالم الغريب لكى يشوهوهم ويجعلوا منهم هياكل صالحة ـ فى نظرهم ـ لاستدرار عطف الناس وانتزاع القروش من جيوبهم .

أن رعايا هذا العالم ـ عالم المتسولين ـ يخضعون خضوعا تاما لسيطرة هؤلاء الجبابرة من خريجى مدارس البلطجة والعريقين فى الاجرام . ويقدمون لهم كل ايرادهم اليومى من الجنيهات التى جمعوها من قروش المواطنين الذين خدعتهم مناظر الاذرع المكسورة والسيقان المبتورة .. والعيون المشوهة ؟؟

وفى الطريق الى الاسكندرية كانت كلمات رئيس التحرير ترن دائما فى أذنى (لابد أن تتنكر وتعيش فى جو الشحاتين لمدة شهر كامل .. أعرف وسائلهم واندمج فيهم .. مطلوب منك أن تنام على البلاط .. وأن تقف أمام صناديق النذور .. ستضرب وستعرض للاهانات .. ولكن تأكد أنك ستكتب مغامرة صحفية ناجحة) !

ونزلت من القطار .. وذهبت لاحد المستشفيات .. وطلبت وضع يدى فى الجبس وبعد محايلة .. أخذنى المرض ولف ذراعى فى شاش جبس ثقيل .. وبعد نصف ساعة جف الجبس .. وأصبحت ذراعى كالمكسورة تماما .. ان الجبس هو تصريح المرور الى عالم الشحاته بما فيه من غرائب .

خلعت البدلة ولبست جلبابا مخططا بخطوط عريضة حمراء ووضعت على رأسى طاقية بيضاء ومشيت حافى القدمين .. الى مسجد سيدى أبو العباس . وعلى باب المسجد .. مددت يدى المكسورة .. وبدأت أستجدى الناس .

وبعد نصف ساعة شعرت بيد تربت على كتفى ورأيت شخصا رجله مقطوعة وبيده عكاز رهيب .. غريب الشكل .. يقول لى :

« قوم يا واد فز ·· هى وكالة من غير بواب ·· واللا أنت فاكرنى ايه ·· خيخة ·· » ·

فدهشت وقلت له : أيوه بس يا ريس ·· دا أنا راجل غريب ·· من الصعيد ·· طالع من المستشفى النهاردة بس ·· عامل عملية فى ايدى وعاوز الم قرشين علشان السفر لسوهاج ·

فقال بحدة : « أيووه يا جدعان ·· أنا قلت أشحت فى حتة تانية ·· انت عارف دى حتة مين ؟ دى حتة (هيمو) يا واد ·· وانت عارف مين (هيمو) ؟ أنا المعلم (هيمو) وضرب صدره بيده ثم أمسك بتلابيبى وشدنى اليه وهو يصرخ فى وجهى :

ـ أى واحد يتعدى على منطقة اختصاصى لازم أكسر رقبته» ·

●●●

وفى أثناء النقاش تدخل رجل أعور مكسور الساق خلعت عينه اليسرى وأقول (خلعت) لاننى عرفت ـ أخيرا ـ انهم يخلعون العيون ويقطعون الارجل ؟ استكمالا للمظهر ·

وتوسط الرجل بينى وبين رئيس الشحاتين المعلم (هيمو) وبعد ساعة من التوسل والرجاء وافق (المعلم) على قبولى كواحد من الانفار أو الشـــــفالة كما يسمونهم ·· وكنت أسلمه ايرادى من الشحاتة خمسة جنيهات أو ستة جنيهات يوميا حسب التساهيل ·· لان الناس كانوا يعطفون على ويصدقون كلامى (باننى خارج من المستشفى وأجمع أجر سفرى لكى أعود الى بلدى وأهلى ؟)

وبعد يومين اطمأن المعلم هيمو كبير الشحاتين وسلمنى الى وكلائه، وهيمو له اتباع ووكلاء لانه يشرف على أكثر من ٨٠ شحاتا ؟ وأثناء تسليمى للوكيل ـ وهو رجل مشـــوه الرجلين واليدين ـ أمره أن يأخذنى الى حجرة العمليات ؟؟ ولم أحاول الاستفسار عن حجرة العمليات هذه لقد كنت أسعى وراء المجهول ·· وأى سؤال قد يعرضنى للشك ·· ثم للطرد من الدنيا العجيبة ·· وفى استسلام وصمت تبعت الرجل المشوه الذى عرفت فيما بعد أن اسمه « نوفل » فى أزقة وحوارى وشوارع ·

●●●

وبعد ساعة ونصف ساعة من اللف والدوران وقف بى « نوفل » أمام منزل كالمغارة المتهدمة ·· مكون من طابقين ·· يمتلىء فناؤه بالماء الراكد وحجراته مظلمة ·· وبينما كنت أتأمل المكان الرهيب طرقت سمعى صرخة رجل تنطق بالالم وهو يقول : « اعمل معروف



ياسيدى .. كلمة كنت أقولها لعباد الله حتى أحصل على حسنة من الست .. وجمعت فى اليوم الواحد ما يزيد عن ثلاثة جنيهات بعاهة مصنوعة وجلباب مقطع ..

يامعلم ·· أنا في عرضك بشويش شوية ·· آه ياعيني آه ياعيني ؟، واندفعت ـ بدون وعي ـ نحو مصدر الصوت فرأيت منظرا لن أنساه طوال حياتي ·· كان ثلاثة من العمالقة يحيطون برجل ملقى على ظهره ويمنعونه من الحركة تماما بينما وضع الرجل الرابع اصبعه في عينه يفقؤها باظافره والدماء تنفجر من ثقب العين المتهتكة ·· والرجل يصرخ ويصرخ ولا مغيث ؟؟

بينما انشغلت جماعة أخرى بعملية لرجل آخر ؟ فرأيت منظرا من الصعب أن أنساه ·· رجل ملقى على ظهره مكبل بالقيود احدى رجله مقيدة وربطوه ربطا جيدا بسلك كهرباء والساق وضعوها على قطعة خشب كبيرة تسمى « قورمة » وهي مثل قورمة الجزار ، والمعلم هيمو يأمر بأن يضعوا منديلا اسود على عين « الزبون » الذى يجرى له العملية ، ثم يهوى بالساطور على الرجل ضربة واحدة فيطير جزء من الساق والقدم في جهة بعيدة من الجسم ويتدفق الدم مثل النافورة بينما أحد صبيان المعلم يكون قد جهز في يده دواء العملية ،وهذا الدواء عبارة عن لبخة مصنوعة من ورق الخروع وبعض الاعشاب · ويضع المعلم « هيمو » بسرعة عجيبة اللبخة على الساق ·· وكلما كان سريعا كان أحسن حتى لايدخل الهواء كما يقول الى الرجل فتتلوث بالميكروبات ويؤدى في النهاية الى موت الرجل وكثيرا ما تتأثر الرجل ويتلوث الجرح وقد شاهدت شخصين يتناثر في أرجلهما « الدود » ويصرخون صرخات عجيبة ومتلاحقة من وجع الجرح ·· وعندما طلبت من احد الاشخاص الواقفين أن يرحمهم فقال لى : معلهش يا أبو قلب ضعيف حيرحمهم ربنا ·· حيودعوا ··حيموتوا في ستين داهية ·

وشاهدت عملية أخرى يقوم بها المعلم هيمو ·· يقوم بتشويه جسد أحد الذين دخلوا مدرسة العاهات بالسبتية ·· فيشوى جسمه كما يشوى الحاتي الكباب ·· ويصرخ « الزبون » كما يطلقون عليه ولا أحد يستجيب لصراخه بل تجد على مقربة منه بعض الاشخاص الذين يعملون ويقولون له أثبت خليك راجل ·· بينما تظهر علامات الشوى في جسمه · والعمليات تتوالى ·

وكدت أسقط مغشيا على من هول تشويه آخر ، ولو سقطت لكنت احد خريجي عيادة التشويه ؟

ولكن الرجل « نوفل » أيقظني من الذهول ومن الاغماء وهو يلقى على سمعى بهذه العبارة القاتلة (المعلم هيمو أمر باننا نعمل حاجة في رجلك علشان تبقى ايدك ورجلك ·· وبلاش تسافر

بلدكم ·· لانك حتكسب دهب » ·

وفي هذه اللحظة أدركت أن الجبس الملفوف على ذراعي المعلقة في عنقي ما هو الا جواز مرور بسيط جدا عند المعلم هيمو ·· وأن الحيلة في الدولة الجديدة تحتاج لمسوغات أخرى وتضحيات جسيمة ·· وشهادات عملية من عيادة التشويه ·· وتصورت نفسي بين مؤسسة أخبار اليوم أحجل برجل واحدة ·· وأحمل هذه العاهة المستديمة كذكرى لهذه المغامرة في دنيا التسول ·· ولم أستطع الاسترسال في الحلم الرهيب وتوجهت الى « نوفل » أتوسل اليه وأقدم اليه عبارات الاقناع مؤكدا له أن رجل السليمة لن تعوضني أبدا عن استجداء أكبر عدد من القروش وحملها الى المعلم هيمو جنيهات كاملة في آخر كل يوم وتعهدت له بان أحصل للمعلم على ايراد يومي لايقل عن ثمانية جنيهات ولو اضطررت الى سرقته ·· واتفقت معه على تنفيذ هذا التعهد والا فاني أقدم لهم رجلي يقطعونها من غير كلام !!

واقتنع « نوفل » ونجوت من عمالقة عيادة التشويه بأعجوبة ؟

وعرفت من « نوفل » أن الاسكندرية فيها ٦ معلمين مثل المعلم هيمو ·· ولكن المعلم هيمو أكبرهم والخمسة هم (أبو فرت) في رشدي (وأبو شبت) في الرمل ·· ومصطفى درويش والشحات ونخلة في باقي أنحاء الثغر وكل معلم له مدرسة يعلم فيها الذين يلجأون اليه التسول ·· وكل شيخ كما يقولون وله طريقة فطريقة المعلم هيمو هي صنع العاهات ، انما طريقة أبو فرت الحيل الصناعية انما أبو شبت الالحاح وتأجير الاطفال والبنات الصغار ·

ولا يستطيع أى (شحات) غـريب أن يمكث في الاسكندرية أسبوعا واحدا دون أن يكون في منطقة اختصاص أحد المعلمين ومن ضمن رعاياه ؟

ومكثت أربعة أيام عند المعلم هيمو ومدرسته الرهيبة أنام على البلاط وفوق الارصفة وأسير عشرات الكيلو مترات حافي القدمين الاحق المارة من الجنسين وأعرض عليهم ذراعي (المكسورة) ؟؟ وأتلقى قروشهم بيدي السليمة ·· ثم أحمل الايراد في آخر النهار الى السيد السند (هيمو) ؟ ·· وظل هذا الايراد يتزايد يوما بعد يوم حتى وصل في اليوم الرابع الى سبعة جنيهات ·· وفي اخر كل يوم كنا نخضع جميعا لعملية تفتيش دقيقة ·· بينما كنا توضع

طيلة اليوم تحت حراسة وكلاء المعلم أمثال « نوفل » حتى لاتتصرف في الايراد ؟

وبعد أن رأيت وسمعت كل هذا أحسست بالرغبة في الانتقال الى عالم جديد فطلبت من المعلم هيمو أن يسمح لى بالعمل يومين في محطة الرمل عند المعلم (أبو شبت) ووافق بعد أن أقنعته أننا سنتثبت للمعلم الاخر (اننا رجالة مجدع) ؟؟

وبعد أن اتفق المعلمان كنت في محطة الرمل تحت حراسة « نوفل » وعند نهاية خط الترام بدأت استجدى الانسات والسيدات والشبان والرجال وقضيت هناك أربعة أيام لم يتعرض لى خلالها أى واحد من شرطة الاداب الذين يفترض فيهم أن يحافظوا على مظهر المدينة في محطة الرمل التى يعتبر ميدانها عنوانا للثغر الباسم ؟؟

ووجدت أن الشبان من الجنسين أكثر سخاء وأسرع تأثرا وعطفا من العواجيز .. فلم أحصل على قرش واحد من رجل أو سيدة فوق الخمسين مع انني كنت الح في الطب الحاحا شديدا .. والشبان كانوا أرق قلوبا من الآنسات .. ربما لانى كنت شابا مثلهم .. أو ربما كان هذا العطف نوعا من الظهور أمام الانسات بمظهر الكرم الحاتمى لحاجة في نفس يعقوب ..

وكان الشبان من أولاد البلد أرق قلبا من لابسى (البدلة) والمتقفين .

وفى محطة الرمل وصل ايرادى فى اليوم الاول الى خمسة جنيهات من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ٦ مساء ١٠ - ساعات - وهكذا أصبح مرتبى في الشهر فى هذه المهنة المربحة ١٥٠ جنيها .. يا عينى على كده !!

واستاذنت المعلم - الذى كان يراقبنى عن بعد - فى أن أدخل احد المحال العامة .. وفى وسط الزحام استطعت أن أزوغ منه .. وفى داخل مكتب أخبار اليوم بالاسكندرية خلعت جلباب الشحاته ولبست البدلة .. وتركت ذراعى فى الجبس .. وفى طريقى الى سيدى جابر لركوب القطار الى طنطا مررت أنا وزملائى على المعلم هيمو الرهيب فلم يعرفنى ؟؟

وفى طنطا بدأت الجولة الثانية في رحاب « السيد البدوى » وعشت أسبوعا اتسول داخل المسجد وفى الميدان الكبير والشوارع المتفرعة منه .. أن الشحاتين فى طنطا غيرهم فى الاسكندرية انهم

بجوار السيد البدوى تغلب عليهم الطيبة والدعــة ويقولون لك ــ اذا كنت زميلا جديدا ــ كل واحد فى حاله والارزاق على الله ؟ والدكان جنب الدكان والرزق على الرحمــن ؟؟ وزوار ولى الله معظمهم من سكان الريف طيبون وتخدعهم المظاهر كانوا ينظرون فى ألم الى ذراعى « المجبسة » ويمدون لى أيديهم باللى فيه القسمة ٠ اخذت القروش من معظم الزوار ومن الباعة المتجولين ٠٠ كانت المرأة أو الفتاة الريفية تمنحنى القرش وتدعو لى بالشفاء العاجل كرامة للنبى وللسيد البدوى ووصل ايرادى فى اليوم ١٥٠ قرشا وفى الثانى ١٧٠ قرشا ٠٠ وكنت اتناول غدائى (كشرى شحاته) من عنــد متولى بائع الكشرى ٠٠ !!

وفى داخل ضريح السيد البدوى وقفت الى جانب صندوق النذور فوجدت الزائرات ومعظمهن من الريفيات يسقطن قطعا فضية فى الصندوق ويوزعن القروش على المتسولين ــ وأنا منهم ــ وكثيرا ما تتأثر احدى الزائرات بالمظهر المبكى للشحات فتفضــله على صندوق النذور ٠٠ والشحاته فى مقام السيد البدوى ٠٠ ســهلة ومربحة ٠٠ فيكفى ان أقول لاى واحدة ــ اذا كانت كبيرة فى السن «ربنا يهدى لك العاصى ويسترك دنيا وآخرة أنت وكل اللى تحبيه» ٠

واذا كانت فتاة فى السادسة عشرة اقولها لها : « ربنا يعدلها لك بابن الحلال اللى يريح بالك » فتمطينى القرش على الفور ؟

وتركت طنطا وأنا أفكر فى الفرق بين الريف والقاهرة والاسكندرية حتى فى الشحاته ؟ وذهبت الى القاهرة ٠٠ الى الامام الشــافعى وصادفت زملاء من الشحاتين يزعمون أنهم يقرأون ويعملون طربية فى مدافن الامام وفى حالة عدم وجود عمل فى المدافن لقلة المتوفين يلجأون الى الشحاته بطرق غريبة ٠٠ فواحد يتقمص شخصية (بائع النعناع) فى الترام ويكون معه طفل أو أكثر ــ بالايجار طبعا ــ ليستدر عطف الركاب ويأخذ ما فيه القسمة ؟ ولكى يهرب بهــذه الطريقة من الوقوع فى جريمة التســول اذا ما قبضت عليه شرطة الآداب ٠

وواحد أخر يتنكر فى زى عامــل ويضع ذراعه فى الجبس ــ مثلى تماما ــ ويدعى أنه (خارج من المستشفى) ولا يســتطيع العمــل وثالث يدعى أنه طالب ويحمــل فى يده بعض الكتيبات الصغيرة وهو يقدمها لك على أنها كتب أحاديث نبوية وآيات قرآنية ويقدم معها ورقة مكتوبا فيها أنه طالب ويعول أسرة من عشرة أفراد ويحتاج الى مساعدة لينفق على نفسه وعلى الاسرة ٠

ورابع يدعى أنه ضل الطريق ويريد الذهاب الى مصر الجديدة وليس معه نقود .

وخامس يمسك بيده رغيف خبز ويطلب منك أن تشترى له « الفموس » ويظل يلاحقك حتى تدفع له .. وهو مطمئن أنك لن تذهب معه لتشترى الفموس ولكنك ستعطيه القرش ؟

وسيدة معها ثلاثة أطفال ، كله بالايجار ، وتدعى أنها والدتهم والدهم توفى ولا تجد الاكل اللازم لهم . بمناسبة ايجار الاطفال علمني « هيمو » ان ايجار الطفلة ٥٠ قرشا فى اليوم لانها «ولية» أما الولد ٣٠ قرشا لانه لايستدر العطف فى التسول كالبنت !

وجميع المتسولين فى الامام الشافعى ينامون فى غرف المقابر الملحقة بالمدافن .

●●●

وفى السيدة زينب حاولت أن أمارس نشاطى فى المسجد الكبير والمنطقة المحيطة به ولكن الامر يختلف هنا عن المناطق الاخرى .. ان معظم الشحاتين هناك من النساء والبنات الصغيرات اللاتى يطاردن المصلين والزوار والزائرات ويحاولن بيع المصاحف الصغيرة بالعافية .. وبالدعوات وبالكلام الفارغ أحيانا ؟

ولا يسمحن لاى « شحات غريب » بالعمل فى المنطقة ويطاردنه بالشتيمة والضرب بالطوب وأيقنت أنه لا مكان لى فى هذه المعركة الطاحنة فهربت الى شوارع الزمالك وجاردن سيتى .. وكنت اعتقد أن ارتفاع مستوى المعيشة لسكان هاتين المنطقتين يسهل مهمتى فى الحصول على ايراد أكثر .. ولكن الحقيقة أقنعتنى بأنى كنت متفائلا أكثر من اللازم فلم يتجاوز ايرادى اليومى من الشحاتة فى مناطق أولاد الذوات سابقا ١٠٠ قرش .. ولعل هذا يرجع الى أن عدد المترجلين منهم قليل ، ومعظمهم يركبون السيارات التى لجأت الى الوقوف بجانبها فى انتظار أصحابها ولم يتعرض لى أى شرطى مع أن هذه المنطقة مزدحمة بالسفارات الاجنبية .

●●●

وحول ضريح الحسين وجدت كثيرا من الشحاتين يتوارون عن أعين المخبرين ورجال شرطة الاداب بالوقوف فى الحوارى والازقة المحيطة بالمسجد وسرعان ما اندمجت فيهم وأخذوا يحذروننى من

رجال الشرطة لانى جديد فى الكار وأظهر بسرعة .. ثم أفهمونى أن المنطقة ضيقة وايرادها قليل .. ونصحونى بالوقوف أمام باب الحريم لكى أجمع قرشين وأتوكل على الله الى مكان آخر ؟

وفعلا عملت بالنصيحة ووقفت أمام باب الحريم وجمعت ٧٥ قرشا فى ٣ ساعات من ٩ ـ ١٢ وبينما كنت منهمكا فى مطاردة زائرات الحسين بالدعوات وجدت شابا في الخامسة والثلاثين من عمره يطالبنى بابراز بطاقتى الشخصية .. ثم يامر أثنين معه بأن يأخذانى الى القسم .. انهم رجال شرطة الاداب .. أخيرا التقيت بهم بعد هذا العمر الطويل جدا .. فى حياة المتسول الجديد ؟؟ وفى هذه اللحظة تدخل الزميل المصور محمد لطفى وأعطاهم بطاقتى الشخصية التى تثبت اننى محرر بأخبار اليوم ولست متسولا وكانت هذه هى المرة الاولى التى التقى فيها بالمخبرين منذ أن قمت بتجربتى وعرفت أنها مجرد صدفة فقد كانت شرطة الآداب فى حملة لجمع المتشردين وكنت أنا ضحية المتسولين الذين أشاروا على بالذهاب الى باب الحريم .

وعدت الى الجريدة بعد أن نزعت الجبس عن ذراعى لاكتب لك هذه المغامرة ..

●●●

أن حالات التسول تزيد احيانا وذلك لانها كما يقولون عليها مهنة بلا رأس مال وأكثر من قصة ضبطتها الشرطة لمتسولين معهم الاف الجنيهات ولديهم عمارات وذلك لانها كما يقولون في الامثال «الشحاتة كيميا » أى الشحاتة مورد كبير .

ان الشعب الذى يندفع أفراده الى تقديم قروشهم لمن يحاولون خداعهم بالمظاهر الكاذبة يعتبر المسئول الاول عن تضخم مشكلة المتسولين لانه الممول الحقيقى والمشجع الفعلى لمحترفى التسول من البلطجية والمجرمين الذين يتصنعون العاهات ويدعون العجز ويؤلفون العصابات ويشوهون مناظر عواصمنا الكبرى ويضرون بسمعتنا السياحية ، فلو أن كل مواطن حرص على عدم تقديم أى مساعدة لافراد هذا الجيش الخطر من البلطجية والنصابين لساعد كثيرا فى القضاء على هذا الجيش المتعطل .

●●●

ثم القانون الذى ينص على عقوبة التسول .. انه فى حاجة الى تعديل لتشديد العقوبة الى الحد الذى يردع البلطجية والمجرمين

ويردهم عن تصنع العجز والانضمام الى طابور المتسولين ٠

لقد ضبط أخيرا احد المتسولين يملك أكثر من ثلاث عمـــارات ويكنز تحت بلاطه ٨٥٠ الف جنيه ، واثناء تنكرى عرفت بأن مكسب التسول يفوق اى مكسب آخر ، أو كما يقولون مكسب بلا رأس مال وكل رأس مالهم تمثيل فى تمثيل ٠ وصح المثل الذى يقـــول : الشحات له نصف الدنيا ٠٠ !

●●●

وفى كلمة أخيرة ٠٠ اذا صـــادفك متسول يطلب منك احسانا مهما كان منظره فلا تصــــدقه ٠٠ لا تمد يدك فى جيبك ٠ لاتنخدع بالدموع والاصوات المرتعشة ٠٠ ان المسألة كلها تمثيل ٠٠ وقد كنت انا أحد الممثلين ؟؟



وأصبحت عضواً في أخطر عصابة

قدمت هذه الحلقة بعنوان بلاغ إلى النائب العام

ان هذه الصورة هي ثمرة مغامرة رهيبة في قاع المدينة انها صورة صادقة عن حياة الظلام التي تبتلع كل يوم مزيدا من اطفالنا الصغار .. انها صورة رهيبة عن طبقة قاسية جشعه لا قلب لها وقد قدمت مع هذه الصورة الرهيبة الدليل على كل حرف فيها .

لقد عشت التجربة كاملة .. تنكرت في زى عضو عامل في اخطر عصابة لخطف الاطفال واستطعت ان اكون المحرك الاول فيها لاقف على دقائق الامور . ان هذه العصابة كانت تخطف الاطفال وتستخدمهم وكان مقر عملها من الاسكندرية الى اسوان .. وبعد ان عرفت كل شيء عن هذه العصابة وكيف تعمل وبعد ثلاثة اشهر من عمل معهم كواحد منهم عدت الى مكتبي لاضع نفسي في خدمة القانون .. ؟

مررت بتجربة عنيفة .. مغامرة خطيرة .. كدت أدفع حيـــاتي ثمنا لها .. المغامرة الخطيرة عشت فيها ثلاثة اشهر متنكرا في جلباب مهلهل حافي القدمين والطاقية فوق رأسي .. عشت مع عصابات خطف الاطفال .. وهناك شاهدت الاشرار يجبرون البراعم الصغيرة على الا تنطق باسم اهاليهم والا ضربوهم بالسياط ؟

تعرضت في هذه المغامرة المثيرة أنا والزميل المصور للقتل عدة مرات .. واليك القصة كاملة :

جاء الى مكتبي في أخبار اليوم مواطن اســـمه الحاج محمود دعبس وهو مقاول ومهندس .. ووجدت الرجل يبكي بحرارة ويقول : ابني الوحيد خطفوه .

قلت مين اللي خطفه ؟

قال : العصابة ..

وفي هذه اللحظة دهشت جدا وفكرت أن الرجـل ربما وقـع في يد أحد النصابين الذي أراد أن يجعل الرجل اضحوكة .

قلت : أي عصابة ولماذا لم تبلغ الشرطة .. وأخشى أن يكون أحد قد ضحك عليك .

أجاب : أبدا لقد تأكدت بأن العصابة خطفته .. وسمعت صوت ابني بالتليفون وطلبوا مني عشرة الاف جنيـــه فدية له وأنه اذا أبلغت الشرطة فسيذبحون «عمر» وهو وحيدي على أربع بنات لم أره الا على كبر .. لقد دلني أحد أقربائي عليك وها هي ذي بطاقته ماذا أفعل ؟ وبعد أسبوع آخر مهلة هل أدفع النقود أم يقتل الولد أم ماذا

.. والدته ستجن .. شقيقاته يبكين طوال الليل والنهـــار .. الاسرة كلها .. أقارب الاقارب .. لقد تحول المنزل الى معزى .. لقد عرفت ان العصابة تخطف أطفالا كثيرين وتفاوض أهاليهم على « الدية » أو البدل ولا يجرؤ أحد أن يبلغ الشرطة .

وسكت لحظة وقلت له : الم تلتق بأحد أقارب الاطفال المخطوفين وهل سمعت شيئا عن العصابة من قريب أو بعيد .

أجاب : تقابلت مع عدد من الاهالى وكلهم خشوا أن يبلغوا الشرطة .

قلت : ومن أدرى العصابة بأنكم أبلغتم الشرطة ؟

أجاب : هم بيراقبونا .. هما قالوا لنا كده .. ولانقبل المجازفة حرصا على حياة أولادنا .

وطلبت من الرجل أن يترك صورة أبنه واسمه .. وفى اجتمـاع التحرير عرضت عمل مغامرة صحفية عن خطف الاطفال بحيث اشترك فى عصابة وأحاول أن أعيد عددا من الاطفال خطفتهم العصابة الى أهاليهم .. ويومها خاف على كثير من الزملاء وقالوا لى ربما تكون قد تأثرت بأفلام جيمس بوند ورعاة البقر .. ولكن لا تجازف وانت ضعيف البنية لاتحتمل قلما واحدا .. ربما قتلوك ولا تعلم عنك شيئا .. المهم خرجت من الاجتماع وصممت على هذه المهمة .. وطلبت من رئيس التحرير أن يساعدنى فى عمل الترتيبات الخاصة بملازمة مصور معى وحددت اسمه وكان هو الزميل المصور محمد لطفى (المصور بجريدة الاهرام الان) كذلك وافق رئيس التحرير على أن تستمر سيارة التحرير معى ليلا ونهارا لمدة شهر .. وصرفت لنا النقود اللازمة وتفرغت لعمل التحقيق .

وبدأت أواظب أولا ـ على سماع برنامج (غائبون) من الاذاعة .. فالمذيع يعلن عن فقد حوالى عشرين طفلا وطفلة فى اليوم الواحـد أى فى الشهر حوالى ٦٠٠ طفل أى فى السنة حوالى ٧٢٠٠ طفل غائب وكنت اتتبع صور المفقودين التى تنشرها الصحف كل يوم وأسأل . اذن أين يذهب هـذا العـدد الذى يقدر بالمئات شـهريا وبالآلاف سنويا ؟ وما مصيرهم ؟

وكان لابد أن أضع الاجـابة لعلامة الاسـتفهام الكبيرة التى تحيرنى .. أن اختفاء طفل من أى أسرة يقلب أفراحها الى احزان .. وحياتها الى جحيم .. ولابد أن أقوم بمغـامرة لمعرفة هـذا السر .. وفى أرشيف « أخبار اليوم » وهو عامر بصور المفقودين عثرت على أربعين صورة منهم .. فربما تقابلت مع أى طفل منهم

أثناء تنكرى .. ارتديت الجلباب المهلهل .. ومشيت أجوب الشوارع والارصفة .. وتعرفت على الاطفال المتشردين تحت كوبرى شبرا .. وفى ميدان باب الحديد والشرابية والسيدة زينب ظللت اتجول لمدة عشرة أيام مع الاطفال .. آكل معهم فتات الخبز .. وأشرب معهم من دورة المياه بكوبرى الليمون وباب الحديد .. وانام معهم على الارصفة حتى أصبحت معهم وكأنى واحد منهم .. وعرفونى باسم حمودة . وكان اختلاطى معهم يتطلب مجهودا معينا احتكوا بى مرات وتعاركت معهم وكنت اضربهم ويضربوننى وكنت احاول بقدر المستطاع أن اكون أنا الفائز لالفت الانظار .. فكنت اختار ضحيتى شخصا ضعيفا أو طفلا صغيرا . وذلك طبقا للمثل العامى « اضرب المربوط يخاف السايب » وبينما أنا منهمك فى أداء دورى التمثيلى .. اقترب منى أحد الاطفال الكبار .. وهمس لى ببعض كلمات غريبة .. وادعيت اننى لم اسمعها .. وطلبت منه أن يكررها .. لقد طلب منى أن أشتغل معه هو وبعض أفراد سيعرفنى عليهم فى جمع أعقاب السجائر .. وجمع الورق من الشوارع .. علاوة على شغل تانى حيكسبنى دهب .. والشغل ده سيخفيه عنى حتى يمتحنى ويشـوفنى جدع واللا لا ـ على حد قوله ـ وسرت مع « الجدع » وهذا اسمه .. وانتابنى شعور بالخوف .. وفكرت لماذا سموه بالجدع أن منظره لا يدل على هذا .. المهم أشرت خفية للزميل المصور لكى يتبعنى ويصور مراحل العملية وسرت مع «الجدع» من باب الحديد الى شارع الجمهورية .. وفى أرض شبرد أسمها كده . فى منتصف شارع الجمهورية .. سرت معه قليلا .. وكان فى هذا الـوقت يقام السيرك الهندى .. وخلف السيرك سرت معه مرة أخرى الى أن وجدت كشكا على شكل قهوة .. ثم عششا كثيرة من الصفيح .. وتركنى الجدع مدة وأخـذت افكر وقلت لنفسى انه ليس من المعقول أن يكون فى هذه المنطقة شىء ضار . لابد أنهم جمـاعة غلابة .. ويريد منى ـ فعلا ـ أن أجمع الورق وأعقـاب السجائر معهم . ذلك لان هذه المنطقة تقع فى وسط البلد وعلى أمتار قليلة من الشرطة فهى محصورة بين شارعى الجمهورية وعماد الدين .

وعند دخول الليل قادنى الجـدع الى مكانى أمام العشـة .. وأعطانى خيشة لانام عليها وقطعة ملابس قديمة لكى أضع عليها رأسى .. ولم اشرع فى النوم .. ووجدنى الجـدع اتقلب يمينا ويسارا فاحضر قالبا من الطوب وطلب منى أن اضع عليـه قطعة الملابس الممزقة .. حتى لا يؤلم رأسى .. وبعـد منتصف الليـل شعرت بمن يدفعنى بيده ويقول .. حموده اصحى .. قوم الشغل

.. وأعطاني كوزا ومقطفا لكي أجمع أعقاب السجائر (السبارس) وورق الزبالة من الشـــوارع وتوكلت على الله .. وأخذت أجوب الشوارع لابحث عن أعقاب السجائر .. وأجمع الورق .. أن ظهري يؤلمني من كثرة ركوعي على الارض لالتقاط أعقاب السبارس .. خيل الى أن الاعقاب تعاندني فأجد « عقب » يســارا وآخر يمينا والثالث شمالا والرابع جنوبا .. كلها في أماكن متفرقة وكنت اود أن أجـد الاعقاب كلها في مكان واحد .. وكنت أفرح وانا اقف امام باب السينما أو المسرح واتوسل للبواب أن أدخل الى المسرح أو السينما واساعده في الكنس والمسح وذلك حتى يسمح لي بجمع اعقــاب السجائر .. المهم عندي هو أن اثبت لهم بانني ممتاز في الشغل على حد قولهم وظللت هكذا طوال الليل حتى حوالى الساعة السادســة صباحا وكان هذا حسب أوامرهم بأن أرجع في الساعة السادسة .. ان بداية الليل في القاهرة هي بداية عالم آخر .. عالم مختلف تماما عن عالم النهار .. مختلف في كل شيء .. فعالم النهار نادرا ما يحدث فيه أي شيء مخل بالاداب أو أى شيء خارج عن القانون .. انما في عالم الليل يظهر الاشرار والسكارى واولاد الليل .. فعلا عالم مختلف لم اره .. حتى جامعو اعقاب السجائر والزبالة .. لابد أن يبدأوا عملهم في الليل بعد الساعة الثانية صباحا الى الساعة السادسة أو السابعة على الاكثر . ففي الليل نجد مهنا غريبة لايعرفها النهار .

وعندما رجعت لهم وجدت عددا كبيرا من الرجال والشـــبان مثلي .. وقال لي احدهم : وربنا جبت كام كوز مسح .. وكوز ملائيه .

وعرفت أن المسح هو ملء كوز السلمون .. والملائية هو ملء الكوز بجانبها اليد التي تقوم هي الاخرى بدور المقاس . وان ثمن كوز المسح قرشان والكوز الملائية سبعة قروش ونصف قرش . وتعرفت على عدد كبير من الشغالة فسامبو ولهيطة وأبو سنة وأبو الروس كلهم اصبحوا اصدقائي بسرعة .. وعشت هكذا اســبوعا أنام في الصباح وأخرج بالليل ، واذا أردت أن أنام بالنهار فأنا حر .. وشـــعرت بأنهم يراقبونني عن بعـــد .. وظللت معهم الى أن أعطيتهم الأمان أســبوعا آخر .. وتعبت فعلا .. ظهري كاد أن يتقوس وآلام الروماتيزم بدأت تظهر في رجـــلي .. والقـــذارة اصبحت على جسمي بالكوم .. هذا بخلاف الحشرات التي تجرى على اثناء النوم .. الحشرات بانواعها حتى تركت في جسدي بقعا مختلفة الاحجام احداها كبيرة والاخرى صغيرة واصبح جسدي كشارع من شوارع القاهرة المملوءة بالحفر والمطبات . وكنت أنام بالليل .

وفى النهار احاول ان أزوغ أقابل الزميل المصـــور وخشيت أن يكتشفوا أمرى فطلبت من المصور أن يرتدى جلابية ويكون قريبا منى فى موقع آخر حتى اذا تحدثت معه لا يكتشفنا أحد .

وفى احد الايام اثناء عملى مع العصـــابة .. وحوالى الســـاعة السابعة .. جاء إلى لهيطة وقال لى .. قوم المعلمة الكبيرة عاوزاك خليك راجل وماتكسفناش أحسن تخرب بيتك ويكون الشـــارع مصيرك .. وضحكت فى نفسى وأين أنا الآن ؟ هل يوجد شارع خلاف ذلك .. ومشيت الى مكان المعلمة ومكانها فى الجبل الاصفر ولكنها حضرت لتباشر العمل . ففى كل منطقة لها مكان .. سيدة بيضاء جميلة فى حوالى الخامسة والاربعين من عمرها يداها اليمنى واليسرى مليئتان بالغوايش والخواتم .. دخلت عليها كانت تشرب الشيشة وكان بجوارها أكثر من سيدة ورجل كلهم يتهامسون وينظرون الى باشمئزاز واحتقار أحيانا .. وعندما رأتنى أخذت تتفحصنى من راسى حتى أخمص قدمى وتكلمت بعد حوالى عشر دقائق وقالت :

انت منين داهية يا روح أمك ..

قلت : من الصعيد يا ست ..

قالت : ماكنتش بتشتغل فى حتة قبل كده ..

قلت : ابدا والله يا ست كنت باساعد الشيالين فى المحطة .. وانظف فى أى دكان بلقمتى .

قالت : ولا بتشتغل ولا حاجة باين عليك أنك حرامى وحرامى تقيل .. ما علينا أنت عارف اللى بيلعب بديله عندنا نعمل فيه أيه .. اقول لك بنعمل فيه بنتاويه ولا الدبان الازرق ولا الاحمر يعرف له طريق .. وياريت بنتاويه كده .. ألا بعد مايشوف الويل طبعا من الضرب والمســـخرة .. فانت يا روح امك تمشى كويس وتحفظ كرامتك .. وما تختلطش باى حـــد فى الشـــارع .. أى واحد يقولك انت بتشتغل مع مين ماتقولش حاجة واذا حـــد كلمك فى الشارع يعنى ضربك وكان كبير عليك .. احنا نعرف نؤدبه اوعى تتكلم مع عسكرى .. انت عارف لو كان لسانك سايب حا عمل لك فيه ايه حاقطعه لك .. يعنى أخليك اخرس .. واذا ايدك شاورت تقطعها لك انت فاهم .

قلت : أنا خدامك يا معلمة .. أنا من ايدك دى لايدك دى .. واذا عملت حاجة شوفى شغلك معايا ..

قالت : على أى حال انت الجانى على نفسك ..



كعضو في عصابة خطف الاطفـــال وقفت القي
الاوامر وأرى كل شي، . . حتى «البير» التي كانت
تخفي فيها العصـــابة الاطفـــال المذبوحة !!

واعتبرت أن هذه النصائح هي وصايا المعلمة لى ·

وقال لى سامبو : هى دائما كده تحب تشوف أى واحد جديد نفس الكلام اللى أنت سمعته أنا سمعته ·· وفعلا هى بتنفذ اللى بتقول عليه أى أحد يلعب بديله يا ويله يا ظلام ليله ·

كلام المعلمة وكلام سامبو أصابنى باسهال ·· ودارت فى راسى افكار ·· ماذا يحدث لو عرفوا أننى صحفى ·· أكيد أن المعلمة ستفعل بى ما تريد وتجعلنى أضحوكة ومسخة أمام الجميع ·· لقد كان هذا الكلام مفاجأة لى ·· كما كانت مفاجأة لى أيضا أن تكون زعيمة العصابة معلمة ؟

وطالبت من الزميل المصور الا يكلمنى خوفا من المراقبة وأن يعطينى كاميرا صغيرة جدا لكى اخفيها بين طيات ملابسى وأستعملها وقت اللزوم ان أمكن ·

●●●

وعرفت العصابة على حقيقتها أن عملها الاساسى ليس هو جمع أعقاب السجاير والزبالة ·· انما هو خطف الاطفال والسرقة ·· ويخطفون الاطفال بعدة طرق ·· تقوم سيدة من السيدات التى تتبع المعلمة بالانتظار أمام مدارس الاطفال الى ان تخرج المدرسة ·· وتنادى اى طفل أو طفلة وتقول له (مامتك عاوزاك وجايبالك حلاوة) وتستدرج الطفل، وتعطيه مخدرا تضعه فى منديل فيغيب الطفل عن الوعى وتأخذه دون أن يحدث أى صوت ·· ولا تأخذ السيدة اى طفل بل تختار الطفل النظيف الذى تظهر عليه سمات الغنى فى حى راق وتحاول أن تصطاد الطفل قبل أن يركب السيارة ·

والطريقة الثانية هى أن يقوم أحد اتباع المعلمة بعمل حاوى ويطوف بالشوارع ويجمع الاطفال ويستدرج عددا منهم الى حى خلاف الحى الذى يسكنون فيه ويختار طفلا نظيفا ويعطيه « الطبلة » او بعض محتويات الاراجوز والحاوى حتى يصل بهم الى وكر العصابة الرهيب ·

وطريقة ثالثة يذهب احد أفراد العصابة فى الموالد أو الشوارع والاماكن المزدحمة كالموسكى وباب الشعرية والازهر ·· ويحاول أن يتعقب الطفل الذى يتخلف عن أمه ويستدرجه حتى يحضره للوكر ·· وطريقة رابعة هى أن يستعان بالمكوجية والبوابين لمعرفة الاطفال وأبائهم ورسم خطط لخطفهم ·· وبعد خطف الطفل يقومون

بتعذيبه أو « توديكه » كما يقولون في لغتهم ·· فاذا نطق باسم والده أو والدته ضربوه بالسياط أو « الزخمة » ويمنعون عنه الماء والاكل مرات ويعتدون عليه اعتداء جنسيا متكررا ·· ويظلون يعذبونه حوالى شهر ثم يرحلونه للجبل الاصفر وهو المكان الحقيقى الذي تمارس فيه العصابة نشاطها فالعصابة تمارس نشاطها فى الاماكن المقطوعة كالجبل الاصفر وجبال زينهم والمقابر ·· أما اذا كان والد الطفل متيسر الحال فيفاوضونه على مبلغ معين ·· ويطلبون منه وضع النقود فى مكان معين ومعروف لديهم ويخلفون ميعاد حضورهم ·· ويرسلون طفلا صغيرا ·· واذا ضبط لا يستطيع أن يتكلم ·· فهو لا يعلم مكان العصابة ويعطى معلومات مشوهة ·· وهذا الطفل طبعا لا يكون من الاطفال الذين خطفتهم العصابة بل يكون طفلا من الخارج عن طريق صديق لاحد أفراد العصابة وهذا الصديق لا يعرف شيئا عن عضو العصابة ·· المهم أنهم يدبرون احتياطيات وامكانيات غريبة لها حتى لا يقعوا فى أيدى الشرطة ·· وتكون النتيجة أن يذبح الطفل لان والده أبلغ الشرطة ويقولون ان وجوده أصبح خطرا عليهم فلابد من قتله .

●●●

ورأيت طفلا مخطوفا يبكى ويقول : « هاتوا لى ماما ·· أنا عايز ماما ؟ فين أختى عاوز بابا وماما وأختى ·· أنتم وحشين ·· تعالى يا ماما » ·· وتألمت لبكاء الطفل وافقت على (لهيطة) وهو يضرب الطفل بشدة بالزخمة ويقول له : مامتك ماتت ·· أبوك مات ؟ يا ابن الكلب أنت عارف لو اتكلمت مرة ثانية حادبحك انت عارف يعنى ايه حادبحك ·· بالسكينة دى (ويظهر السكينة أو الخنجر للطفل) وحاقطع رقبتك يا ابن الكلب ·· وبكى الطفل مرة ثانية ولم يسكت بالرغم من الضرب المبرح الذى أخذه ·· وكاد يغمى على الطفل وفى كل مرة أظن أنه مات وكانت الدماء تغلى فى عروقى وأريد أن أخرج لهم وأضربهم ·· ولكنى ضغطت على أعصابى ونزلت دموعى على خدى ومسحتها بسرعة دون أن يراها أحد ·· وكان الطفل يبكى ويتألم بدرجة تثير الشفقة عليه وقال لهيطة وهو أحد أفراد العصابة يا عثمان ·· وحضر أحد الرجال وقال له اسمع يا عصموص ·· الواد ده عاوز يتودك ·· ودكه كويس ··

واختفى الطفل من أمامى وقلبى يخفق عليه ·· ورأيته فى اليوم التالى وهو مكسور الخاطر ·· ذليلا لا يتكلم ·· ملابسه مزقت ·· وجهه النظيف أصبح كالارض وعرفت أن توديكه هو الاعتداء الجنسى

عليه واهدار كرامته ثم بعد ذلك تخويفه بابلاغ هذا الفعل لوالده وأنه اذا علم والده بذلك فانه سيقتله وأن الاطفال فى الشـــارع سيضحكون عليه ويعايرونه .. ويظلون يضخمون هـذا الحدث للطفل ثم يجعلونه يعتاد على ذلك .. بحيث تصبح هذه عادة عنده ويستكين للامر الواقع ..

وبعد ذلك أمرت المعلمة بترحيله للجبل الاصفر .. وشاهدت عملية تعذيب طفلة صغيرة عمرها ١١ عاما .. كانت تبكى هى الاخرى .. تريد أمها وأخاها طارق وأختها سعاد .. فضربوها وسخنوا لها مسمارا كبيرا وكووا جسمها .. وأغمى على الطفلة عدة مرات وترك المسمار أثره على جسد الطفلة وتحول جسدها الى جحور واذا فعل أحد الأطفال أى شىء أو حاول الهرب يضربونه ويجلدونه ويكوونه بالنار أمام جميع الاطفـــال حتى يكون عبرة لهم وحتى لا يفكر أحدهم أن يفعل مثلما فعل صاحبه او يحاول الهرب وكانت محاولة الهروب هى أكبر جريمة عند العصابة .. فلذلك لابد أن يعاقب الطفل أشد العقاب .

ومرة وجدت أحد أتباع المعلمة يضع رجل أحد الاطفال فى الماء المغلى عقابا له لانه تمرد على التعليمات وحاول الهرب .. وأن المعلمة ترسل الاولاد أول بأول للجبل الاصفر وجبال زينهم حتى يختفوا عن الانظار لانه سبق منذ سنتين أن أبلغوا عنها الشرطة .. لذلك فانها تخاف من هذا .

وشاهدت منظرا لا يمكن أن أنساه .. العصابة تستعد .. اليوم طوارىء .. الهمس فى كل جانب الى أن وجدت طفلة بريئة يصحبها ثلاثة من العصابة واقتادوها الى البئر ليذبحوها ذبح الشاه .. وذلك لان والدها أبلغ الشرطة بأن العصابة خطفتها وشـــعرت العصـــابة بتحريات الشرطة فتخلصوا من الفتاة .. وأنهم وضعوا الجثة فى بئر خصصت لهذا .. ويومهـــا لم انم وأغمى على وظللت أبكى وأتشنج تشنجات غريبة ولم افق الا على قلم كبير على وجهى شعرت أن الصواريخ دخلت أذنى وكادت تسدها ولم أشـــعر الا بصـــفير وحرارة شديدة فى وجهى .. لقد ضربنى أحد أفراد العصابة لكى أبتعد عن البئر ولا أحاول الاقتراب منها وفكرت أن أشتبك معه ولكن خشيت أن ينكشف أمرى ففضلت السكوت حتى أعرف خبايا العصابة ..

واوفدتنى المعلمة للجبل الاصفر كي اقابل « لهيطة » الذى سبقنى الى هناك لكى أستلم منه عيلين لكى أسلمهما بالتالى الى المعلمة وكان

معى الجدع .. وفى أثناء الطريق قال الجدع : أنت عارف الحتة دى اسمها ايه ؟ فهززت رأسي بالنفى .. قال اسمها اصطبل عنتر .. واحنا داخلين على الجبل الاصفر .. وهو ممتد من العباسية لعين شمس والمطرية .

وقال الجدع : تعرف يا حمودة كل الرجالة اللى حتشوفهم ويتبعوا المعلمة .. كلهم بتأمرهم وتضربهم وتشخط فيهم كمان ولا يمكن أن يجرؤ أحد الرجالة على أن يكسر للمعلمة أمرا .. أصلها جدعة .. وركبت الاتوبيس مع الجدع .. ولا أعرف لماذا سمى نفسه بالجدع .. ونزلنا فى آخر المطرية .. وسرنا قليلا .. ثم استأجرنا تاكسى .. وقبل المكان بمسافة طويلة نزل وسرت معه وكانت الدنيا ظلاما .. الى أن وصلت الى نقطة سمعت واحدا يقول بهمس : مين جاى .. مين جاى ..

فقال الجدع : أمان يا زقلة .. ورد الآخر : أمان يابو مجدع .. وكنت أرتعد خوفا وأنا أقترب من الرجل الذى لم أتبين ملامح وجهه الا بعد أن أشعل عود ثقاب . رجل طويل عريض وجهه مخيف .. وقال الرجل للجدع .. مين اللى معاك ده ؟

فقال له الجدع : ده حموده واد جديد .. انما يعجبك وعرفت بعد ذلك أن هذا المكان هو الذى يتم فيه تدريب الاولاد على النشل وجمع القمامة .. وأن هذا المكان هو عبارة عن مدرسة للمعلمة . كما أنه يتم التخلص من الاطفال الذين يحاولون الهرب فى هذا المكان بعد أن يذبحوهم مثلما يذبح الدجاج .. وأحيانا يتم ذبحهم أمام بعض زملائهم حتى يصابوا بالرعب والخوف طوال عمرهم من المعلمة ورجالها .

وانتظرت عند المعلمة بعض الوقت أسبوعا ثانيا الى أن أوفدت فى بعثة أخرى الى جبال زينهم مع أحد رجالها واسمه (النرخ) وبعد أن وصلنا الى مجرى العيون .. بعد حدائق زينهم قال لى : اسمع تعالى نقعد على القهوة شوية .. وعرفت فيما بعد أنها كانت فكرة خبيثة من النرخ لكى يحل الظلام .. فعندما أذنت العشـــاء .. أخذنى وسار بى فى طرق متعرجة وكنت خائفا أن تكون فى هذه المرة قتلى فقد أخرج الرجل الخنجر من جيبه مرات عديدة ولكنى أدركت أنه يخيفنى وفعلا تظاهرت بالخوف .. وصلت الى المقر الآخر للعصابة . وعرفت أن هذا وكر آخر فيوجد حوالى ٣٥ رجلا و ١٥ سيدة يعيشون فى جحور وعرفت أن المعلمة تنيب رجلا يدير لها الوكر بالنيابة عنها وأن نائب المعلمة فى هذا المكان هو أبو شفتورة

.. واذا أبدى طفل رغبته فى الهرب فهم يعذبونه بوسائلهم المختلفة .. واذا كثر عدد الاطفال يرحلون جزءا منهم الى الاسكندرية والصعيد كل ثلاثة أطفال مع رجل فى أيام مختلفة .. واذا تأخر الرجل والاطفال عن الوصول يكون مصيرهم القتل خوفا من أنهم يكونون قد أبلغوا أحدا وتكلم أبو شفتورة معي وقال لى : دى شغلانة تكسب دهب .. ومكثت يوما فى حدائق زيتهم أنا والنرخ آكلت معهم نمت معهم .. رأيت الاطفال الصغار وهم يبكون ويطلبون الاكل والماء ولا مجيب .

وظللت فترة طويلة الى أن حدث أن طلبنى النرخ وأبو مجدع فى أحد الايام وأخذونى فى الجبل الاصفر وأفهمونى أن هذه مهمة من المعلمة وأخرج احدهم الخنجر وقال لى : يابن ال .. (أصناف من الشتائم لا يمكن ذكرها) لقد عرفنا حقيقتك والآن سنقتلك .. اتكلم انطق .. ووقف الكلام فى حلقى ولم أستطع الكلام كانني أصبت بخرس .. وتخيلت انه ربما يكونون قد عرفوا حقيقتى وأن نهايتى قربت ومر أمامى شريط سريع بحياتى وتذكرت والدتى الوحيدة ومن سيعولها وأخى ليس فى بلدتنا بل فى بلدة أخرى وبينما أنا أفكر وهم يضحكون ويصرخون كانهم أكلة البشر فى احدى غابات افريقيا .. يرقصون ويضحكون ويدقون الطبول قبل أكل الضحية ووضعها فى الماء المغلى .. ولم أفق الا على صوت النرخ وهو يقول لى : انت خفت .. دا أنت راجل خرع قوى احنا بنهزر معاك ؟!

وبالرغم من أنه اعترف انهم كانوا يضحكون الا أننى كدت أموت من الفزع لدرجة أن رجلي لم أقدر أن أقوى على السير عليها وأحسست أن أوصالى مفككة .

وعدت مرة أخرى الى المعلمة وحكيت لها ما دار مع النرخ ووجدتها تقول لى : تعرف يا حموده انا فعلا بدأت أتضايق .. اللى عملته فى العيال الصغار وذبحهم حبيبجى اليوم اللى ربنا ينتقم منى فيه انما الله يجازى اللى كان السبب .

قلت : ومن الذى كان السبب ؟

قالت : زيطة ..

قلت : ومن زيطة ؟

اجابت : زيطة الشخص الوحيد الذى أحببته .. تصور أنا جميع الرجال كانوا يتمنون كلمة منى .. انما أعمل ايه فى الحب .. أعمى زى ما بيقولوا .. احببت زيطة فمسح بى الارض .. ولم



« البير » أو المقبرة التي كان يدفن فيها الاطفال بعد ذبحهم والاعتداء عليهم ، وقد اكتشف هذا « البير » بعد أن اعترفت «المعلمة» زعيمة العصابة بكل شيء عن عصابتها الرهيبة !!

أيأس الى أن تزوجته ٠٠ ولكنه كان يحب الاولاد ٠٠ ولم أستطع أن أنجب له ما يريد فقد كنت عاقرا ٠٠ فكرهت الدنيا وكرهت نفسي وبدأ زيطة ينصرف عني وأحب خادمتي أو صبيتي الحقيرة نوال ٠٠ وكرهت نفسي مرة أخرى هل معقول أنا الجميلة ينصرف عني زيطة ويتزوج نوال وقررت أن أنتقم من كل الرجال ٠٠ كنت أحب خمسة أو عشرة رجال في وقت واحد وأطلب من كل راجل طلبا معينا وأقول له ألا يبوح بالسر حتى لا يعرف الآخر وكان اذا ضايقني أى راجل أطلب من حبيبى أن يؤدبه ٠٠ الى أن وجدت نفسى فى يوم زعيمة عن طريق توقيع الرجال كل رجل فى الآخر ٠٠ كلهم يكرهون بعض انما أنا الوحيدة حبيبة الجميع وفكرنا ماذا نفعل وكلهم من ذوى السوابق وبدأنا نخطف الاولاد حتى أحقق هدفين فى وقت واحد . الاول أشفى غليلى فى عدم انجاب الاولاد وأحرم كل أسرة عندها ولد لكى يشعروا بالنار التى تجرى فى صدرى وفى نفس الوقت نكسب عن طريق خطف الاولاد عن طريق طلب « الفدية » وعملنا التخطيطات وكونا العصابة وأخذت المعلمة تقص على حكايات وقصصا عن العصابة .

وقلت للمعلمة لماذا تقولين لى كل هذا ؟

قالت : لاننى انشرحت لك .

قلت : هذا حب زائف مثل الآخرين .

قالت : أبدا انما العصابة كلها تخاف منك لان أسلوبك فى التعامل غريب يعنى باين عليك ابن ناس شوية ولابس فانلة بحملات مثل ضباط البوليس ٠٠ انما أنا الى ضمنتك يا اما تطلع ابن ناس أو ابن ال ٠٠٠

قلت لها ولماذا تفعلين هذا ٠٠ تقتلين الاولاد وتتمتعين بمنظر الدماء وتحاولين أيضا أن تهدرى كرامة الرجال بذكائك ٠٠ ؟

قالت المعلمة : الحب هو السبب . لقد أحببت رجلا وكنت أعبده وتزوجته وأعطيته كل ما أملك وطلقنى لاننى كنت عاقرا ورجوته أن أعمل خادمة عنده بعد زواجه طبعا ٠٠ لذلك كنت أنتقم من الاولاد لان لولاهم لكنت سعيدة وكنت أنتقم من الرجال أيضا لان بسببهم كنت أتعس مخلوقة فى الدنيا ٠٠

قلت : ولكن هذا لا يبرر القتل والذبح والاهانة ٠٠

قالت : أنت نسيت نفسك والا ايه ٠٠ أنت حتدينى مواعظ روح

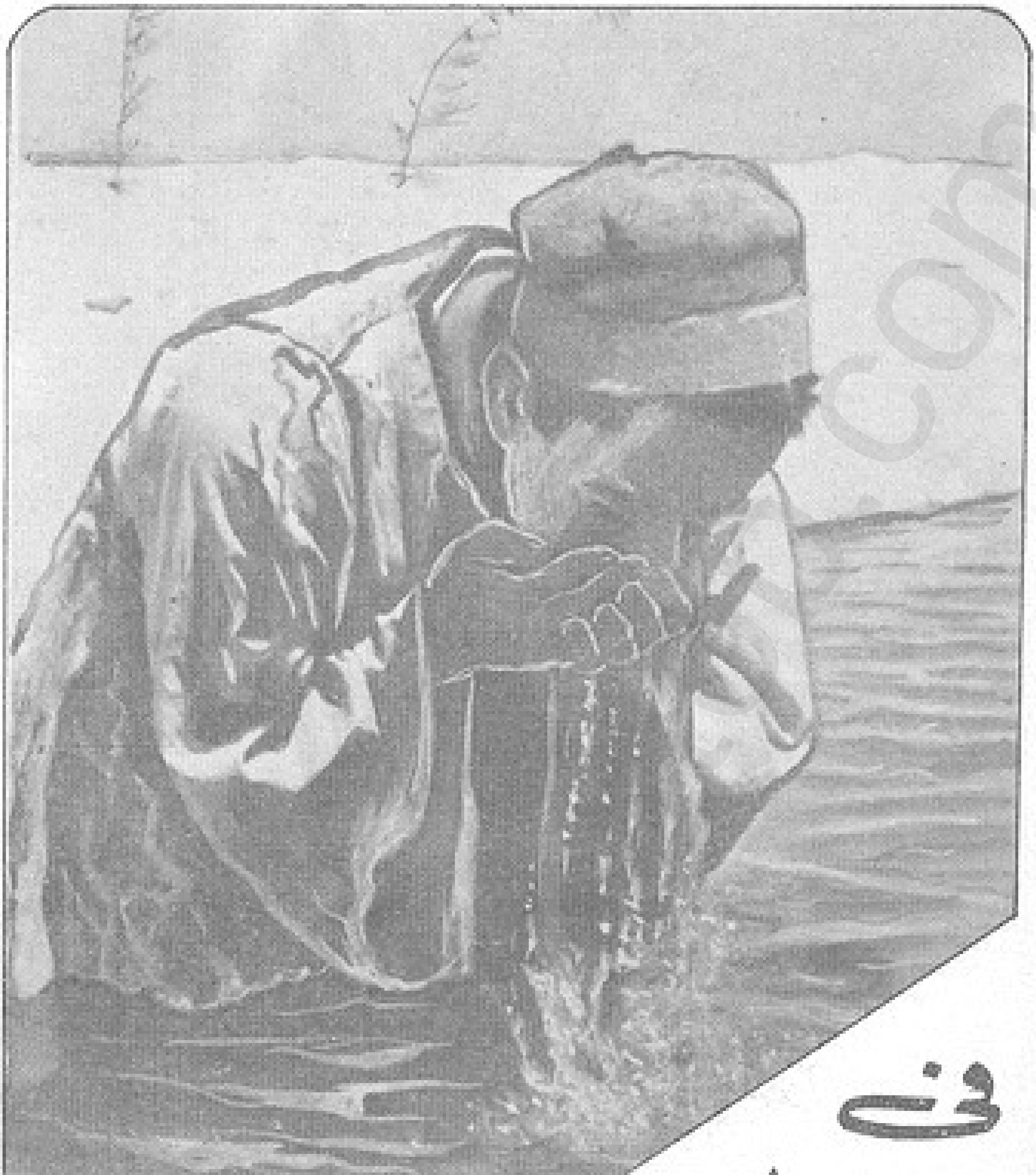
شوف شغلك ·· لا تقلب على المواجع ·· المهم انني أحبك الآن وأنت رجلي ·· !!

وقويت العلاقة بيني وبين المعلمة حتى أصبحت الرجل الاول في العصابة احركها كيف أشاء لدرجة أن المعلمة قالت لي في يوم من الايام اسمع ياحمودة ·· أنا أحببتك ·· أنا عرفت رجالة عدد شعر رأسي لم يخفق قلبي بالحب ، لاني أعلم بأن كل الرجالة كدابين في منتهى الانانية مصلحتهم أهم ، والست الشاطرة هي التي تنتقم من الراجل ·· انما انت أسلوبك غريب وكلامك غريب ودمك خفيف ·

وطبعا لم أصدق المعلمة فقد علمت بأن هذه الاسطوانة التي قالتها لي اسطوانة معادة قالتها لاكثر من مائة رجل قبلي ·· ! الى أن حدث في أحد الايام أن طلبت المعلمة أن أذهب مع جماعة من العصابة الى مسطرد لنصلح أحد أفراد العصابة على أسرته وفي وسط الطريق تكرر ما كان يريد أن يفعله النرخ وأرادوا قتلي لانني أصبحت من أصدقاء المعلمة المقربين ·· الا أنه حدث أن المعلمة كانت قد أوفدت معي واحدا من طرفها وقف في سبيلهم وكادت تحدث معركة كبيرة استعملت فيها العصى وهدأت المعركة وتصـــافت النفوس بسرعة عجيبة مثلما قامت المعركة بنفس السرعة وانقلبت المعركة الى هزار والقاء التكت ·

وأدركت أنه لابد أن أرحل عن العصابة ·· لان الله سلم في هذه المرة فقد كانت هزار ·· فربما تكون في المرة الاخرى جدا وطلبت أن أعلم عددا من الاطفال جمع أعقاب السجاير والنشل وأعطوني خمسة أولاد ·· وأخذتهم وتعمدت أن أبعد بهم حتى وصلت بهم الشارع وأنا في كل لحظة أتوقع أن يفاجئني أحد منهم ·· ولم يفاجئني أحد لانهم كانوا يثقون بي ولا يدور بخلدهم أنني صحفي ·· وأخذت الاولاد وتعمدت أن أختار أولادا من سن ٩ حتى الثانية عشرة حتى يرشدوني الى عناوين أولياء أمورهم وفعلا أوصلتهم الى أهاليهم ·· وعندما رأت احدى الامهات وهي زوجة لمهندس كبير ابنها أغمي عليها ·· والد آخر وأنا أعطي له ابنه لم يصدق ·· وقال لي أن أم الولد جنت وذهبت الى مستشفى بهمان للامراض العقلية ·

ان الذى رايته يجرى فى العصابة أقوى من الخيال .. ومهما كتبت فلا أستطيع ان أقول كل ما رايته .. ولم يرتح لى قلب الا بعد أن قبضت الشرطة على العصابة كلها بما فيها المعلمة ، ووجدت الاولاد والرجـــال أتباع المعلمة ، وجـدتهم وهم يتفرجون على احدى البنات المخطوفات وهى ترقص .. وقبض عليهم جميعـــا واستراح الناس من شرورهم .. وعزلت أنا من سكنى وسكنت فى سكن آخر فربما تعقبت العصابة مكانى لانه كان يوجد لها فروع فى الاسكندرية والصـــعيد ثم ما لبثت أن تركت هذا الوهم وأدركت أن العمر واحد والرب واحد وأننى تعرضت للقتل مرات ونجوت وان عمر الشقى بقى !! ولم أر المعلمة بعد ذلك الا فى المحكمة وهى تحاكم وسألها القاضى اشمعنى « حمودة » أقصد الصحفى عبد العاطى حامد الذى سلمت له بهذه الطريقـــة .. قالت المعلمة .. لاننى كنت أفتقد الى الكلام الجد لان يعاملنى انسان لشخصى وليس لجسدى ورغم أننى أعلم مقدما بأنه سيكون مصيرى السجن أو الاعدام فانا لم أندم على هذا لقد عشت أياما حلوة وسنين مرة .. وان الحكم الذى سيصدر على هو ذنب الاطفال « الغلابا » فالله يمهل ولا يهمل .. وحكمت المحكمة على جميع العصابة بالاشغال الشاقة المؤبدة ودخلت المعلمة السجن .. ومازلت أزورها الى الآن فى سجن القناطر .. وسألتنى المعلمة فى أول زيارة لماذا تزورنى وانت الذى أدخلتنى السجن قلت : الواجب شىء ، والانسانية شىء آخر !!



في الماء والطين والبلهارسيا خدعت مقاولي الأنفار!

إرتديت الأسمال وشربت الطين

ووقفت بنصف جسمي في مجرى البلهارسيا وكنت لا اختلف عن الالاف عن عمال التراحيل واكلت البصل والمش ابو دود وخرجت بالاميبا والانكلستوما والبلهارسيا وهذا الموضوع ·

مكثت مدة استمع الى كاتب المقاول وهو ينادى بصوته الخشن الغليظ اسماء عمال التراحيل .. كان عددهم كبيرا .. وكنت ارقب سماع اسمى واخشى ان يكتشف احد الموجودين حقيقة امرى ولذلك اضفت فى مقدمته اسم محمد . وبعد فترة شق اذنى الصوت الخشن الغليظ وهو يصيح :

ـ محمد عبد العاطى حامد ·

ـ افندى ..

ومشيت ببطء .. وفكرة الخوف من أكتشاف أمرى ترفع دقات قلبى ·

وصاح الصوت الخشن :

ـ تعال يا واد اجرى .. مالك خايف كده .. اجرى شوية يا ابن الكلب أقف فى الطابور ·

آلمتني هذه الكلمة ودار فى خاطرى أن أرد عليه ولكن عندما سمعته يسب الجميع رجالا وسيدات شبابا وبنات بأفظع الشتائم وجدت أن صاحبنا قد تراف بي وبحالى وجريت فعلا على آخر ما أستطيع ..

وقفت الى جانب زملائى عمال الترحيلة حتى انتهى كاتب المقاول عبد الباسط أفندى من النداء على جميع العمال .. ثم بدأ يحاول أن ينظم منا طابورا .. واستعان فى ذلك بعصاه الغليظة التى أصابتنا جميعا رجالا ونساء على ظهورنا ·

وأخيرا صاح : العدد تمام ٢٣٥ .. أقعدوا شوية لحين وصول العربية .. وجلسنا فى انتظار السيارة .. تعرفت على عدد من العمال أخوانى فى الرحلة ·

قال عم سعد (حوالى ٥٥ سنة) : ايه جابك تشتغل فى الترحيلة يابنى ..

قلت : أعمل ايه بيقولوا الايد البطالة نجسة ؟

قال : يا بنى شاف لك شغلة تانية غير الشغلانة المهببة دى أتعلم لك صنعة أحسن من البهدلة دى ؟

قلت يا عم الحاج بيقولوا الترحيلة اتحسنت عن الاول كتير .

أجاب وهو يهز رأسه بسخرية : أتحسنت يابنى ده كلام جرايد .. أهو أنت حتشوف بعينك .

وسألنى آخر واسمه سيد أحمد : كنت بتشتغل فين قبل كده .. أيدك مش باين عليها الفلاحة ؟

أجبت : اشتغلت خدام مدة لكن الخدمة مش قوى .. قلت أشتغل فى الترحيلة .

قال بسخرية ما أسخم من سيدى الا ستى !

ورد عليهم ثالث لا أعرف اسمه : يا شيخ سعد يدوق من اللى احنا *بندوق منه .

وصلت السيارة .. وقام عبد الباسط أفندى بعدنا مرة أخرى .. وفى أثناء العد يضربه خيزرانه ثم يرمى الواحد منا الى اليمين أو اليسار .. كما يرمى الانسان طوبة أو كأنه يعد أشياء لا قيمة لها .. ونادى على اسمى وركبت السيارة ونظرات عبد الباسط أفندى تفحصنى من فوق الى تحت وتشيعنى الى حين ركبت السيارة .

وفى الطريق من المنوفية الى مديرية التحرير .. تذكرت كيف بدأت هذه التجربة فعندما ذهبت الى أحد أقاربى فى قرية الكوم الاخضر بالمنوفية .. وطلبت منه أن أعمل فى التراحيل .. وسألنى بدهشة .. هو انت بطلت تبيع جرانيل .. ؟ (وضحكت فقد كان يظن أن عملى فى الجرايد هو بيعها ؟) .

قلت : أيوه .. أنا فكرت أشتغل فى الترحيلة شهر عشان أوفر مصاريف العيد .. ما أنت عارف ان لى أخوات يتامى مالهومش حد الا ربنا وأنا .. وقادنى الى مقاول انفار اسمه محمد الصعيدى قال له الواد ده معرفة ويود أن يعمل فى الترحيلة .. وأعطانى الرجل

قال عم سعد (حوالى ٥٥ سنة) : ايه جابك تشـــتغل فى الترحيلة يابنى ٠٠

قلت : أعمل ايه بيقولوا الايد البطالة نجسة ؟

قال : يا بنى شاف لك شغلة تانية غير الشــغلانة المهببة دى أتعلم لك صنعة أحسن من البهدلة دى ؟

قلت يا عم الحاج بيقولوا الترحيلة اتحسنت عن الاول كتير ٠

أجاب وهو يهز رأسه بسخرية : أتحسنت يابنى ده كلام جرايد ٠٠ أهو أنت حتشوف بعينك ٠

وسألنى آخر واسمه سيد أحمد : كنت بتشتغل فين قبل كده ٠٠ أيدك مش باين عليها الفلاحة ؟

أجبت : اشتغلت خـــدام مدة لكن الخـــدمة مش قوى ٠٠ قلت أشتغل فى الترحيلة ٠

قال بسخرية ما أسخم من سيدى الا ستى !

ورد عليهم ثالث لا أعرف اســـمه : يا شيخ سعد يدوق من اللى احنا *بندوق منه ٠

وصلت السيارة ٠٠ وقام عبد الباسط أفندى بعدنا مرة أخرى ٠٠ وفى أثناء العد يضربه خيزرانه ثم يرمى الواحد منا الى اليمين أو اليسار ٠٠ كما يرمى الانسان طوبة أو كأنه يعد أشياء لا قيمة لها ٠٠ ونادى على اسمى وركبت السيارة ونظرات عبد الباسط أفنـــدى تفحصنى من فوق الى تحت وتشيعنى الى حين ركبت السيارة ٠

وفى الطريق من المنوفية الى مديرية التحرير ٠٠ تذكرت كيف بدأت هـذه التجربة فعندما ذهبت الى أحد أقاربى فى قـرية الكوم الاخضر بالمنوفية ٠٠ وطلبت منه أن أعمل فى التراحيل ٠٠ وسألنى بدهشة ٠٠ هو انت بطلت تبيع جرانيل ٠٠ ؟ (وضـحكت فقد كان يظن أن عملى فى الجرايد هو بيعها ؟) ٠

قلت : أيوه ٠٠ أنا فكرت أشتغل فى الترحيلة شهر عشان أوفر مصاريف العيد ٠٠ ما أنت عارف ان لى أخوات يتامى مالهومش حد الا ربنا وأنا ٠٠ وقادنى الى مقاول انفار اسمه محمد الصعيدى قال له الواد ده معرفة ويود أن يعمل فى الترحيلة ٠٠ وأعطانى الرجل

جنيها كعربون لكي أجهز (الزوادة) وسألني تعرف تقرأ ولا تبصم

قلت : ليه .. ؟

ــ عشان تمضى على الوصل ..

ــ لا بابصم ..

ــ هات ايدك ..

وأمسك بيدى ووضع على اصبعى قلم الكوبيا وبصق عليه بشدة .. وضغط باصبعى على ورقة صغيرة تمثل ايصالا باستلامى ثلاثة جنيهات .

قلت : بكام الوصل ده ..

أجاب : بلاش غلبة دى حاجات عشان الحكومة .. أمال فاكر ايه .. تاخد جنيه ونسيبك هيه سيبيه دا مال حكومة .. ؟

تنبهت على صـــوت العمــال المرصوصــين فى السـيارة الكبيرة كأنها علبة سردين وهم يغنون أغانى جماعية :

ع الزراعية يا رب أقابل حبيبى ..

ع الزراعية ويكون حبيبى نصيبى ..

(انهم مساكين يسلون أنفسهم ولا يفكرون فيما يحمله لهم الغد وما ينتظرهم من مفاجآت) .. وتتوالى الاغـــانى أغنية بعـــد أخرى .. ووصلنا الى مديرية التحرير فى المســاء، وفى القطــاع الشمالى منها .. وعلى التحديد فى الخرطة رقم٤٥ .. استلمنا مقاول آخر اسمه يونس عرقوب وهذا يعتبر مقاولا أرقى من المقاول الذى جمعنا من المنوفية فالمقاولون أنواع مقاول صغير ويجمع الانفار من البلدة ومقاول كبير يستلم الانفار ويوزعها ومقاول أكبر هو الذى يقوم بالتنسيق بين جميع المقاولين وكل مقاول يستغل العامل على حسب منصبه فالمقاول الصغير يكسب والمقاول المتوسط يكسب ، والكبير يكسب أكثر والخاسر الوحيد هو عامل التراحيل ويونس عرقوب هو المقاول الذى ذهبنا اليه، صفاته لاتختلف كثيرا عن اسمه .. فقد كان عرقوبا فى كل شئ، وأعنى بهذا أنه دقيق فى كل شئ، الا صالح العمال .. فهو يحرص على أن يأخذ وقتا كبيرا من العمال زيادة عن وقته .. ويحرص أيضا على أن يضرب العمال بالخيزرانة غالبا وبالكرباج احيانا .. وبعد ما صنع فينا ما صنع .. تركنا لاحد مساعديه ويدعى زقزوق .. الذى قام ببعض الاجراءات فكتب

أسماء العمال فى الكشوف ويسمونها (الشواليش) وعن طريقها يتم حصر حضور وغياب العمال ؟

وانتهت الاجراءات وصدرت لنا الاوامر من لمقاول بأن ننام كل مائة عامل فى عنبر مساحته أربعة فى خمسة متار ·· وسقفه يشبه سقف المقابر ·· وهو من الصفيح المتآكل بالصدأ ·· وتضيئه لمبة صفيح فتيلها مشتعل ·· ويخرج منه الدخان كالصاروخ ·· ولذلك أطلقوا عليها اسم الصاروخ ·· وأدركت بينى وبين نفسى الفارق الكبير بين الصاروخ الذى يحمل رواد الفضاء الى القمر والصاروخ الذى نعيش في ضوئه··سبحان الله الفرق واضح بين العلم والجهل بين النور والظلام بين المدنية والتأخر · الصاروخ يحمل المركبة القمرية ولا ذرة دخان تدخل الى أنوف رواد الفضاء ·· والصاروخ الذى نعيش على ضوئه يملأ أنوفنا وصدورنا برائحة الغاز والدخان ·· بالتأكيد سنصاب بمرض خبيث من الدخان والغاز وسيساعد على هذا اننا نتغطى بالاجولة والهواء يصفع ظهورنا مخترقا صفيح العنبر المتآكل كأنه الرصاص ·· ويزداد انكماشنا فى بعضنا البعض ونصبح كأننا كتلة واحدة من اللحم ·· الرجال والنساء ينامون فى مكان واحد ·· وكم من المهازل ترتكب فى الظلام ؟ ··

همست فى أذن زميلى الذى ينام بجوارى : أريد أن أتبول ·· ؟

قال : تبول فى العنبر بدل ما تخرج فى البرد ·· كلهم بيعملوا كده ·· روح هناك جنب الزير ؟

واكتشفت فعـــلا أن كلهم بيعملوا كده ؟ فبجانب الزير اناء كبير للشرب ، مباشرة توجـد حفرة صـغير للبراز والبول ·· وبجانبها ــ كوز الزير ــ المصنوع من علبة السلمن المغطاة بطبقة كبيرة من الصدأ ·· يسقط العامل « الكوز » فى الزير ويشرب ·· ويعيده الى مكانه ·· ولذلك فماء الزير ملئ بالقاذورات ؟

ولم أنم لحظة فى عنبر العجائب ·· فقد كنت أفكر كيف تعيش فئة من الناس مثل هذه الحياة ·· ان العامل الزراعى هو أساس هذا البلد ·· انه الفلاح الصغير الاجير العـامل ·· انها صـورة بائسة ·· ورغم ذلك تراهم يضـحكون ويغنون وسألت نفسى على ماذا يضحكون ويغنون ؟ ·· على هـذا البؤس الذى يعيشـون فيه ·· أم أن الله يســهل كل شئ على عباده ·· نعم انهم لو تفكروا كيف يعيشون لوضعوا حدا لحياتهم التى يعيشونها انما يجب ان يضحكوا ويغنوا لينسوا همومهم وتعبهم ·· لقد خرجت من عنبر العجائب بروماتيزم حاد فى المفاصل ما زلت أعانى منه حتى الآن ·

صحوت مبكرا .. أخذت المقطف والفاس وذهبت الى منطقة العمل .. كنت أفحت الارض .. وأجمع التراب وروث البهائم وأضعه في السيارة .. الريحة تزكم أنفي وظهري تقوس .. وعرقي يختلط بروث البهائم وبالتراب فيتحول الى طين فوق جسدي .. كدت أن أبكي من التعب الله يكون في عون عمال التراحيل .. فعلا .. كلمة قلتها بيني وبين نفسي بعد أن أدركت التعب .. وجاء ملاحظ العمال عبد الصمد وهو يمثل المقاول يونس عرقوب في هذه اللحظة كنت أريح نفسي من التعب الشـــديد فدفعني عبد الصمد بيده وقال : اشتغل أحسن أخصم منك اليوم .. انت جاى تتفسح واللا أيه .. وعندما تكاسلت قليلا أسرع عبد الصمد وهو يقول مخصوم منك تلاته صاغ !! يا خبر .. تلاته صاغ لاني رفعت ظهري انهم يريدون أن تظل ظهورنا ورؤوســـنا أيضـــا منكسة دائما .. متجهة نحو الارض .. وجاء موعد الغداء فوجدتهم يوزعون علينـــا كل فرد أربعـــة أرغفة كل رغيف ينـــافس الحجر في صلابته وعلى وجه الرغيف علامات زرقاء كأنها كدمات انهـــا العفن الذي ينتشر في العيش .. وعلى وجه الرغيف أيضا توجد سحابة بيضـــاء كأنها عش العنكبوت ..

وسألت عبد الصمد : هو العيش ده من اليومية ؟ ..

قال : لا .. يوميتك عشرة قروش و ٤ أرغفة عيش من عندنا .

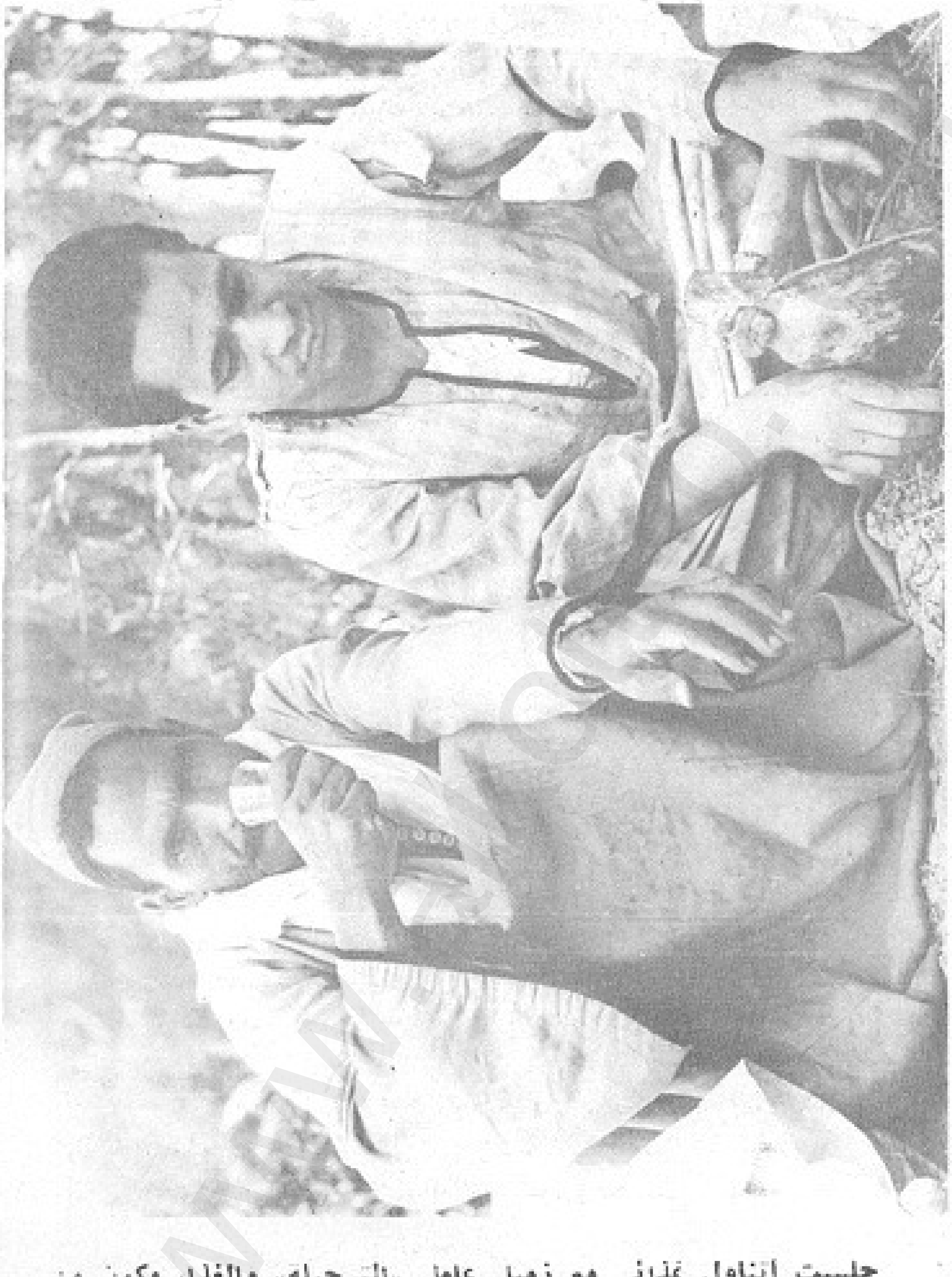
قلت : يا نهار أسود عشرة قروش بس .. ده حرام .. ده ظلم .. أمال فين اليومية بتاعتي أنا مفروض أخذ ٢٥ قرشا .. القـــانون كده .

قال عبد الصمد وهو يضحك .. نعم ياخويا .. ليه انت فاكر نفسك مستوظف وحياة أمك دا بتوع الحكومة ما بيخدوش ٢٥ قرش .. هو انت تستاهل تلاته تعريفة .. طيب والله العظيم ولا ثلاثة مليم .. زملاؤك بيقبضوا عشرة قروش وأربع أرغفـة .. تقوم انت يامفعوص عاوز تاخذ ٢٥ قرش .. استنتى أنا حاوريك .. تعالى يا بنت يا نفيسة .. بتاخذى كام يومية ؟

ـ عشرة قروش و ٤ أرغفة يا سي عبد الصمد .

ـ وانت يا عم محمود بتاخد كام يومية ؟

عشرة قروش و ٤ أرغفة ..



جلست أتناول غذائي مع زميل عامل «الترحيلة» والغذاء مكون من
المش ابو دود والبصل والعيش الذى انتشر على وجهه «العفن» .. وهذا
هو غذاء عمال الترحيلة الذين يعملون ١٨ ساعة في اليوم !

ـ وانت يا ست ٠٠ (شـــابة فى حوالى العشرين من العمر) بتاخذى كام ؟ ٠٠

ـ عشرة قروش وأربع أرغفة ٠٠

ثم قال وهو ينظـــر الى باحتقـــار : ان كان عاجبك على كده اشتغل ماكانش عاجبك هات حقنا وغور فى حته تانية ٠٠ انت عارف عليك كام ٠٠ تلاتة جنيه ونصف وحياة أمك ؟؟

قلت : تلاته جنيه ازاى ٠٠ ده أنا واخد جنيه واحد وتصف بس ٠

قال : واتنين عشـــان حتسيب العمـــل وحنضطر نجيب واحد تانى والعمل طبعا حيتأخر وانت باصم على كده ٠٠ امال ايه ٠٠ يعنى شغل الحكومة يتعطل ؟

ونظرت للرجل بغيظ وأنا أكاد أبكى ٠

وفى المساء اشتكانى عبد الصمد الى عبد العظيم مساعد المقاول لاننى تكلمت على أجرى فشتمنى أمام الانفار ٠٠ وهددنى بأنه اذا تكرر ذلك فسيسلمنى الى الشرطة على أنى حرامى ٠٠ ويقطع عيشى؟؟

وبعد سبعة أيام من عملى مع المقاول عرقوب ٠٠ ذقت فيها أنواع العذاب الذى لا يوصف ٠٠ هربت الى مقاول آخر ٠٠ وعرفت فيما بعد أن عرقوب قدم الايصال على أننى أخذت ثلاثة جنيهـات نظير العمل ١٢ يوما ولكنى هربت ؟ اشتغلت مع مقاول تان اسمه رجب أبو زيد ٠٠ قلت للباشكاتب ٠٠ اننى كنت أعمل (مستلزمات) فى مديرية التحرير ولكنى أريد أن أعمل عنده أو تبعه وبعد أن قيدت اسمى فى الشواليش وهى الكشـــوفات الموجودة لدى المقـــاول ويحاسب عليها الحكومة ٠٠ وبعد أن قيدت اسمى سألته عن اليومية فأجاب :

ـ عشرة قروش وأربع أرغفـة واذا كنت مجتهد تزيد الى ١٥ قرش فى اليوم ؟ ٠٠

العنبر المخصص للنوم ٠٠ يشبه العنبر الذى رأيته عند المقاول الاول تماما ٠٠ أما العيش فيتميز عن الاول بأن به كميات كبيرة من (السوس) الذى يطير فى الهواء بمجرد أن تكسر الرغيف هذا بخلاف العفن والعنكبوت الموجود عليه ٠٠ وسألت زميلا لى واسمه السيد الجزار ٠٠ مافيش حد اشتكى منكم علشان اليومية القليلة دى ؟؟ ٠٠

قال : ومين حيشتكي .. اللي بيشتكي بيتعرف ويبقى نهاره أسود ؟ ده أي حاجة بتوصل للمقاول اذا واحد تقدم بشكوى فى المديرية واحد موظف يوصل للمقاول يقول له على الشكوى .. والمقاول يقراها أمام العمال وتكون النتيجة طرد العامل بعد ضربه . المقاول هو الحكومة يابني وحد يقدر يعادى الحكومة .. أقصد المقاول .

●●●

غيرت طبيعة عملي عند المقاول الجديد .. كنت أعمل عامل (كوريك) .. فالعمل مقسم فى التراحيل الى أنواع مختلفة .. العمل بالكوريك .. والعمل بالمقطف .. وعمل السبلة .. ؟

واشتغلت بالكوريك .. ووجدته أكثر مشقة .. فأنا ضعيف والكوريك يحتاج الى شخص قوي العضلات والبنية فكنت أرمى التراب فى الهواء .

واقترب مني ملاحظ العمال واسمه فتحي وقال :

ـ انت ما انتاش فلاح ..

قلت : ليه ؟ ..

قال هو انت عارف تمسك الكوريك .. ده انت بتعفر التراب فى الهوا .. انت كنت بتشتغل فين قبل كده ؟

قلت : باخدم شوية .. وبعدين اشتغلت فلاح ..

قال : لا .. انت لسه جاى بتتمرن .. يعنى انت ماتستهلش العشرة قروش .. كفاية عليك سبعة قروش .. وكفاية اننا حنعلمك ازاى تمسك الكوريك .. يعنى حنعلمك صنعة وانت عواطلي المفروض اننا ناخد منك فلوس مش نديك فلوس .

وفى أثناء حديثى معه سمعنا صرخة قوية .. رجلا يصيح بشدة يصرخ ويبكى رجلى انقطعت .. رجلى القزازة شقتها .. آه يا رجلى ؟ .. يا خسارتك يا أبو هلال ؟ ..

أسرعنا الى الرجل وجدنا الدم ينزف منه بغزارة .. وسألت زميلي :

فرج : فين المستشفى ؟ ..

فقال وهو يضحك بألم : هو فيه مستشفى .. ولا اسعاف .. احنا ناس مش محسوبين ليس لنا قيمة اللى يموت .. يموت زى

الكلب ·· بل الكلب له قيمة على الاقل فيه ناس بتشيله بتبعده من الطريق والا أحد يحاسبهم ·· انما المفروض أن يظل الواحد منا اذا حدث له حادث موجود فى مــكانه تظل جثته موجودة الى حين أن تحضر الحكومة : البوليس والنيابة والصحة والطبيب الشرعى الكل يتفرج عليه ·· الواحد منا ليس له قيمة الا عندنا يموت فقط سمعت واحد يقول هاتوا يا ناس شوية تراب وحطوهم على الجرح عشان يوقف الدم ؟

وجدتنى أصيح : مافيش (صبغة يود) ولا ميكروكروم ؟؟

ونظر الى الملاحظ وهو يردد ساخرا ؟ مافيش يكروكرون ·· أنت بندري واللا ايه ·· أنا مش قلت لك انت ماتنتش فلاح ؟؟ ··

قلت : الاسعاف ·· المستشفى يا ناس ·· الراجل حيموت ·· كلمات هستيرية أخذت أقولها ·

فقال أحد الحــاضرين : لا تتعب نفســك المستشفى جوه فى المديرية بجانب الموظفين الكبار ·· أنا مش قلت لك أنه لا يوجد حســاب لنا ·· فين المواصلات اللى تودينا المستشفى ·· ده مرة فيه كوريك وقع من السيارة على رأس واحد من العمال فشــقها زى البطيخة ·· وما عرفناش نسعفه ·· وفضل لما مات مكانه من ساعتين قدامنا زى الفرخة ؟

قلت : ولما مات الراجل ·· عمل ايه المقاول ؟

قال : ولا حاجة ·· اهو راضى مراته بخمسة جنيه ؟

قلت : ومراته ما اشتكتش ليه ؟

قال : تشتكى لمين يا سيدنا ·· ده كل موظفين المديرية أصحاب ·· المقاولين ·· كل يوم سهرانين معاهم ·· وبيقولوا لهم على كل حاجة ؟ ··

●●●

وسكت ابراهيم ·· ولكنى لم أسكت ·· كنت افكر طوال الليل ·· كنت أنظر الى الصــاروخ أو اللمبة الصفيح ·· وافكر كيف يعطى لهم المقاول هذه الملاليم القليلة ثم يحكمهم بهذه الطريقة ؟ وفى اليوم الثــانى سمعت حــكايات عن المقاولين وعلاقتهم بالموظفين قال أحد العمال تعرف المقــاولين الكبــار بيمســكوا الموظفين ازاى ·· المقاول من دول يعطى للموظفين الصغار المختصين بعمال التراحيل فى المديرية شوية سمن وجبنة قديمة وديوك رومى ··



أخذت أضرب الفاس وأجمع روث البهائم بينما وقف مقاول الانفار ينظر الى بشزر وفي يده الخيزرانة مستعدا للضرب على ظهرى !!

وفراخ وبط .. وســاعات يجيب لهم خدامين من أولاد العمـال بيشتغلوا في بيوتهم نظير انهم يبلغوه عن شكاوى العمال ويزوروا معاه الكشوفات .. فالعـامل مقرر له ماهية كبيرة بيقولوا ٢٥ قرش لكن المقاول بيعطينـا عشرة وهم يكتبون في الكشـوفات ٢٥ .. ؟ وانضم زميـل ثان في الكلام فقال : مرة واحـد كتب عريضة وأرسلها للمديرية .. فكان نصيبه علقة من المقاول .. وكل المقاولين قاطعوه لما بقى حيموت من الجوع .. وفيه حاجة تانية بعض الموظفين لهم راتب شهرى من المقاولين وعشـان كده بيتستروا على أعمالهم .

●●●

وفي اليوم الثالث أخذت أجازة على حسابي من جابر الملاحظ .. قلت له ظهرى يؤلمنى .. وفيه واحد من زملائى أخبرنى بوصـفة أو « لبخة » ساحضرها .. وبعد الحـاح وافق الملاحظ وذهبت بالجلباب الى مبنى المجمع بمديرية التحرير والموجود فيه الموظفون. قابلت ساعيا بسيطا في المجمع قلت له : أريد أن اقدم شكوى

قال : فى أيه .. ؟

قلت : فى المقـاولين .. بيعطونا يومية عشرة قروش والحكومة عاملة لنا ٢٥ قرش للواحد الموظفون هنا يساعدونهم .

قال الساعي (وهو ينظر بدهشة) : اما انت جرىء قوى .. جاى تقدم شكوى فى الحكومة ده انت وقعتك سوده ؟ وعندما نظرت اليه ببلاهة عاد يقول : اسمع يابنى انت باين عليك طيب .. عمر الميه ماتجرى فى العالى .. هنا حاجات كتير .. بلاوى بعيد عنك لكن اللى بيتكلم بينقطع عيشه .. واحنا عندنا أولاد . ورغم كلام الرجل فقد كتبت شكوى باسمى كعامل ترحيلة لانني لم احصل على أجرى اليومى الذى حددته لى الحكومة . وقابلنى موظف على الباب .. وهـو مخصص للاستعلامات ونبهنى بعدم اتخاذ مثل هذا الاجـراء لانه سيؤذينى .. وأنا صـممت على أخذ حقى ودلنى على موظف فى الشكاوى اسمه نبيل .. وأعطيته الشكوى فقال لى : امشى روح شوف شغلك وبعدين حنحققها .. وتنقلت فى المجمع وعرفت أشياء غريبة .

ــ بعض الموظفين فى مديرية التحرير يتقاسمون مع المقاولين أجر العمال عن طريق التزوير فى الكشوفات فالعامل يقبض فى الكشف ٢٥ قرشا وفى الحقيقة عشرة قروش أو ثمانية قروش .. أو عن طريق الزيادة فى عدد العمال بالكشف بأن يذكر أسـماء

مستعارة لا وجود لها فى الحقيقة .. ان ٢/٣ عدد العمال وهمى و١/٣ فقط هو الحقيقى .

- منذ مدة انتحر موظف فى المديرية اسمه رفعت ضبط يتعاطى رشوة من أحد المقاولين وعندما عرف العمال الصغار أبلغوا وزارة الاصلاح الزراعى فى القاهرة وعرف أنه سيحال الى النيابة العامة فانتحر .

وتركت مبنى مديرية التحرير ورجعت الى المقاول مرة ثانية وتناولت الغذاء مع زملائى العمال وهو مكون من مش ابو دود الذى يلعب فيه كأنه ثعابين حية وبصل وقشر برتقال مخلل والارغفة الاربعة . لقد ذهبت وأنا مرهق .. وعملت برغم تعبى والنتيجة اننى أصبت بالاميبا .. ما علينا ففى أثناء الليل قلت لفتحى زميلى مافيش ولا مرة تاكل لحمة لحد دلوقتى ؟

قال وهو يهز رأسه : لحمة .. لحمة ايه .. منين نجيب اللحمة .. ولزومها ايه اللحمة .. ربنا يديم علينا العيش والجبنة .

وبعد الظهر وفى الوردية الثانية نادى علي باشكاتب المقاول وقال انه استغنى عنى لاننى قدمت شكوى للمسئولين فى المديرية .. وعرفت ان الموظف أبلغه انى مشاغب وخطر عليهم .. ووصل لهم جميع ما قلته من كلام وجميع الالاعيب التى كشفتها . وطردنى المقاول واعطانى بقية حقى وقدره خمسة قروش فقط .. وأخذت الح عليه حتى يعطينى حقى ولكن كان من نصيبى خيزرانة فوق كتفى وجريت قبل أن تلحقنى الخيزرانة الثانية ثم مسك بطوبة وأخذ يرمينى بها وهو يقول يالله يابن المركوب .. ملعون أبوك وشتائم لم اسمعها من قبل .

●●●

وتركت مديرية التحرير وقابلت نائب رئيس الوزراء ووزيرى الاصلاح الزراعى والزراعة فى ذلك الوقت وحكيت لهم ما حدث وعن تجربتى الاليمة مع عمال التراحيل وعن المهازل الموجودة فى شواليش عمال التراحيل (الكشوفات) فقال لى نائب رئيس الوزراء فى ذلك الوقت اذن تقوم معك لجنة وأنت ترأس هذه اللجنة باعتبارك مفتش تحقيقات بوزارة الاصلاح الزراعى وتتنكر مرة أخرى وهنا توجد البراعة فى الا يكشفك المسئولون فى المديرية وانت بالطبع تعلم مكان الكشوفات المزورة والاماكن الموجودة فيها الانحرافات . وسلم علينا النائب وانصرفت انا واللجنة فى سيارة فاخرة ومعى زميل المصور حسن سعد على أنه مصور

الوزارة ٠٠ وارتديت البدلة الانيقة ومعى اعضـــاء اللجنة ٠ ٠ ووصلنا الى المديرية فى المســاء ونزلنا فى فنــدق المديرية باسم عبد العاطى حــامد المفتش العــام للتحقيقات بوزارة الاصلاح الزراعى ٠ وفى الصباح بدأت أمارس عملى ٠٠ الصــورة متغيرة تماما عن الصورة الاولى فبعد الشـــتيمة وضرب الخيزرانة والمش أبو دود تغير فأصبحت السلامات والانحناءات وانســتنا يا سـعادة البيك ونورت المديرية يا سعادة البيك والله يا ســعادة البيك بمجرد أن علمت بتشريفك فى المساء ٠٠ لم انم الليل من الفرحة ٠

وفكرت من الذى قال لهم بأننى وصلت الى المديرية انهم يعلمون ساعة وصــــولى بالضبط ٠٠ المهم بدأ سيل القهاوى والشــاى والليمون يوزع على وعلى أعضاء اللجنة ٠٠ رئيس مجلس ادارة المديرية يستقبلنى بالاحضان ٠٠ الموظف الذى ذهبت اشكو له من ظلم المقاولين والذى كنت اقف امامه لا قيمة لى لم أر له وجودا بل لمحته وأنا مع رئيس مجلس الادارة ٠٠صفرا على الشمال، بالعكس فالصفر لهقيمة عن هذا الموظف حتى لو كان على الشمال ٠٠ يا سبحان الله الصورة اليوم على عكس البارحة تماما ٠٠ ومررت على مكان عمال التراحيل ٠٠ كلهم يقدمون التحيات والاحترامات والانحناءات حتى مساعد المقاول الذى ضربنى بالخيزرانة وشتمنى ٠٠ وعندما مررت عليه لم يلاحظ أى تغيير على لم يعتقد بأننى كنت النفر الموجود عنده أمس ٠٠ أنا سعادة البيك بالنسبة له ٠٠ وقفت أمامه فترة دار بخلدى خاطر أن أضربه حتى تبرد نارى وذلك لوجود آثار الخيزرانة فوق جسمى الى الآن وبدأت أفتش، قصدت الى مكان الشواليش وكانت مفاجأة للجميع اننى اعلم مكان الشواليش المزورة بالضبط فى النصف الاسفل من الدولاب فيوجد نوعان من الشواليش (الكشوفات) شواليش للمرور وهى معتمدة باستمرار ونظيفة نوعا والشواليش الحقيقية ٠٠ وقرأت الاسماء الموجودة فى الشواليش وأشرت الى بعضها وقلت لهم :

ارجو ان تحضروا لى هذه الاسماء لاراها ٠٠ وأشـــك أنكم ستجدونها ٠٠ وفعلا اصفرت الوجوه ، فغير معقول أن يجدوا محمد عبد الوهاب ومحمد عبد المطلب وعبد الحليم حافظ وعبدالوهاب أو حافظ عبد الحليم وعبد المطلب وعبد المطلب محمد ، محمد رشدى الخ اسماء المطربين والمطربات وعلى رأسهم أم كلثوم ٠٠ وهذا يعنى أنهم كتبوا جملة الاسماء الموجودة ولم يبق ألا أسماء المطربين والمطربات حتى اسماء المطربين والمطربات عكسوها ٠٠

وخرجت بعد أن أثبت هذه المخالفة الخطيرة ٠٠ وأثبتت اللجنة هذه الملاحظات وأخذت تحقق على الفور مع الموظفين والمقاولين ثم وافق الوزير على فصل ومجازاة بعضهم بعد ذلك ثم منع بعض المقاولين من التعامل مع الوزارة ٠٠ ودخلت مخازن المديرية فوجدت هناك جرارات وآلات زراعية وأتوبيسات تقدر بملايين الجنيهات مدفونة فى التراب كذلك وجدت نقصا وسرقات ٠٠ وأحيل بعض الموظفين وكبار الموظفين فى المديرية الى التحقيق ٠٠ وواجهت بعض المقاولين بالحقيقة فانهاروا ٠٠ واعترفوا أمام لجنة التحقيق ٠

تركت لجنة التحقيق ورجعت الى القاهرة وفى ذهنى نقاط عديدة لعلاج نظام السخرة لعمال التراحيل ٠

– أطالب بالغاء نظام المقاولين القائم على الاقطاع والسخرة ٠

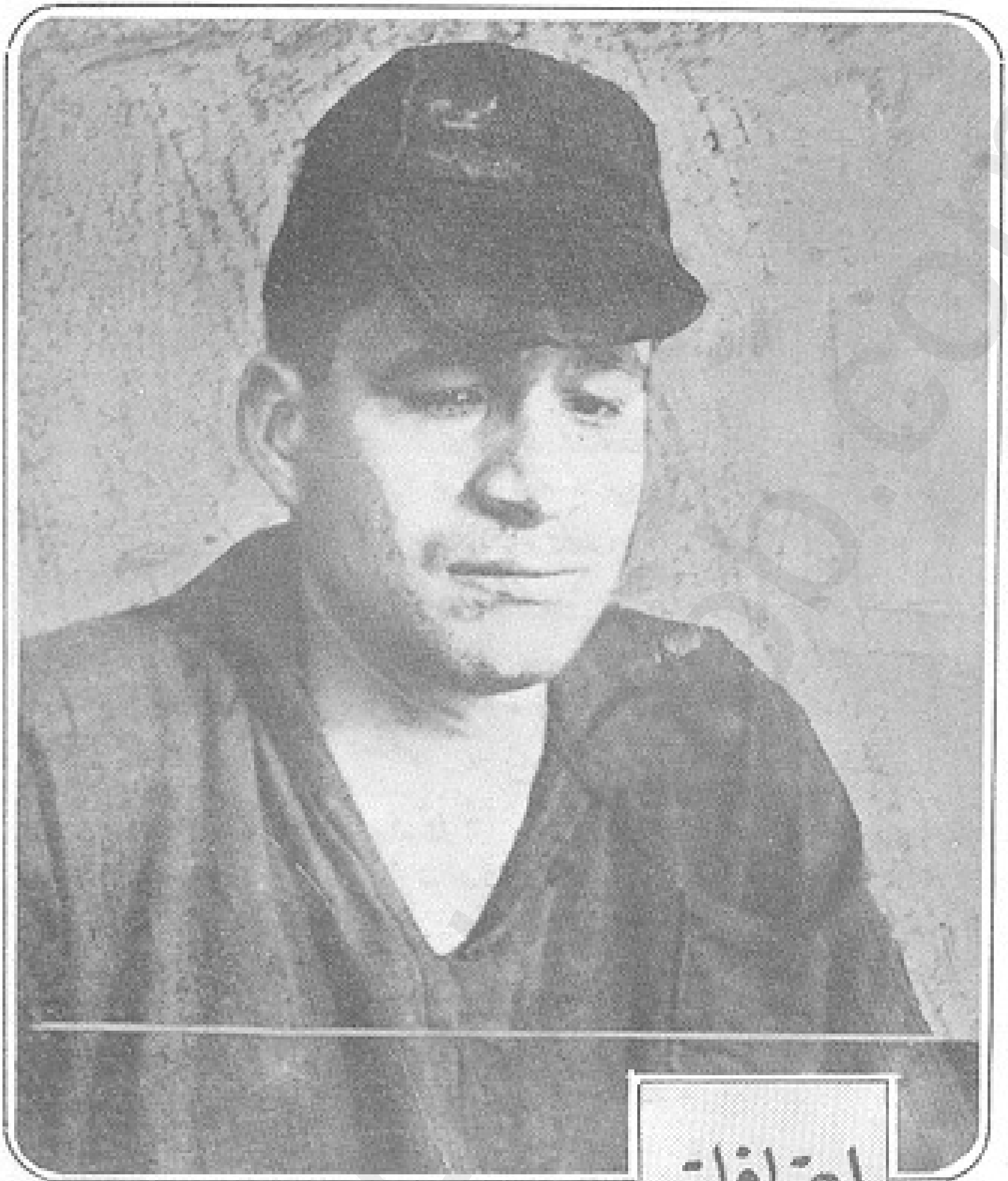
– يعاد تشكيل النقابات الزراعية من جديد ويستبعد منها أبناء المقاولين وأقرباؤهم المستغلون ويراعى أن تمثل نقابة عمال الزراعة عمال التراحيل ، لا طائفة المقاولين ٠

– يخضع نظام أجور عمال التراحيل للرقابة عن طريق انشاء مؤسسات لعمال التراحيل تشرف عليها وزارة العمل بالاشتراك مع المحافظات وتقوم وزارات الشئون الاجتماعية والعمل والثقافة والارشاد بدورها لتوعية عمال التراحيل اذ انى طيلة المدة التى تنكرت فيها فى زى عامل تراحيل لم ألمح باحثا اجتماعيا واحدا ولا قافلة للثقافة والاستعلامات ٠

– على وزارة الصحة أن تعد مكاتب للصحة لموالاة الكشف الطبى على عمال التراحيل وامدادهم بالاسعافات الاولية على الاقل ٠٠ وعلى وزارة التربية والتعليم أن تنظم لهم دروسا فى محو الامية وعلى وزراة الشباب أن تشركهم فى معسكرات ٠

– تعديل أوقات العمل بحيث تصبح ٧ ساعات فقط أسوة ببقية العاملين فى الدولة واذا أراد صاحب العمل أن يعمل العمال وقتا اضافيا فيكون بأجر اضافى وذلك لان عامل التراحيل يعمل ١٨ ساعة فى الـ ٢٤ ساعة بـ ٨ قروش وهذا الاستغلال بلا انسانية ٠

وبعد لقد أصبت بازمات صحية عنيفة .. كما أصبت بروماتيزم مفصلى حاد . وأخذت البلهارسيا والانكلستوما واكلت المش ابو دود وتعبت .. تعبت تعبا شديدا .. ولكن ليس هذا شيئا بالمرة وكله يهون .. من اجل الوصول الى مشكلة اربعة ملايين عامل زراعى فى بلادنا يعيشون وهم لا يعيشون .. فهم أحياء أموات .. كتب عليهم الشقاء .. ياكلون فتات الخبز بينما غيرهم يتاجرون باسمهم ويعيشون عالة عليهم .. وكما قال عمال التراحيل نحن نشقى ونتعب ويتاجر غيرنا بنا وتصيبنا الامراض ويسافرون هم الى الخارج ويبنون العمارات .. وأملنا أن نجد الحل .. المهم أن نصل الى هذا الحل فى القريب العاجل .



اعترافات

السجين رقم ٢٣١٣!

وجدت نفسي داخل السجن لا أحمل إسماً إنما أحمل رقماً

قالوا لي انك لم تعد عبد العاطي حامد ، انك الآن رقم فقط .. انك السجين رقم ٢٣١٣ .. تهمتك الاتجـار بالمخـدرات وعقوبتك السجن لمدة ٢٠عاما في ليمان طره .. وداخل العنبر رايت كل شيء مختلفا .. النـاس مختلفون .. الجرائم مختلفة .. الاجراءات مختلفة .. الحراسة مختلفة ..

اما كيف اصبحت السجين رقم ٢٣١٣ .. ؟ وكيف دخلت ليمان طره .. ؟

فهذا اول القصة ؟!

خلعت ملابسى .. وارتديت ملابس المساجين .. فأنا سجين مرحل من سجن الاستئناف بعد أن تعاركت هناك .. واننى أصلا كنت في سجن شبين الكوم وأخذت التذكرة الزرقاء .. وهى تذكرة تعطى لكل مسجون .. فيها رقمى فى الدفتر العمومى للسـجون ١٧٩٨١ . ورقم الملف الخاص بى ٢٣١٣ .. وعمرى ٣٥ سنة من مليج مركز شبين الكوم محافظة المنوفية .. تهمتى اتجار مخدرات .. دخلت السجن بتاريخ ٢ نوفمبر سنة ١٩٦٥ .. محـكوم على بالسـجن لمدة ١٥ سـنة .. تاريخ الافراج عنى عام ١٩٨٥ .. مكانى فى الدور الثانى بالحجرة رقم ١٣ .. عمل حجارة .. أى أحد أفراد الفرقة التى تحمل الحجارة على ظهورها .

وكتب فى أعلى التذكرة أن توصيفى درجة ثالثة .. فالمساجين ٣ درجات والدرجة الثالثة تعنى أن المسجون خطر .. يمنع عنه كل شيء .. زيارته محددة .. يخرج الى الجبل لكى يقطع الحجـارة ويحملها .. أما المسجون درجة ثانية فيعامـل معـاملة أحسن .. يصرح له بوجبات غذائية زيادة .. وزيارات أكثر .. المسجون درجة أولى قريب من الخـروج الى الحياة العامة .. تدخل اليـه الوجبات والفاكهة .. لا يخرج الى الجبل .. يمارس بعض الالعاب الرياضية داخل السجن .. حتى اذا خرج الى الحيـاة العـامة لا يصدم بالتغيير الشامل عن حياته في السجن فينحرف ؟

ودخلت الى السجن وسمعت السجان ينادى السجين رقم ٢٣١٣ ولم أرد .. لم انتبه في بداية الامر انه ينـادى على .. ولم أفق الاعلى دفعة قوية والسجان يقول لى :

ـ لماذا لا ترد ؟

فقلت له : هل ناديتنى ؟ ..

فقال : ما اسمك ؟ .

فقلت له : أنا أسمى عبد العاطى حامد .

قال : عندما تدخل السجن يختفى اسمك . يتحول الى رقم أنت الآن رقم ٢٣١٣ فقط ؟

وبدأت عملية تفتيشى بحثا عن الممنوعات مثل النقود والمخدرات وأمواس الحلاقة وخلافه .. وبعد أن فتشنى السجان بدقة ـ عندما علم أننى تاجر مخدرات ـ بدأ يستعرض عضلاته . أخذ يفهمنى من هو .. قال لى انه كل حاجة فى السجن . ولابد أن أحترمه والا فسيكون مصيرى الضرب على قفاى ؟

ثم أخذونى الى قسم التصوير .. وقام مصور السجن بالتقاط عدة صور لى فى جميع الزوايا ومختلف الاوضاع .. ووضعت صورة من هذه الصور فى ملفى .. وذهب الباقى الى أرشيف السجن الذى به كل المعلومات عن المسجونين .

وقادنى السجان الى العنبر رقم ٣ فى الدور الثانى بالحجرة رقم ٦٣ .. ثم فتح السجان باب الزنزانة ودفعنى الى داخلها بكل قسوة .. وكدت أقع على وجهى ولكنى تمالكت نفسى ووقفت وسط مجموعة غريبة من البشر .. فيها العجوز والكهل .. والشاب صغير السن .. كان عددهم ٢٢ شخصا وكلهم من تجار المخدرات وتركوا الطعام الذى كانوا يتناولونه . ونظروا الى نظرات غريبة .. وقال أحدهم بصوت خشن .. من أنت قلت وأنا أحاول التظاهر بالهدوء ضيف جديد .. وانهالت أسئلتهم واختلقت لهم قصة .. زعمت اننى كنت تلميذا وأن أحد تجار المخدرات أغرانى بنقل حقيبة الى القاهرة ولكن الشرطة قبضت على وقدمتنى الى المحاكمة وصدر ضدى حكم بالسجن خمس عشرة سنة وذلك حتى لا أورط نفسى فى أى موضوع أو أى اصطلاح مع تجار المخدرات وحتى لا يفهموا اننى مدسوس عليهم أو أنى متنكر ولا يأمنوا لى .. انما تلميذ وجريمة مخدرات ظلم فهذا معقول جدا ..

والحياة داخل السجن تبدأ فى الساعة السادسة والنصف تماما .. يقوم المساجين ويغسلون وجوههم داخل الحجرة . ففى كل حجرة مجموعة من « الجرادل » التى يطلقون عليها « دورات المياه » وذلك حتى لا يخرج السجين فى الليل وتحدث بعض الحوادث

الخطيرة كان يتعمد الذهاب الى دورة المياه ثم يهرب من حارسه ٠

بعد ذلك يطلق شاويش الجبل صفارته ٠٠ وهو الذى يشرف على نزول المساجين من حجرهم للذهاب الى طابور الصباح ٠٠ ثم بعد ذلك يذهبون الى الجبل ٠ وتكرر الصفارة مرة واثنتين وثلاثا ٠٠ ويقوم كل سجان بالتفتيش على الحجرات المسئول عنها حتى يطمئن الى نزول الجميع بعد أن يعدهم ٠٠ وبعد طابور التمام يذهب كل مسجون الى فرقته ٠٠ وتخرج الفرق الى الجبل ويعودون فى تمام الساعة الثانية ليتناولوا غداءهم ٠٠ ويأخذوا فترة راحة من الثانية الى الرابعة وتسمى فترة « المقيال » وفيها يختلط المساجين بيعضهم ٠٠ وفى تمام الرابعة يدخل كل مسجون حجرته ويوزع عليهم السجان العشاء ٠٠

والاكل داخل السجن يتكون من الخضراوات المطبوخة ٠٠ وهى ليست بالعناية الكافية ٠٠ فلا تعرف الملوخية من السبانخ ٠٠ أما طبيخ البقول واللحوم فهو عادى ٠٠ ويقوم بتوزيع اللحم داخل الحجرة أكبر السجناء وأقدمهم ويوزعها بطريقة غريبة ٠

وللنوم تقاليد غريبة فى السجن ٠٠ فالنمرة الجديدة ـ السجين الجديد ـ ينام فى مواجهة باب العنبر أمام (الجردل) ٠٠ والاقدم ينام على الصف واذا جاءت نمرة جديدة يدخل الاقدم منه فى الصف الى ان ينام اقدم المساجين فى واجهة الحجرة بعيدا عن دورة المياه الموجودة داخل العنبر ٠٠ ويسمون هذا المكان البعيد عن الدورة « بالمراية » والمراية أحسن مكان للنوم ٠٠ واذا حدث أن جاء سجين جديد ولا يستطيع النوم فى مواجهة الدورة فيعطى لزميله المسجون القديم ثلاث سجاير لكى ينام مكانه ؟

وأطفئت الانوار ٠٠ ولكن لم يغمض لى جفن ٠٠

وداخل السجن استمعت الى قصص وحكايات غريبة فهذا هو عبد العظيم ٢٢ سنة ـ وشقيقه هنداوى ٢٥ سنة ـ محكوم عليهما بالاشغال الشاقة المؤبدة فى جناية قتل لانهما اشتركا فى قتل أحد أبناء قريتهما لانهما اختلفا مع القتيل على طريقة الرى ومن الذى يروى أولا ٠٠ثم كانت الجريمة ٠٠

وهذا سيدهم من البدارى مركز أسيوط ٠٠ محكوم عليه هو الاخر بالمؤبد ـ ٢٠ سنة ـ لانه قتل احد أفراد قريته ٠٠ والسبب الثار بين الاسرتين وقد قام القاتل بضرب القتيل بالنار فى الظهيرة أمام الناس وهو يجلس على القهوة ٠٠ وبعد أن ضربه بالبندقية انهال عليه بالسكين الى أن قطعه قطعا صغيرة ٠

وعينة أخرى من الجرائم .. شخص اسمه عبد الباسط فوزى وشهرته الجن الاحمر .. كان متخصصا فى سرقة البنـــوك وفتح الخزائن .. ضبط وهو يسرق خزانة البنـــك الاهلى المصرى .. وعندما رآه الشرطى وقاومه ضربه هو وزميله .. والجن الاحمـــر يتكلم عن انه فتح معظم خزائن البنوك وأنه يستطيع أن يفتح أى خزانة ..

والقصص كثيرة ومثيرة .. وكل واحد من المساجين يقول أنه لم يكن مجرما .. بل ان الظروف هى التى جعلته مجرما . . فواحـــد يرجع سبب الجريمة فى نظره الى « الدلع » فى التربية .. والثانى يقول ان الطلاق بين الام والاب هو السبب فى انحراف الابناء وتكون النتيجة أن يدخلوا اصلاحيات الاحداث ومنها الى السجون .. وقليل جدا يرجع سبب الجريمة الى الحب .. وان بعض الرجال يحاول الظهور أمام « المحبـــوبة » بأن يسرق لكى يظهـــر أمامها .. ولكن ٩٠٪ من المساجين يعود سبب انحرافهم الى وجود خلل فى الاسرة .

وتجد الذين خرجوا من السجون يعودون اليها ثانيا ..وذلك لان المسجون يجلس مع عتاولة المجرمين ويسمع منهم مغامراتهم وحيلهم فى السرقة والقتل .

وأنا عندما جلست مع تجـــار المخدرات ــ وأنا مثلهم ــ كانوا يقولون لى : انت لسة فى سنة أولى روضة .. لابد أن نعلمك سر المهنة حتى تتخرج من الجامعة ؟

كان كل واحد منهم يحكى قصته مع الجريمة وكيف رجع اليها .. فالسجين عندما يدخل السجن لاول مرة يكون خاما .. ويختلف عن المسجون الذى يعود الى السجن .

ونجد أن كل واحد من عتاولة المجرمين يحلو له أن يحكى عن مغامراته وعن حيله التى اســـتطاع أن يغيب بها عن أعين الشرطة وارتكب فيها جرائم عديدة .. حتى سقط ؟

وفى داخل السجن نجد أن الاقوى بين المساجين ــ دائما ــ هـو الاقدم وتسمع من المساجين من يقـــول لك : أنا سوابق .. أنت لسه صغير .. وكلما كان السجين محكوما عليه بمدة أطول تجـد أن المساجين يعملون له حسابا أكثر ويسمونه (القران) أما المسجون الجديد فيسمونه (الكاركى) كذلك فانالمساجين ليس عندهم حساب للزمن .. فعندما كنت أقول أنا محكوم على بالسجن ١٥ عاما ؟؟

كنت اسمع من يقول لى : وايه يعنى بسيطة ؟ وكلمة سجن عشر سنوات داخل السجون تعنى أن صاحبها مدته بسيطة جـــدا وأن سجنه (هايف) ٠

والمسجون عندما يدخل السجن لاول مرة يتعذب فى الشهر الاول لانه لم يتعود على الحياة في مكان واحد ٠٠ ولكن ما يلبث أن يتعود على هذا وينسى اسرته ٠٠ وحتى نفسه ٠٠ ويعيش فى هذا العالم ٠

واستمرت أسئلتهم : متى ؟ ومن ؟ وكيف ؟ وأين ٠٠ ولم تكن أسئلة ٠٠ انما اشبه بالاستجواب ٠٠ ومضيت أجيب في حدود ٠٠ وبعد أن عصرونى بأسـئلتهم نهض أحدهم وضربنى على كتفى قائلا : تعال ٠٠ شاركنا الطعام ؟ ثم تناول الكيس الذى يضـم محتوياتى وعلقه على الحائط وبدأ يعرفنى ببقية المساجين ٠٠

هذا عم أبو العينين الدندراوى ، قبض عليـه وهو يبيع المخـدرات وهذا محمد عبد النبى حسين من مغاغة مسجون لنفس السبب ٠٠ وهذا حلمى فتحى الذى كان يعمل شـيالا ٠٠ والشـــيال فى لغـة مملكة المخدرات هو الشخص الذى يتولى عملية نقل المخدرات من مكان الى مكان آخر ٠٠ وغيرهم ٠٠ كلهم شركاء فى مملكة السموم ٠

وكنت كلما سالتهم عن المملكة ضحكوا وقالوا : انت لسه خام وجديد فى الكار لكن بكره تخرج وتتعلم ٠٠ وتبقى معلم كبير ؟

وتطوع الشيخ محمد عبد النبى ليروى لى أسرار المملكة ٠٠

قال لى : المخدرات تجارة مثل أى تجارة ولكنها تجارة مغرية مكسبها كبير جدا ٠٠ وخطرها كبير جدا ٠٠ وكلما زاد الخطر ٠٠ زاد المكسب ٠٠ فعنـــدما تدخل المخـــدرات من الحدود يأخذها كبار المعلمين ٠٠ وهؤلاء لهم فروع وصبيان أو معلمين صغار فى القاهرة والاسكندرية والمحافظات ٠٠ والمعلمين الصــغار يرأسون معلمين فى المراكز الى أن يصل الى البائع الصغير فى القرية والمدينة والذى يقوم بتوزيع الحشيش والافيون على الزبائن ولا يعطى الزبون الا اذا تأكد منه ٠٠ وحتى اذا قبض على البائع الصغير لا يمكن أن يقول اسم المعلم الكبير ٠

وتجارة المخدرات بها كبار تجار الجملة وتجار الجملة وتجـــار التجزئة والقطاعى الى أن تصل البضاعة الى المستهلك أو الزبون ٠

وسألت عم محمد بعد أن أعطيته سيجارة :

ـ كيف تنتقل المخدرات من الحدود والشـــواطىء والموانىء الى القاهرة وبقية المحافظات ٠



أثناء خروجي من عنبر (٣) بالسجن مع زملائي المساجين وذلك لتقطيع الحجارة من الجبل ولم يتصور أحد من المساجين أني صحفي !!

قال : تنقل البضاعة اما في السيارات ، وكبار المعلمين يملكون أكثر من سيارة آخر موديل لكيلا يشك فيها أحد وهي تنقل المخدرات وغالبا ما تكون رخصة السيارة باسم الاصدقاء أو الزوجات حتى لا تراقبها الشرطة .. وتخفى المخدرات في « الدواسة » أو في أبواب

السيارة بين الصاج وبعضه أو فى السقف أو داخل المقاعد بين الجلد وبعضة ٠

والطريقة الاخرى التى تنقل بها المخدرات عن طريق الصحراء والاعراب والجمال يخفى الحشيش فى « جراب » الجمل أو داخل « السرج » الذى يوضع على الجمل وبين طيات الملابس ٠٠ ويسلمونها الى التجار الذين ينتظرونهم خارج المدينة ٠

والطريقة الثالثة وتسمى « الشيال » وهو أن يخصص بعض الصبية والنساء لنقل المخدرات من السويس أو بور سعيد أو الاسكندرية داخل سيارات مكتوب عليها « رمبس » أو فى داخل القطار داخل حقائب ٠ والبضاعة عادة تكون ملفوفة جيدا حتى لا تنبعث منها رائحة ٠٠ وفى القطار توضع الحقيبة فوق الرف ويجلس الشيال بعيدا عنها حتى اذا ضبطت الحقيبة يكون بعيدا عنها ٠٠ وعندما ينزل من القطار يؤجر شيالين المحطة لكى يضعوا له البضاعة فى التاكسى ٠٠ كل هذا وهو بعيد عنهم الى أن يأخذ البضاعة فى السيارة ويسير ٠

والشيال ـ هذا ـ صبى صغير عند كبار المعلمين ٠٠ وكل معلم عنده عدد كبير من الشيالين ٠٠ يقوم بالانفاق عليهم ٠٠ ويعطيهم مصروفهم ويصرف على منازلهم واذا ضبط الشيال يقوم المعلم بتوكيل محام له ويصرف على منزله أثناء وجوده فى السجن ٠٠ واذا انحرف الشيال أو ذهب الى معلم آخر ٠٠ لا يقبله هذا المعلم واذا قبله يكون معتديا على حق زميله ويدفع غرامة له ٠٠ واذا انحرف الصبى يقتل على الفور ٠٠ وهذه هى تقاليد المهنة ٠٠ فالمعلم الكبير عنده نوعان من العمال « الشيال » وهو الذى يحمل البضاعة ويوصلها والصبى أو « المخزنجى » وهو الذى يوزعها على الزبائن ٠

وكل يوم تتطور أساليب التهريب عن اليوم الذى سبق خصوصا اذا اكتشفت الشرطة الطريقة ٠ فلابد من أخرى جديدة ٠

وسكت عم محمد بعد أن أعطيته سيجارة أخرى ٠٠ وعندما دخنت أنا سيجارة مثله سكت طويلا ، ثم قال لى : يابنى انت باين عليك لسه صغير قوى فى الكار ٠٠

قلت له : معلهش يا معلم بكره أبقى كويس ٠

وتركت عم محمد وجلست أتحدث مع زملائى فى العنبر ٠

وسألت في ليمان طره ــ زملائي المسجونين ــ عن أشهر مهرب موجود بالسجن لكي التقى به ٠٠ وأتعلم الصنعة على يديه ٠

ولم أجد في سجن ليمان طره الا اثنين من المهربين فقط ، بالرغم من أن هناك نحو ألفي تاجر ومهرب ٠٠ وذلك لانه من النادر جدا أن يقع المهرب لانه باستمرار يعرض صبيانه للوقوع في أيدي الشرطة أما هو فيختفي عن الاعين في الصحراء ؟

وعرفت المهرب واسمه عبدالستار الشهيربالعفريت وأردت أنألتقي به ٠٠ وكانت الفترة الوحيدة التي يمكن أن التقي به فيها هي فترة المقيال أو فترة الظهيرة والغداء وهي من الساعة الثانية بعد الرجوع من الجبل الى الساعة الرابعة موعد اغلاق العنابر على المساجين حتى الصباح ٠

وذهبت اليه مع احد زملائي المساجين وعرفني به قال له :

ــ محسوبك عبد العاطي واد لسه طالع في الكار جديد ٠٠ كان تلموذ وغواه الكار فكان نصيبه أنه شرف الليمان معانا ٠

وسألني العفريت ــ وهذا اسم شهرته ــ عن كيفية وقوعي في أيدي رجال الشرطة ورويت له نفس القصة التي حكيتها لكل من قابلني في السجن وجلست أنا أشكر في العفريت وفي شجاعته لكي أسمع منه حكاية التهريب ٠

وبدأ يحدثني عن التهريب وكيف يصل الحشيش من الحدود ٠

قال لي : اسمع يا عبده ٠٠ انت لسه صغير ٠٠ دلوقت الجرايد وكل حاجة بتتكلم عن المخدرات ٠٠ والمخدرات يابني لا يمكن أن تنتهي من بلدنا لاننا نحضرها عن طريق الحدود من سيناء والسلوم والاسكندرية والسويس وبور سعيد ٠

قلت : وكيف تدخل المخدرات مع وجود الشرطة ورجال الحدود ؟

قال أقول لك على السر بصراحة ٠٠ أنا ارتحت لك وحاعلمك ٠٠ شوف بصراحة بيكون فيه اتفاق بيننا وبين بعض رجال الحدود فلو الواحد منا اتعاقد على مخدرات بـ ٢ مليون جنيه نخليهم يمسكوا مخدرات بحوالي ثلث الكمية ونعرض لهم شوية عيال يمسكوهم لكي يبينوا انهم يعملون أمام رؤسائهم ٠ اما باقي الكمية تدخل ٠٠ والحدود بترمي دخول المخدرات على الشرطة ٠٠ والشرطة بترمي المسئولية على الحدود وهكذا ٠

وحديث العفريت معي ذكرني بالحيل التي يلجأ اليها المهربون

وسمعتها من مهرب سابق وهى عن كيفية دخول المخدرات من الحدود ·

وقال لى محمد أبو عقله ـ وهذا اسمه : يابنى الحيل كثيرة لدخول المخدرات من الحدود ·· فمثلا لو ·· كانت المخدرات موجودة فى أحد المراكب فبعض الحيل التى نلجأ اليها ·· هى نضع فى مكان بارز من المركب لمبة حمراء ·· وفى اللنشات المنتشرة بجوار المركب وتخص المهربين ·· وعلى الشاطىء تجد أعوان المهربين منتشرين ·· فهى عملية منظمة ·· فلو فرض انهم علموا بأن الشرطة محاصرة الشاطىء فيتبادلوا الاشارات عن طريق اللمبات الكهربائية التى فى أعلى « الصارى » وبين لمبات اللنشات الاخرى ومعناه أن الجو ملغم بالشرطة فعلى الفور تضىء السفينة اللمبة الحمراء فى أعلى الصارى ومعناه أنها لن تقترب من الشاطىء ·· انها ستسير فى عرض البحر الى أن تنتهى الكبسة ·· وفى هذه الاثناء تقترب سفينة بها بضاعة وتدخل الميناء أو الشاطىء فى نفس الموعد المقرر لدخول السفينة التى تحمل المخدرات بالطبع وانما يجدوا فيها البضاعة ·· وتدخل سفينة ثانية فيها بضاعة حتى تفتشها الشرطة ولن يجدوا فيها شيئا ·· وعندما يهدأ الجو يقومون بعمل اختبار للشاطىء بواسطة أعوانهم الموجودين فلو وجدوا أن الجو « أمان » معناه اضاءة لمبة صغيرة خضراء من بعيد فيقترب المركب بعد أن يسبقه مركب بضاعة تضليل ·· يفرغ حمولته فى أمان ·· وغالبا ما تفرغ الحمولة فى الفجر ·· وعلى التحديد بين الساعة الثالثة والخامسة والمخدرات تحضر داخل صناديق بضاعة فصناديق التفاح تجد أسفلها مخدرات ·· وطوايل السمك تجد تحتها الحشيش والاعيب كثيرة يلجأون لها حتى لا يكتشف أمرهم ·· ويعلمون تحركات رجال الشرطة والحدود دائما ·· وعندهم المعلومات بواسطة أعوانهم ·

ولكن كيف يعلمون هذه التحركات · بعد جلوسى مع المهربين وتجار المخدرات : قالوا لى عن معلومات خطيرة · عن طريقة حصولهم على هذه المعلومات قال أحدهم :

شوف يا سيدى فيه مثل فلاحى يقول : حط القرش على ودن القرد يلعب ؟؟

وزى ما الشرطة والحدود لهم مرشدين لكى يقبضوا علينا ·· احنا كمان لنا مرشدين من الشرطة والحدود يتجسسون لصالح تجار المخدرات ·



في دورة المياه مع زملائي المساجين اغسل وجهي لكي انضم بسرعة الى طابور الصباح لكي ناخذ التمام ..

قلت : كيف ؟ ان هذا الكلام خطير .

قال : « بالفلوس » واغراء القلوب بنعمل كل شيء.. بنحاول نبحث عن النفوس الضعيفة الى عايزة تتغنى بسرعة ويتم تجنيدها واغراؤها فتوافق بعد مجهود ليس بكبير كذلك يتم تجنيد صغار الموظفين فى الشرطة والحدود وهؤلاء يمكن استمالتهم بسرعة لأن مرتبهم ضئيل وعليهم مسئوليات كثيرة ونقوم بتحديد مرتب شهرى للواحد يصل الى مائة جنيه .. وهذا يشجع الشرطى البسيط بأن يعطينا أخبار التحركات أولا بأول كذلك شرطة الحدود .. وهم غالبيتهم عساكر مجندين ويريدون أن يعودوا الى بلادهم وهم أغنياء .. فلهم مرتب ثابت

شهريا علاوة على المنح والهدايا التى يعطيها لهم تجار المخدرات فى الاعياد والمواسم ولذلك يعرف المهربون مواعيد قيام القوة وتحركاتها ويقاومونها . ويحدث أن يكونوا مستعدين لمهاجمة القوة ، وجلس العفريت يحكى لى ألاعيب المهـــربين .. وكان معظـم كلامه ينطبق على كلام محمد أبو عقله الذى التقيت به قبل ذلك .

وقال العفريت : تصـــور أننا غالبـــا ما نخفى المخــدرات فى الجمال وفى أماكن حساسة منها .. وفيه واحد زميلنا موجود فى السجن كان مهرب صغير على قد حاله تعالى أعرفك به .. وأخذنى العفريت وعرفنى بجودة وقال لى : اننـــا زملاء فى المهنة واننى محكوم على بـ ١٥ عاما .. وقد بدأت قصتى مع المخدرات عندما كنت أعمل سائقا على سيارات النقل الكبيرة وكان معظم سفرى فى المساء .. وكنت أقف على الطريق الزراعى لاستريح ولاتناول كرسى دخان بتعميرة .. وفى يوم من الايام حدثت كبســة على « الفرزة » أو القهـــوة الموجودة على الطـــريق الزراعى .. وحكم على بثلاث سنوات .. وسحبت رخصتى وعندما خرجت من السجن اشتغلت بتجارة المخدرات لانى لن أعمل سائق بعد ذلك .. ابتدعت فكرة جديدة فى التهريب فكنت أضع (فنطـاس) داخل (الفنطـاس) الكبير الموجود وأتعمد أن يكون الفنطاس الذى أضعه صغيرا وأملا الفراغ بين الفنطاس الكبير .. والفنطاس الصغير بالمخدرات .. أما نفس الفنطاس الصغير فأملاه بالغاز أو البنزين .. ورائحة البنزين أو الغاز تغطى على رائحة الحشيش وكنت أحمل كميات كبيرة من المخدرات الى القاهرة من السويس بهذه الطريقة وكنت أستأجر سائق وأجلس بجانبه .. ولم تكتشف هذه الطريقة الا بعد أن أبلغ عنى بعض من ضاقوا بى ووجدوا أن مظاهر الثراء بدت على فجاة .. وأننى اختلفت مع المعلم الكبير فأبلغ ضدى الشرطة ووقعت فى يدى العدالة وحكم على بالسجن ٢٥ عاما وتشردت أسرتى .. فطلبت زوجتى منى الطلاق وأولادى ذهبوا الى اصلاحية الاحداث .

وبعـــد أن استمعت الى العفريت وجودة صـــحبانى الى الدور الرابع فى نفس العنبر الذى أقيم فيه وهو عنبر ٣ وكله من مدمنى المخدرات فالعنبر مكون من أربعـــة أدوار كل دور به حوالى ٨٠ حجرة والدور الرابع به عتاولة تجار المخدرات .. وعندما جلست فى الحجرة وتعرفنا ــ قال لى أحدهم :

ــ تحب تشرب تعميرة ؟

فدهشت وقلت له : من أين ؟

قال : كل شيء معاى الحشيش موجود والافيون موجود ؟؟

ولاحظت أنه أخرج خابورين من الحديد من مكان حساس جدا في جسمه والخابور عبارة عن أنبوبة طولها ٣٥ سنتيمترا واحدة حشيش والاخرى بها أفيون ؟؟

وبدأ الاثنان يدخنان السجاير المملوءة بالحشيش وظللت أنظر اليهما بدهشة ٠٠ وهما يضحكان على ٠٠ ويقولان لى : انت لسه فى سنة أولى ٠٠ فاضل عليك كتير ٠

وبعد انتهاء فترة المقيال رجعت الى حجرتى أو الى زنزانتى رقم ١٢ واستقبلنى زملائي المساجين ٠٠ وجاء الشاويش وتمم علينا فردا فردا وعندما تأكد أن العــدد ٢٣ تمــاما أقفل علينا بالمفاتيح والقفل ٠٠ كان هذا فى تمام الساعة الرابعة ٠٠ وبعد أن أغلق علينا انتابنى شعور بالخوف ، ماذا أفعل لو سألنى أحدهم عن أى شيء وكشفنى ٠٠ انى مدير الليمــــان وكلهم كانوا يحذروننى أن أحترس فى كلامى حتى لايكتشفوا حقيقتى وتقع الكارثة ٠٠ وتأملت الزنزانة فوجدت أن كثيرا من النزلاء يضعون صور أولادهم الصغار خلفهم ٠٠ كذلك صور بعض أقاربهم وأصدقائهم ٠

وفى داخل الزنزانة رأيت أشياء غريبة ٠٠ بدأ بعضهم يطبخ فعندهم وابورات صغيرة مصنوعة من علبة « السلامون » وتضاء بالزيت والفتيل ٠٠ بدأوا يطبخون الملوخية الناشفة وعندهم الزيت والسمن واللحوم والبصل بينما أحد أحد النزلاء ويسمى أبو فيصل أمسك باحدى الجرائد الصباحية وأخذ يقرأ كل ما كتب عن المخدرات فى الصحف للنزلاء ٠٠ وأبو فيصل هذا مدمن قراءة أخذ يشرح لهم بالتفصيل كل ما كتب عن المخدرات ٠٠ وقاطع أحدهم واسمه الجمال أبو فيصل وهو يقرأ ٠٠ والله يا جمــاعة لا يمكن أن يقضوا على تجارة المخدرات الا اذا قبضوا على كبار التجار والمهربين وأن يشددوا على الحدود حتى لا تدخل المخدرات ٠٠

وقال آخر :

ـ فعلا ان الذى يحدث هو أن يقبض على صغار التجار والشيالين أما الكبار فلا يمكن القضاء عليهم الا بعد التشديد على الحدود ٠٠ وفعلا يا جماعة احنا كلنا تجار صغيرين ٠

ورد عليهم أبو العينين الدنداروى وهو أكبر نزلاء الغرفة سنا ٠٠ كمان يجب أن يصرفوا النظر عن الحادثة الاولى ٠٠ ويكتفوا بمراقبة المدمن ٠٠ لانه يحدث بعد الحادثة الاولى أن يتحول المدمن الى تاجر والتاجر الصغير الى تاجر كبير وهكذا ٠٠ فلو روقب أو عوقب عقابا ظاهريا ونبه عليه بعدم الرجوع أجدى بكثير من ضياع مستقبله ٠٠ وكنت أتابع مناقشاتهم وأحاول أن أشترك فيها على قدر المناقشة الموجودة حتى لا يكتشفوا أمرى ٠٠

وبعد أن انتهى أبو فيصل من قراءة الجريدة طلبوا من نزيل اسمه جودة ٠٠ صوته يمتاز بحلاوة الريف الاصيل ٠٠ أن يغنى لهم مولا وانقسمت الغرفة ، جزء طلب موال بديع وفكيهة وجزء آخر طلب حسن ونعيمة ٠٠ وغنى جودة موال حسن ونعيمة حسب طلب الاغلبية ٠٠ وبعد أن غنى جودة قال لى عم محمد أولادى وحشونى ٠٠ يا ترى عاملين ايه ٠٠ أنا السبب ٠٠ أنا عارف ايه الى قال لى اشتغل فى الهباب ده ٠٠ يابنى الى ربنا داعى عليه يشتغل بتجارة المخدرات ٠٠ صحيح أن مكسبها كتير ٠٠ والى يدوق مكسب المخدرات لا ينساه ٠٠ ؟ انما تجارة المخدرات خراب ٠٠ فانا كانت لى أسرة كبيرة ٠٠ تركت المدرسة وهربت من أسرتى فى الصعيد الى القاهرة ٠٠ وفى الدرب الاحمر تعرفت برجل عرفت فيما بعد أنه صبى مخدرات فأخذنى أشتغل معهم وغوانى الشيطان وجريت النقود فى يدى ٠٠ وتدرجت من صبى الى شيال ٠٠ الى معلم صغير الى معلم كبير عنده من الشغالين مايقرب من الثلاثين وكنت أجمع النقود من هذه التجارة الى درجة أننى بنيت عمارة وفى احدى المرات هجمت الشرطة وأخذت كمية كبيرة من المخدرات كنت أرسلتها الى بعض العملاء ولم تصله الكمية فتحملت ثمنها وتكرر هذا الحادث معى مرات الى أن بعت العمارة ٠٠ وفى آخر مرة كنت أبيع فمسكتنى الشرطة وحكم على بـ ١٥ سنة ٠٠ وتركت أولادى العشرة وزوجاتى الثلاث ودخلت السجن ٠٠ بعد سنة طلبت زوجاتى الطلاق ٠٠ أولادى لا أعرف لهم مكانا سمعت أن بعضهم داخل اصلاحية الاحداث ٠٠ سيبك المال الحرام عمره ما ينفع ٠ ؟

وتدخل أبو العينين الذى حكم عليه بتهمة الاتجار فى المخدرات وقال : المخدرات خراب ٠٠ بس نعمل أيه ٠٠ احنا لما نخرج بنكون دائما تحت أعين الشرطة وغالبا ما نكون تحت سيطرة أحد المخبرين الذين يرهبوننا ويضطروننا الى الاشتغال « بالكار » لانه كده مسوكين ٠٠ وكده مسوكين ؟؟



جلس عم ابو العينين « قراز » العنبر يحدثني،
ويعطى لى النصـــائح باعتبـــارى مسجونا
جـــديدا أو كاركي كمـا يطلقون عليــــه ..

ومضت أيام .. وتسللت خارجا من الليمان .. وعدت لاسجل هذه الصورة التى تعكس حقيقة ما يدور داخل السجن وداخل عقول المسجونين .

أن مملكة التهريب .. مملكة خطيرة .. ومكافحة هـــذه المملكة تحتـــاج الى جهد كبير .. اننى بعد هذه التجربة المثيرة اقترحت على الحكومة بعض وسائل العلاج منها :

× أن تتحد الجهات التى تحارب المخدرات تحت جهة واحدة فشرطة الحدود والجمارك التى تحارب المخدرات يجب أن تتحد مع مباحث المخدرات وادارة مكافحة المخدرات حتى تســـهل القيـــادة

وحتى لا يلقى كل منهم التبعة على الاخر ·· وحتى لا تحدث ثغرات وتدخل المخدرات من الحدود ·

× أن تتوافر سبل العمل للمدمنين وصغار التجار أصحاب السابقة الاولى الذين يطلبون عملا شريفا حتى لا يعودوا الى المخدرات مرة أخرى ·

× أن ترفع عقوبة المخدرات الى الاعدام للمهرب والتاجر ·

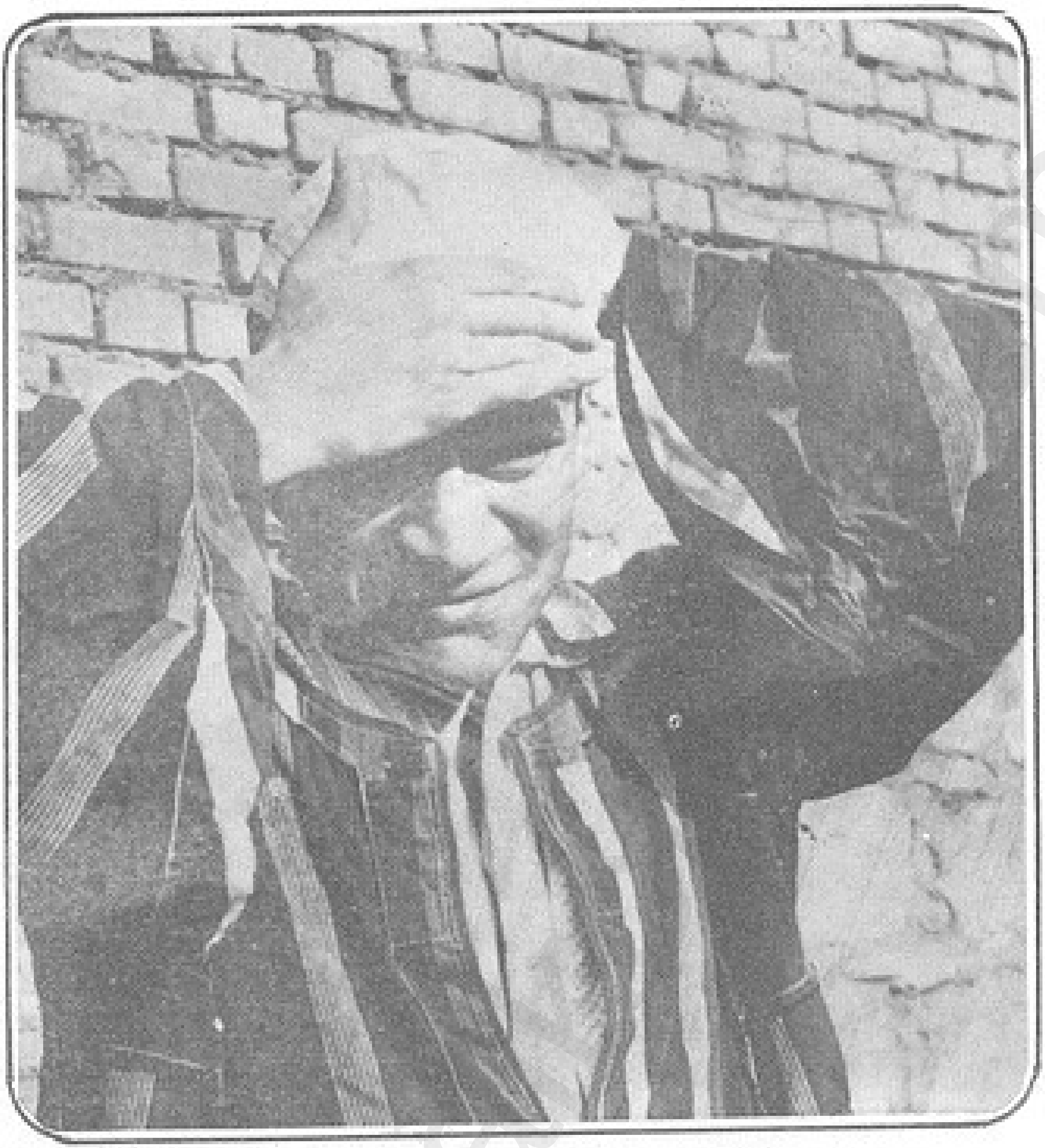
× تشديد التفتيش والحصار على مهربي المخدرات في صحراء سيناء والسويس وشواطىء بورسعيد والاسكندرية لان المخدرات تاتي اما عن طريق لبنان وتركيا ويكون هذا عن طريق البحر واما عن طريق اسرائيل فيكون عن طريق سيناء ·

× أن تعمم مصحات مدمني المخدرات في انحاء المدن والمحافظات لان وجود المصحة في مستشفى الامراض العقلية يخيف من الالتحاق بها كما أن العناية بالمريض ليست كافية ، وهذا لا يشجع المدمنين على الالتحاق بها · كما يجب أن تلحق بالسجون مصحات لعلاج المدمنين ·

× يجب أن يشترك رجال الدين وأجهزة الاعلام في حملات التوعية ضد المخدرات لان معظم الذين يتعاطون المخدرات من الطبقة الوسطى ·· والكلام رجال الدين عندهم أثر كبير ·

حقيقة اخيرة :

ان احصائيات السجن تقول ان اكثر من ٥٩٪ من المساجين ضحايا جنايات المخدرات ·· وان اسر هؤلاء المساجين تتشرد وتتحول الى الضياع بعد دخول عائلها السجن !!



المشرد رقم ١٣

ظلمهم الناس وعذبهم الأهل

والتقطهم المجتمع من الشارع ليضعهم داخل اسوار اشبه بأسوار حديقة الحيوان .. تسمى اصلاحيات الاحداث .. وكان هدف الصغار او كل املهم ان يتساووا بالحيوانات فقد كان أكلهم من حيث النظافة اقل .. ونظافتهم ونظافة ابدانهم اقل . والمعاملة تسير من سيء الى أسوأ ..

ولذا صممت ان اخوض التجربة .. واكتب عن كيف يعيش الاحداث داخل اصلاحية الاحداث .. ودخلت على انني حدث .. وكتبت هذه التجربة المريرة التي كان لها اثر كبير في تحسين اصلاحيات الاحداث نوعا ما .. !!

وفي سجلات مؤسسة الاحداث بالجيزة قيدت تحت رقم ١٣ .. وانتابني الذعر من هذا الرقم النحس .. وبعد أن استدعتني المشرفة الاجتماعية وذهبت لها ووقفت أمامها ، قالت لي :

ـ اسمك أيه ؟

ـ عبد المحسن عبد الصبور ؟

ـ انت منين يا عبد المحسن ؟

ـ من المنوفية من بلد اسمها ميت عافية .

ـ والدك كان بيشتغل ايه ..

ـ فلاح ..

ـ عندك كام أخ ؟ ..

ـ أربعة غيري ..

ـ كام واد وكام بنت ؟ ..

ـ ٣ صبيان وبنت واحده ..

ـ عندكم أرض ؟ ..

ـ أبدا ..

ـ أبوك بياخذ كام ؟

ـ ١٥ قرشا في اليوم .

ـ لك أخوات في المدارس .

ـ ايوه ولد وبنت .

ـ اشتغلتش حاجة قبل كده ؟

ـ عملت فلاح لمدة بسيطة .. وبعدين تركتها .

ـ ليه تركتها ؟ ٠٠
ـ لانى ماحبتهاش ٠
ـ ورحت فين بعد كده ؟

ـ أخدونى الاولاد اللى بالعب معاهم ٠٠ وشرعنا فى سرقة ٠٠ واتمسكنا واتحكم على بسنة سجن ٠٠ وأخدتها فى اصلاحية الاحداث بالمرج ٠ وعاملونى وحش فهربت للشارع ٠٠ مالقيتش حد يرضى يشغلنى مشيت ٠٠ مسكونى ٠٠ وجابونى على هنا ٠

ـ أسمع أنا احذرك من الكذب لان كل هذه المعلومات ستتحرى عنها ؟

ـ قلت بعد أن فكرت قليلا ٠٠ وتحكمت فى أعصابى ٠٠ لا والله يا ست هانم زى ما بقول لك الحقيقة هى كده ٠
ـ نسيت أسالك ٠٠ سنك كام سنة ؟
ـ ١٥ سـنة ٠

ـ غير معقول ٠٠ ما تعرفش تاريخ ميلادك ؟
ـ أبـدا ٠٠
ـ تعـرف تقرأ ؟ ٠٠
ـ لا ٠٠

وبعد أن انتهت من الاسئلة كتبت الملحوظة الاتية :
(يوضع الحدث تحت المراقبة لمعرفة هوآياته ٠٠ ثم يسلم للايراد ٠٠ ويلاحظ أن سبب ارتكاب الحدث جريمة السرقة ٠٠ اختلاطه مع الاطفال الاشرار) ٠

وفعلا وضعونى تحت المراقبة ٠٠ فكان الملاحظ يجمعنا ونجلس فى فناء الدار على شكل دائرة ٠٠ ويسألنا باستمرار عن أحب الناس الينا ٠٠ ثم يتعرف على قصة كل طفل وهى لا تتعدى عن أطفال محكوم عليهم ٠٠ أو فى انتظار الحكم عليهم لارتكابهم جرائم فى حق الناس ٠٠ وحق المجتمع ٠٠ أما كيف ارتكبوا الجريمة فهذا ما سأبينه بعد ذلك ٠

وسمعت الملاحظ يطلبنى ٠٠ وطاف بى فى ورشة النجـارة ٠٠ وأخذ يعلمنى بعض الالات كيف تستعمل واسمها ٠٠ ثم تركنى العب مع الاطفال لعبة المربعات التى تعلم القراءة والكتابة ٠

وبعد ساعة نادانى عم عباس فـراش دار الملاحظة وقال لى ٠٠ تعال علشان أسمك بالسركى للايراد ٠٠ وعرفت بعـد ذلك أن الايراد هو الحجر الصحى الذى يمر به الحدث فى طريقه الى عالم

الاحداث .. فلابد أن يوضع الحدث فى الايراد مدة أسبوع لكى يلاحظ طبيا .. ويأخذ الحقن والمقويات .. خوفا من أن يكون مريضا بأحد الامراض المعدية التى تعدى الاخرين .

وبعد ساعة من دخولى الايراد تعرفت على من معى .. وجلست أستمع لهم .. كل واحد منهم يروى قصته .. وكيف انتهى به المطاف الى الاصلاحية .. وكيف ارتكب الجريمة وهو فى هذه السن الصغيرة .. وطلبوا منى أن أروى لهم قصتى فرويت لهم القصة الخيالية التى قلتها للمشرفة وللمسئولين فى اصلاحية الاحداث ..

وقال أولهم .. وهو طفل فى حوالى الثانية عشرة من عمره . تقاطيعه حسنة .. اسمى محمد كساب من المحلة الكبرى .. والدى يعمل موظف بسيط .. لى سبعة أخوة .. ولدين وخمس بنات .. واحدة فى مدرسة الممرضات .. دلوقتى ..

من حوالى خمس سنوات كنت فى المدرسة الابتدائية .. كنت شاطر على الاولاد .. ترتيبى الاول دائما .. فأنا (الالفة) لسنة ثانية .. وبعد أن انتهيت من مدرستى .. رجعت للبيت .. والدى كان زعلان .. مش عارف ليه .. وبينما كنت العب بالقبقاب أطوحه يمين وشمال بسرعة فلت من أيدى وضرب فى وجه أختى الكبيرة جرحها .. الدم نزل منها .. والدى جرى ورايا وامسكنى .. ضربنى بالخرزانة (علقة) كبيرة .. وحلف على والدتى بالطلاق .. بأن أخرج من البيت وأنام فى الشارع .. أمى بكت من أجلى .. ولكنه عشان حلفان والدى .. نمت فى الشارع .. شعرت بالجوع ولم أحاول أن أذهب الى أى أحد من اقاربى . فكرت أن اطفش . كان لى صديق يعمل فى فرن .. عمله حمل العيش وتوصيله للبيوت والدكاكين ذهبت لصاحب الفرن .. قلت له بأن المعلم عبد الله صاحب المطعم أرسلنى لكى أحمل له (شقتين) عيش .. وأنا أعمل عنده جديد .

فقال لى .. انت تقرب له ؟ .. قلت .. أنا شغال جديد ..

وأعطانى الرجل الطيب شقتين العيش ، والشقتين ١٠٠ رغيف أخذتهم وبدأت أنادى على العيش فى الشوارع .. بعت العيش .. بدأت اتصرف فى تمنه .. شعرت بلذة النقود .. فأنا طول عمرى لم أمسك (تعريفة) فى ايدى . فكان أكبر مصروف لى مليم أو (نكلة) اتنين مليم بالكتير .. شعرت بأننى أغنى من والدى .. واشتريت جبنة وحلاوة وبرتقال وكل اللى نفسى فيه . كنت مسرور

.. شعرت باننى استريحت من قرف البيت .. والسب الذى كان يسبنى به والدى باستمرار .. ويومها لم انم مطلقا .. جلست على القهـوة .. طلبت شاى .. عملت مثل الرجـالة وانتهت الخمسين قرش بسرعة ..

وفكرت ماذا أفعل مرة أخرى .. سرت فى الشوارع . وجمعتنى الظروف (بزنجر) وهو كان واد حـرامى .. علمنى السرقة .. كان فى طولى أول درس لقنه لى أسماء الادوات التى يستعملها فى السرقة .. فالموسى يسمونها البشلة .. وهى التى يستعملونها فى فتح الجيوب . والمحفظة أو (باكو) السـيدة يسمى بالمسـمار والحقيبة تسمى (بالارو) وبعد أن علمنى الاصطلاحات بدأ يعلمنى كيف نتكلم بلغة (النشالين) كان يقول لى عنـدما تريد أن تطلب الموسى لكى تسرق رجل أو سيدة تقول دون أن يسمع أحد :

يا زنجر هات البشلة .. أحسن فيه مسمار كبير فى الارو فاعرف انه توجد سيدة معها (باكو) فيه نقود كثيرة .. وبعد أن علمنى لغة النشالين بدأ يعلمنى كيف أستعمل الجريدة فى النشل .. كنت أمسك (الجرنال) وأخفى عين الشخص الذى أريد أن أسرقه .. لكى اشغله .. بينما يدى تمتد لكى تاخذ المحفظة ولا استعمل يدى كلها .. بل يكفى اصبعين فقط الاصبع الكبير فوق الاصبع الصغير فتصبح كالمقص .. وبهذا أستطيع أخذ المحفظة بخفة .. وابتـدا زنجر يجرى معى تدريبات عنيفة .. أحيانا كان يمثل الزبون وأنا الحرامى وعندما أخطىء يصحح لى الخطأ فيقوم هو بدور الحرامى وأنا الضحية لكى اتعلم منه .

●●●

وأول يوم نزلت فيه للتمرين العملى .. كانت ضحيتى سـيدة طيبة أخذت منها (المسـمار) كان فيه جنيهين ونصف وبضـع أوراق .. أخذت النقود ورميت (الباكو) بما فيه وذهبت لزنجر .. أعطيته جنيه ونصف جنيه .. وأخذت جنيه لى .. شعرت بلذة السرقة مرة ثانية .. وبدأت أمارس مهنتى بنجاح بدون خوف .. وفى مرة سرقت من أحد التجار محفظة بها خمسة وسبعين جنيهـا .. تنزهت أنا والواد زنجر بالمبلغ فى الاسكندرية .. اشـتريت القميص الاحمر الذى لم يغيره الزمن والموجود الآن عند عم عباس فى المبخرة .. وفى مرة ثانية سرقت خمسين جنيه قسمتهم أنا والواد زنجر .. ومسكنى البوليس على أنى تشرد .. وخـرجت من الحجز وبعد ذلك مسكونى بسرقة وخرجت ورجعت للسرقة تانى

·· أعمل أيه ؟ ليس لى مأوى ·· طلب البوليس من والـــدى أن يتسلمنى قبل ارتكاب كل هذه الجرائم ·· فرفض وتنكر لى ·· فاحترفت السرقة ·· انما سيبك الحرام لا فائدة فيه أنا سرقت كتير ·· عملت ايه ·· ولا حاجة ظاهرة على وأريد أقول لك حاجة تانية كان يوجد بعض الكمسارية بياخدوا عمولة منى ·· فالكمســــارية يعرفون النشالين ولا يكلمونهم ·· لانهم يخافوا من الحرامية حتى لا يسرقوا منهم الايراد ·· والحرامية عندهــــم نظر فهـــم يعطون عمولة للكمسارى ·

وسكت لحظة وسادت بيننا لحظة صمت · كنت أفكر فيهـا فى ذكائه ·· وفى كلامه الذى يخيل لك انه صادر عن شخص مجرب كبير فى السن ·· وعاد يقول :

تعرف أنا كنت أريد الهرب من المؤسسة ·· ولكن صـــعب على عم محمد الفراش ··

قلت له : تهرب ليه ؟ ··

قال : لان فيه بعض المشرفين يضربونى ·· وأنا أكره الضرب ·

قلت : تهرب ازاى ؟

قال : المؤسسة واسعة ·· وسور المؤسسة صغير وممكن جـــدا الهرب ··· تعرف عايز أهرب ليه ؟

قلت : ليه ·· ؟

ـ علشان أروح لوالدى واقول له أنه كان السبب فى كل اللى جرالى ·· لاننى نمت ليلة فى الشارع ·

فقدت العطف ··

فاحترفت السرقة ··

وسكت محمد كساب ·

●●●

واقتربت من طفل آخر قريب من محمد ·· وقلت له ·· وايه حكايتك انت التانى ·· وسكت مدة ونظر للارض قليلا وقال ·· أنا اسمى سالم محمد ·· والـــدى تزوج غير والدتى ·· والدتى تزوجت غير والدى ·· تركونى أنا واخواتى سمية وسعدية ننتقل من عند خالتى الى جدتى · خطر ببالى أن اعمل راجل على (الولايا) اخواتى وأحضر ما يطلبونه · فخرجت للشـــــارع وسرقت ·· وكان أول سرقة لى حذاء أحد البقالين ·· وبعته واشتريت بثمنه طعمية وجبنة وحلاوة وعجوة ·· ففرحوا قــوى ·· فـــرحت على فرحتهم مين لهم غيرى ·· والدى يحب زوجته الجديدة ·· والـــدتى تحب

زوجها الجديد وأولاده ·· أما احنا مين يحبنا أو يعطف علينـــا ··
وسرقت مرة ثانية لكي احضر العجوة والبرتقال مرة أخرى لاخواتي
·· سرقت اتنين جنيه من أحد الفلاحين أثناء الزحام في ســوق
السويس ·· وكنت اشترى الطعام لاخواتي ·· وازداد حبهـم لى
·· فقد كنت أنا الوحيد الذي أعطف عليهم وكيف لا أحبهن ··
ومن فقدن عطف الام وعطف الاب ·· واحترفت مهنة السرقة ··
سرقت كثيرا ·· وأحضرت قماش لاخواتي فقد كن عرايا واجرت
حجرة وسكنا فيها وحدنا ·· كنت أكذب واقول لهن بانني أعمل
مساعدا لاحد (البمبوطية) كانوا لا يعرفون انني اصبحت نشالا
خطيرا ·· خشيت ان يعرفوا أي شيء عني فيزعلوا ·· بذمتك أعمل
ايه ·· والدى والدتي تركوني بدون أن أتعلم أى عمل واخواتي
بنـــات منكسرات ·· ومنذ شهرين اتمسكت في قضـــية سرقة ··
وأحضروني على هنا بعد التحقيق ·· انني أكره أبي وأمي لانهما
السبب ·· انني دائم التفكير في حال اخواتي الان بعـد أن غبت
عنهن هذه المدة الطويلة ومن يدفع لهن الايجار الان ·· ومن يحضر
لهن الاكل · ان هذا يؤلمني كثيرا ·· انني أدعو الله بان يستر
عرضهن ويحميهن من أولاد الحرام ·· وذنبنا في رقبة أبي وأمي ·



استقبلني أطفال اصلاحية الاحداث ·· استقبالاحافلا باعتباري حدثا جديدا ··
وكل واحد منهـم قص على حـــكايته وكانت حـــكايات مثيرة وقاسية ·

وفي ركن بعيد من الحجرة ٠٠ وجدته يجلس وحده بعيدا عن الاطفال ٠٠ وناديته ٠٠ فلقد أصبحت صديقهم بسرعة ٠٠ قلت له :

ــ اسمك ايه ؟

ــ عيــد ٠٠

ــ ايه حكايتك يا عيد انت متهم بالسرقة كمان ؟

ــ لا ٠٠ تسول ٠

ــ وانت بتتسول ليه يا عيد ؟

أجابني وهو يخفي عينيه ٠٠ لانه بعين واحدة ــ أعور ــ وفهمت لماذا كان يجلس بعيدا ٠٠ وقال : أنا والدى يعمــل نجارا ٠٠ ياخذ فى اليوم خمسين قرشا ٠٠ يصرفها كلهــا وحــده ٠٠ أنا واخواتى الخمسة ووالدتى نأخذ منه عشرة قروش لاكلنا وشربنا وهو يأخذ الباقى ليشرب به (بوظة) وخمرة ويدخن حشيش ٠٠ أخواتى كانوا بيجوعوا ٠٠ أمى كانت بتسرحنا نتسول من الناس ٠٠ نعمل أيه جماتين ٠٠ والدى « متنشى » وعامل (قمع) وأولاده بيتسولوا فى الشوارع ٠٠ وهو يطلب لاصدقائه الشــاى والقهوة والمعسل على حسابه الخاص ٠٠ وعندما مسكنى البوليس تســول ٠٠ طلبوا من والدى يستلمنى فرفض ولم يعرفنى ٠٠ استعار منى ٠٠ قال ده مش ابنى ٠٠ خاف من أصحابه ٠٠ والله نفسى أطلع من المؤسسة لاجل أجيب بطنه بسكينة لانه هو السبب !

●●●

وتركت عيد بعد أن سكت ٠٠ وشعرت انه تألم عندما قص على حكايته فهونت عليه ٠٠ وطلبت من حدث آخر أن يقص على حكايته فقــال :

ــ اسمى عوض ٠٠ من باب الشعرية ٠٠ كنت أعمل هجام ٠

قلت له ٠٠ هجام يعنى أيه ؟

فضحك كل الاطفال الموجودين ٠٠ وقال أحدهم ٠٠ هجام يعنى حرامى ٠٠ جرئ يكسر الابواب ويسرق الحلل ٠٠ ومختص فى سرقة البنوك والخزائن الحديدية كمان ٠٠ ؟

قلت ٠٠ يا خبر أسود ٠٠ ازاى ؟

فقال عوض : حاقول لك أنا ازى ٠٠ نحن عادة نكون ثلاثة أو أربعة واحد يراقب الطريق من أول الشارع ٠٠ والثانى فى منتصف الطريق ٠٠ والثالث يساعد الرابع فى تجربة المفاتيح والطفاشات لكى تفتح الابواب وعــادة يكون معنا عدد كثير من المفاتيح على اختلاف المقاسات والاحجام واذا صعب علينا اى باب نكسره بمنشار

حديدي .. هذا اذا كان الباب مصنوع من حديد .. أما اذا كان من خشب فيوجد قلاووظ كبير مخصص لهذه العملية ويكون معانا (خطاطيف) لكي نتسلق المنازل والبنوك وأنا مرة اشتركت مع العصابة في سرقة ٣ آلاف جنيه والجرايد كتبت عنها .

قلت : وايه اللى دفعك تعمل هجام ؟

فقال : دي حكاية طويلة .. أنا عمري ١٤ سنة .. والدي توفى وأنا عمري تسع سنوات .. وبعد منه بسنتين والدتي توفيت .. انتقلت أنا وأختي عند جدتي .. هي الاخرى توفيت كانهم كانوا الثلاثة على ميعاد .. كنت باشتغل عند واحد مكوجي . كان يضربني ويقسو علي ويكويني بالنار .. تركته وطفشت .. باختصار جمعتني الظروف على العصابة دي .. وبعد ما عملت مدة في (الكار) ده أصبحت أوسطى محترم .. سرقت كتير .. واتمسكت بحاجة هايفة .. تعرف اتمسكت بايه ؟ بـ « حلل » .. مش حاجة تضحك .. تعرف دا الاب والام نعمة .

وبعد أن انتهى عوض من كلامه وقبل أن يبتدي مصطفى حكايته حضر عم محمد .. وتمم علينا بالاسم .. ونبه علينا بعدم الشقاوة وانصرف وتكلم مصطفى ..

قال : والدي كان يتاجر فى المخدرات . والدتي كانت بتساعده .. كانوا يحملوني الحشيش .. حتى لا يشك فى البوليس لاني صغير .. كنت بأنقل كميات كبيرة بين طيات ملابسى . ظللت على هذا الى أن وقعنا جميعا فى يد البوليس والدتي فى سجن الحريم بالقناطر والدي فى أبو زعبل وأنا فى اصلاحية الاحداث ؟

●●●

وقص أحمد علي ـ ١٣ سنة ـ من القنطرة شرق قصته قال : كل واحد منا تعود على أن يحمل معه (مقروطة) يعني بندقية صغيرة لكي يحمي بها نفسه من اللصوص ويستعملها فى وقت الخطر .. وفي يوم كنت أنظف بندقيتي .. خرج منها طرف .. واستقر في (رأس) أحد الناس مات على طول .. حققوا معايا وأحضروني على هنا .. والدي أجر لى محامى بـ ٤٠ جنيه .. جلستي بعد يومين .. يمكن أطلع براءة .. بالذمة ده ذنبي واللا ذنب اللى أعطاني المقروطة .

وجاء الدور على طفل صغير في السابعة من عمره .. له نظرات بريئة .. كان يقص حكايته بتأثر قال .. والدي عنده أطفال كثيرة أخوتي ١١ وأنا الـ ١٢ .. والدي متزوج ثلاثة لا يوجد عندنا أكل

ماذا نفعل · والدى أرسلنى لكى أتعلم عمل · لم أنجح · فسلمتى هنا ·· أنا لم أسرق ولم أفعل شيئا ·· والدى حيزورنى ويمكن يستلمنى ·· عندما تحضر له النقود ·· أصـــل عددنا كثير ·· بنشترى عيش بـ ١٨ قرشا فى اليـــوم · أكثر أخواتى بيعملوا خدامين فى المنازل ·

●●●

دخـــل عم محمد يدعونا لتناول عشائنا ·· والاكل يتكون من البطاطس والمكرونة والعيش ·· ورغم أن الاكل سيىء فى صنعه الا انتى وجدت بعض الاطفال يلتهمونه بسرعة ·· وبعد أن تناولنا الاكل ذهب عدد كبير من الاطفال الى صـــالة التليفزيون ·· ففي المؤسسة تليفزيون ·· وفضلت أن أجلس مع البـــاقى وهم أربعة أطفال لكى أتسامر معهم وأسمع قصصهم :

قال أولهم واسمه رضوان محمد ·· تعرف أنا كنت مستأجر شقة بـ ١٠ جنيه ؟

فقلت باستغراب ·· غير معقول ومن أين لك بالنقود ·· قال : كنت أسرق سيارات ·· أنا والدى مبســـوط ·· لى ثلاث أخوات بيتعلموا فى الجامعة والمدارس ·· أنا الوحيد اللى فسدت ·

قلت له ·· ليه ؟

قال : كنت أخطأ بعض الاحيان كما يخطىء كل الاطفال ·· والدى يوجهنى بطريقته ·· والدتى كانت تثور وتنشب معركة كبيرة بينهما وتقول له انت حترعب الولد ·· حتموته ·· والدى لم يعد يوجهنى ·· والـــدتى كانت تدلعنى ·· واذا كسرت أى شيء أحتـــمى فى والدتى ·· ونزلت للشارع ·· جمعتنى الظروف بأطفـــال فاشلين من المدارس ·· بدأنا سرقة الدراجات ·· وبعد مدة اتعلمنا سرقة السيارات ·· بعضهم كان متعلم السواقة وعلمونى معـــاهم ·· سرقنا خمس سيارات كان معانا مفاتيح كثيرة (للكونتاكت) بتاع البنزين ·· أجرنا شقة كانت تجمعنا ·· كنا نحضر فيها حاجات (هلس) أراد ربنا واتمسكنا وأحضرونى للاحداث ·· أعمل أيه ·· والدتى بدلعها هى اللى كانت السبب ·

●●●

وجاء الدور على الدرملى ·· والدرملى مشـــهور فى المؤسسة لان شكله وحركاته مضحكة ·· فهو أحيانا أعرج ·· ودائما يغنى بصوت مزعج وفى رأسه آثار لجروح متجاورة ·· وقال : الحقيقة أنا أتمنى أن أكبر بسرعة لكى انتقم من والدى ·

قلت : ليه ؟؟

قال : لانه قاسي ·· تصور كان يمسك والدتي ويضربها ويجرجرها في الشـــــارع أمام أولاد الحارة ·· كان بيهددها بالذبح ويجرى وراءها بالسكين أمي مسكينة ليس لها أقارب ولا معارف ولا أي أحد ألا ربنا · · فهي مقطوعة من شـــــجرة ·· والدى كان يضع المطوة بجانب السرير لكي تخاف والدتي منه وكنا في رعب دائم ·· انا واخوتي ·· هجرت المنزل بمن فيه وشرعت في السرقة ·· اتمسكت من أول مرة · أحضروني هنا ·· والله السجن أرحم من وش والدي ·· فهو قاسي ·· وش نكد ·· انا كان أملي أن أقتله ·· ولكن قلت في نفسي ·· عيب على كل حال ·· أهو أبوك ياواد · وسمعت وأنا في المؤسسة بأن والدتي توفيت ·· مســـــكينة ماتت محسورة ·· ماتت من الخوف ·· ازداد حقدي على أبي ·· طلبت ألا أراه مطلقا ·· اعتبرت أن والدتي ماتت ووالدي مات قبلها ·

●●●

وبدأ أبو ســـــنة يحكي قصته ·· عمـــره ١٢ عاما من المحـــلة الكبرى قال أنا قتلت الولد زكي ·· ضربته بالسكين ·· مات على طول ··

قلت له : يا خبرك أسود ·· قتلته ازاى ·· ؟

قال كنت أنا وهو اصدقاء ·· كان بيهـــــزر معايا ·· وأخذني على خونة وعمـــل قرن ·· شـــــتكلني ·· فوقعت أمـــــام الناس ·· انكسفت قمت من المقلب ·· لكي أعاتبه ·· سبني أمام الاولاد ·· الولد ساق فيها ·· اشتريت سكين واخفيتها ·· في يوم جلسنا نلعب سويا ·· وجيت على خـــونة وضربتـــه بالســـكين · · والواحدة بواحدة · أهو مات ·· والله انا زعلت عليه وبكيت · · مسكين كان انسان ·· بس مش عارف ايه اللي دفعه يعمل ولـــد « فتك » على ·

سألته : والدك بيشتغل ايه ؟

قال : تاجر ·· عنده نقود كتيره ·· بيعطيني كمـــا اريد أنا مدلع ·· أصل أنا آخر العنقود ·

وجاء الدور على البربرى ·· وهو آخر الذين كانوا يجلســـون معي ·· بعد أن ذهبت بقية (الشلة) لصالة التليفزيون ·· قال والدى طلق والدتي ·· وأنا عمرى ست سنين ·· والدتي تزوجت خلاف والدى ·· والدى اشتكى في المحكمة ·· واخذني وأنا عمرى تسع سنوات ·· وتزوج من بنت صغيرة ·· كانت تضربني وتعاملني

مثل الخدام وأقل ٠٠ وتكويني بالنار حقدت عليها وعلى أبي ٠٠ هربت منهم ٠٠ اشتغلت خدام ٠٠ كانت سيدتي تقسو على هي الثانية ٠٠ ففكرتني بزوجة أبي ٠٠ سرقت كل حليها ونقودها وهربت لكي انتقم منها ٠٠ لانني لم استطع الانتقام من زوجة أبي وقبض على البوليس وأحضروني الى هنا ٠٠ انني أشعر بالحقد على والدي وعلى والدتي لانهما أنانيان لا يحبان ألا أنفسهما فقط ٠

●●●

وبعد أن سمع كل منا قصة الاخر ٠٠ طلبوا مني أن أقص حكايتي ٠٠ قصصت عليهم القصة التي رويتها للمشرفة وذكرتها في أول الموضوع ثم انتقلنا بعد ذلك لنحكي (حواديت) استمعنا سويا الى قصة الشاطر حسن وست الحسن والجمال ٠ وفي الساعة العاشرة عادت بقية الشلة من صالة التليفزيون وطلب المشرف أن يجلس كل واحد منا على سريره استعدادا للنوم ٠٠ وفي تمام العاشرة والنصف أمرنا بأن ننام فلم استطع النوم من كثرة البراغيث والصراصير وريحة البودرة التي جعلتني في عطش دائم ٠٠ والسرير مخلع وهو سرير اسما ٠٠ والبطانية خفيفة وصالة النوم واسعة وباردة كالثلاجة ٠٠ ولم انم ومكثت أفكر في القصص التي سمعتها من الاطفال المساكين ٠٠ كلها تدل على القسوة ٠٠ على الخطأ في معاملة الاباء والامهات للاولاد ٠ وفي الساعة السادسة صباحا ٠٠ وجدت من يدفعني ويقول محسن ٠٠ محسن ونهضت وطلبوا مني أن اكنس وأمسح البلاط مع زملائي ٠٠ ونفذت الامر ومسحت البلاط بالخيشة كنت أشعر بأن ظهري انكسر ٠٠ من البرد ٠٠ ومن البلاط ٠٠ ذهبنا بعد ذلك الى طابور الصباح وكان الطابور مقسما الى ثلاثة أقسام ٠٠ قسم الاشبال من سن ٣ الى سن ٧ وقسم الشباب من ٧ الى ١٢ وقسم الطليعة من ١٣ الى ١٨ ٠٠ والايراد يقف وحده بعيدا ٠٠ لكي ٠ يتلافوا عدوى الامراض ٠٠ ووقفت في الايراد ٠٠ لانني كنت جديدا ٠٠ وبعد الطابور وتحية العلم ٠٠ ذهب كل قسم الى العمل ٠٠ فقسم الاشبال ذهب للمدرسة ٠٠ وقسم الشباب والطليعة ذهب للورش ٠٠ وفي المساء يكون العكس ٠٠ الاشبال تكون في الورش ٠٠ والشباب والطليعة تكون في المدرسة ٠

●●●

وفي الساعة الثانية عشرة والنصف جاء موعد الفسحة ٠٠ واجتمعنا أنا واصدقائي وقال لي أحد الاطفال تعرف ده ٠٠ دا

سليم أبو سليم (ابن سليم سويلم السفاح) ٠٠ واقتربت من سليم وقلت له : انت هنا من امتى يا سليم ؟

قال : الحكومة احضرتني الى هنا ٠٠ لان كل أسرتي توفيت ٠٠ والدى كان شقى ٠٠ كان يقتل الناس ٠٠ أنا سأكون طيبا ٠٠ كرهت القتل ومنظر الدم ٠٠ أنا باتعلم (صنعه) بالنهار وفى الليل أتعلم القراءة والكتابة ٠٠ مش كده أحسن ٠٠

وهززت رأسى وقلت له : أحسن ٠

● ● ●

ولمحت طفلا يجلس في الفناء ٠٠ واقتربت منه ٠٠ وقلت : ايه ٠ انت قاعد وحدك ليه ؟

قال : كده ٠

قلت : والدك عايش ؟

قال أيوه والدى موظف ووالدتى موظفة ٠

قلت له : ايه اللى جابك هنا ؟

أجاب وهو ينظر للارض ٠٠ الخدامين ٠٠ وبدأ يقص على حكايته ٠٠

قال : والدى كان يذهب للعمل ووالدتى كانت تذهب هى الاخرى للعمل ٠٠ كنت أجلس مع الخدامين محمد وعثمان ٠٠ كانا شريرين ٠٠ كانا باستمرار يطلبان منى أن أطلب نقودا من والدى ووالدتى ٠٠ كنت أطلب النقود على أنها مصاريف للمدرسة ٠٠ وعند خروج والدى ووالدتى كنا نتنزه ٠٠ وفى مولد السيدة زينب نزلت مع محمد فحرضنى على السرقة ٠٠ بعد أن علمونى ٠٠ نجحت مرة وسرقت جنيه ونصف ٠٠ وفى تانى مرة اتمسكت ٠٠ أعمل أيه والدى ووالدتى تركونى للخدم ٠٠

● ● ●

وأثناء سيرى فى الفناء وجدت شخصا ضخما طويلا ٠٠ عرفت أنه معلم ٠٠ يضرب طفلا بعصا غليظة بشدة ٠٠ وبعد أن انصرف المعلم واسمه محمد ٠٠ اقتربت من الطفل وقلت له بيضربك ليه ؟

قال : لاننى اتاخرت في احضار الاكل شوية ٠٠ كنت باجمع الاولاد علشان يحملوا الاكل ٠٠ هنا قاسيين وبكى الطفل ٠٠ وتألمت لبكائه وأخذت الطفل بعيدا ٠٠ وجلست أهون عليه من

لضرب .. وضحكت معه الى أن ابتسم .. وقلت لـه انت فى لاضلاحية ليه .. واسمك أيه ؟

قال : أنا مليش أب ولا ام واسمي صابر .. الاولاد بيقولوا انى ابن حرم .. مش عارف مين اللى قال لهم .. أنا سمعت انهم وجدونى بجانب (الحيطة) .. وماليش أى حد .. ولا أقارب .. ولا أب ولا أم .. وأنا لو كان لى أم والا أب .. ماكنتش اتضرب كده .. وصونت على الطفل .. وتركته بعد أن اعطيته الشيكولاته .. وبينما كنت افكر فى قصة صابر .. وفى يده المتورمة سمعت من ينادى على :

ـ عبد المحسن عبد الصبور ..

والتفت ورائى .. وعرفت أنه عم محمد وقال لى (تعال أسلمك للعنابر بالسركى) وسلمنى للعنابر ، وتوجد مدرسة صناعية بالمؤسسة فيها قسم للنجارة وقسم للميكانيكا واخر للكهرباء والبرادة .. وقسم للنقش والزخرفة وكل هذه الاقسام بلا امكانيات فى الآلات ولا لتعليم الاحداث ، ولكنها كما يطلقون عليها أقسام للزينة، لذلك لاتجد أن الاحداث لا يتعلمون الصنعة وذلك لعدم وجود الامكانيات والمعلمين . وكان نصيبى فى قسم الشباب .. وشعبة النجارة وبدأت أتعلم لكى أكون نجارا .. ومسكت (الفارة) والشاكوش .. وقال أحد معاونى المكتب . بعد ماتتخرج من هنا سيكون عمرك ٢١ عاما .. متعلم صنعة .. تعرف القراءة والكتابة وتبقى عال .

⊛⊛⊛

وحضر الزميل المصور .. وقال للمسئولين ان هذا الحدث مطلوب فى الوزارة وفى الطريق كنت أفكر فى المدة التى قضيتها فى مؤسسة الاحداث باعتبارى الحدث رقم ١٣ .. اننى لن أنسى الدرملى ومصطفى وغيرهما ممن قصوا على حكاياتهم ومشاكلهم .. وعرفت أن أهم الاسباب التى تهدد الطفل ومستقبله هو الطلاق والخلاف الذى ينشب فى الاسرة .. وترك الاطفال بدون رقيب عليهم .. فلا استعمال القسوة مع الطفل يصلحه ولا استعمال التدليل يعلمه .. وأصدقاء الطفل لهم أثر كبير عليه .. فالبيئة يرجع اليها العامل الاكبر فى تكوين الطفل .. وانى أهدى كل هذه القصص الى الآباء والامهات .. أهديها لهم من الحدث رقم ١٣ ..



بركاتك ..

يا شيخ زعلوط

تنكرت فى شخصية الشيخ عطعوط رجل المعجزات فى اكثر من قرية ..

فى اكثر من قرية ..ولم يعلم اهالى هذه القرية .. ان بركات الشيخ عطعوط ما هى الا وهم وخيال .. وكانت ضجة .. ما بعدها ضجة ؟ انا الشيخ محمـــد عطعوط .. ؟ انا رجل المعجزات فى المنوفية ؟؟ اذا لم تصـــدقونى فاسالوا اهل قريتى « دبيركى وام صالح » .. لقد تركت قرية « دبيركى » بعد ان امر اهلها على بناء مقام لى نظرا لانهم شاهدوا بركاتى !

فى قرية أم صالح دفع أحد الفلاحين عشرة جنيهات لكى يكشف عليه الشيخ عطعوط مرة واحدة .. وفلاح آخر حمل ابنه المريض وقال أن ثروته كلها التى تقدر بآلاف الجنيهات ملك للشيخ عطعوط يأخذ منها ما يشاء حتى يشفى طفله بعـد أن كشف عليه ووصف له العلاج ؟؟

والآن تعالوا معى الى المنوفية .. حيث ظهرت معجزات الشـيخ محمد عطعوط .

فى مدخل قرية دبيركى مركز منوف وبينما أسير وورائى أتباعى الشيخ مصطفى الذى يطلق البخور والشـــيخ حسن حامل العدة .. والشيخ توفيق الذى سار وراء الشيخ عطعوط من أسوان حتى وجه بحرى وترك أولاده وأسرته ليتبرك بالشيخ .. لانه وجد منه كرامات عديدة .. وجدت ترحيبا من أهل البلدة كل واحد منهم يصر على أن أستريح عنده .

واخترت منزلا معينا بالذات فى أول القرية مبنيا بالطوب اللبن .. وتزاحم الاهل كل واحد منهم يريد أن يكـون له الاولوية فى التبرك بالشيخ عطعوط ..وتناولنا عديدا من أكواب الشاى والقهوة .. والناس فى الخـــارج ينتظرون .. وطلبت أن يدخلوا واحـدا واحدا حسب طلبى .

وكان أول من دخل امرأة شابة عمرها ٢٢ سنة على كتفها طفل صغير يبكى باستمرار وطلبت من الشيخ مصطفى أن يطلق البخور



كنت أقوم بحركات الشموذة لكي أعرف
لماذا يعاكس الجن مرسي .. بينما ظهر
بجانبي الشيخ مصطفي «المقدم فاروق مكي»
ينظر ماذا يفعل الشيخ عطموط في مرسي !!

٠٠ وأن يجهز الاوراق التي أمامي وهي عبارة عن كتب صفراء من الكتب التي تستعمل في تحضير الجان وأوراق مكتوبة بالاحمر وبالاصفر ٠٠ كما طلبت منه تقطيع ورق صغير ٠٠ فالشيوخ الكبار لابد أن يكون لهم مساعدون ليتعلموا على أيديهم ٠

وبعد فترة طويلة من التمتمة والقراءات التي أقرؤها من الكتب قلت لها : اسمعي يا شابة انت اسمك عيشة ٠٠ وامك اسمها نفيسة ٠٠ والى على كتفك ده ابنك واسمه احمد ودائما يبكي كتير ٠ وجوزك كان يعمل خفير ومات منذ سنة وبتاخدى معاش من الحكومة ثلاثة جنيه ٠٠ وانت في صراع مع أهلك عاوزين يجوزوكي بواحد تاني ٠

وكنت أقول هذا والشابة في غاية الاستغراب والدهشة والفزع ارتسما على وجهها ٠٠ ان كل هذه المعلومات حقيقية ٠٠ قلت لها مضبوط الكلام ده واللا لأ يازينب ٠٠ قولى اذا كان فيه حاجة غلط؟

قالت : بركاتك يا سيدنا الشيخ كل كلامك صح والنبي دا انت بركة ونزلت لنا من السماء ٠

قلت لها : دلوقتى أنا عارف انتى جايه ليه ٠٠جايه علشان أكتب ورقة لابنك المريض أحمد ٠٠ مش كده واللا أيه ؟

ـ أيوه والنبي ياسى الشيخ بركاتك معاه ده يتيم ياسيدنا الشيخ

ـ وليه يا زينب ماروحتيش الى المستشفى بأحمد ؟

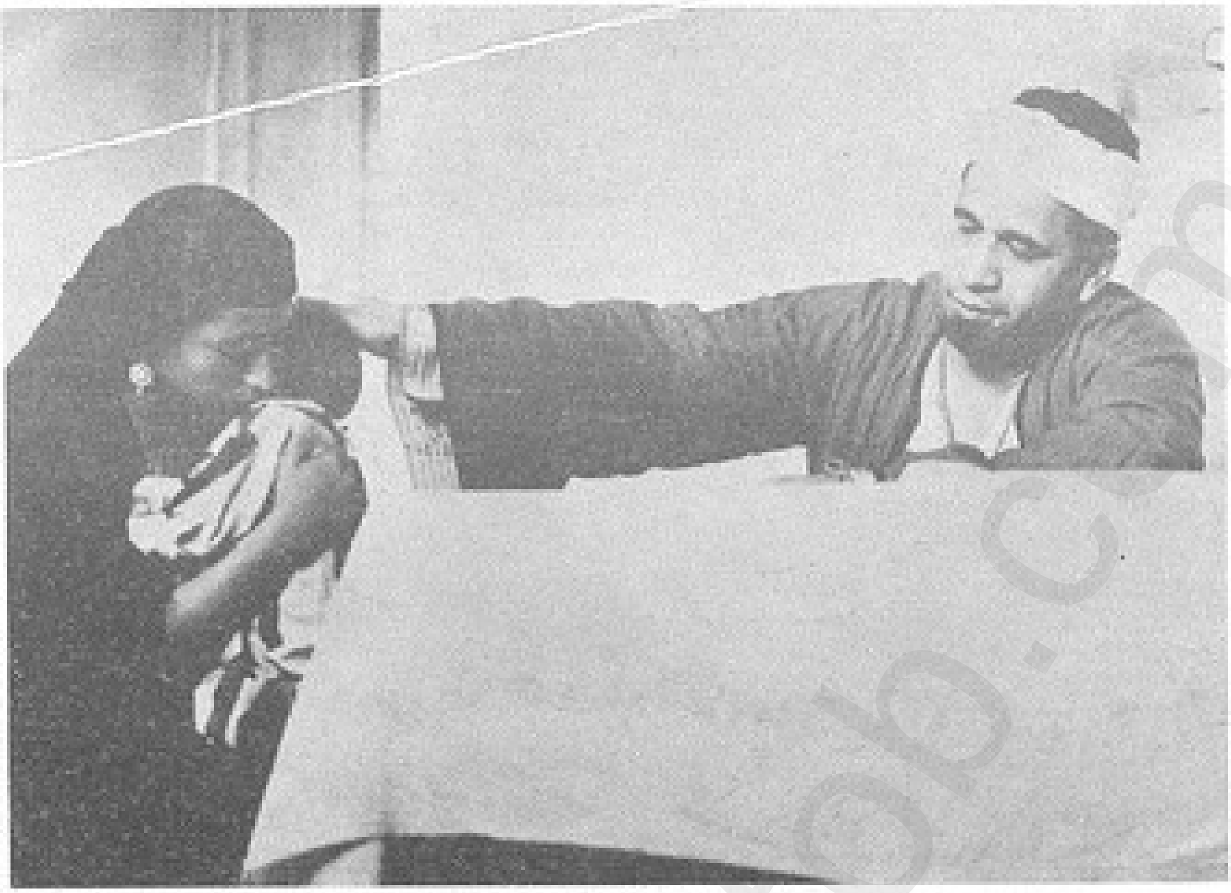
ـ والله ياسيدنا الشيخ ذهبت به مرتين ، والحال زى ماهو ٠

ـ طيب حاكتب لك ورقة وتعمليها حجاب ولا تجعلى أحدا يراها ٠٠ وأنا حاقرأ عليه ٠٠ وربنا حيسهل ويخف والبكاء سيقل ٠

وكتبت لها ورقة بها كلام غير مفهوم ٠٠ وأخذته السيدة وهي تدعو لى بطول العمر ٠٠ وأصرت زينب على أن تعطيني عشرين قرشا ٠٠ ورفضت وقلت لها ان الشيخ عطعوط يعمل لله وعلمه من عند الله ٠٠ فلا يبيع علم الله ٠٠ وأصرت مرة ثانية فرفضت ٠

وخرجت زينب وهي تقول بركاتك ياعم الشيخ عطعوط ٠٠ وتقول لكل من يقابلها في القرية أن وجود الشيخ عطعوط فرصة لاتعوض وسره باتع ويعلم الغيب ٠٠ ويقرأ الاسرار ٠٠

والحالة الثانية كانت لفتاة متعلمة وهي موظفة تعمل في وزارة الشئون الاجتماعية ٠٠ دخلت الحجرة وهي تتفحص كل ما فيها ٠٠



جاءت هذه السيدة القروية بابنها المريض لكى يباركه الشيخ عطعوط ويعرف سبب المرض ويكتب العلاج!

كان يهمها أن تجد ثغرة واحدة لتكشف الشيخ عطعوط وألاعيبه أمام القرية كلها وفى نفس الوقت تجرب وتشوف بعينها ..

وأدركت أن اقناع مثل هذه الفتاة سيكون أكبر دعاية للشيخ عطعوط فقلت لها : انت جاية علشان تمتحنينى .. انما كل شىء بأمر الله أطلق البخور يا شيخ مصطفى جهز العدة ياشيخ حسن .

وأخذت اقرأ التعاويذ والكلام غير المفهوم الذى اخاطب به شمهورش .

قلت لها : اسمعى ياشابة .. أنت كنت مخطوبة قبل كده مرة .. اسمك (....) واسم أمك (....) ثم خطبك شخص آخر

ما زال فى الدراسة ·· وتكلمت معها عن ظروف خطبتها الاولى والثانية ·· وان الله سيبارك فى الخطبة الثانية ·· وقلت لها كلاما عن ظروف حياتها العائلية ·

ولم تتكلم الفتاة ·· كل مافعلته أنها جذبت يدى لتقبلها وتقول أعذرنى يا سيدنا الشيخ اللى ما يعرفك يجهلك وكتبت لها حجابا عبارة عن ورقة بها حروف أبجدية وقد أضفت اليها كلاما متنافرا ليس له معنى ·· وأصرت الفتاة على أن تعطينى نقودا (حوالى ٥٠ قرشا) ولكنى رفضت وقلت لها : كله من عند الله ·

وكان الزبون الثالث فى هذه المرة رجلا عمره حوالى الخامسة والاربعين ويعمل حلاقا للقرية ونظرت اليه فوجدته يتحفز لى ولكلامى وحركاتى ·· وحلاق القرية يلعب دورا كبيرا فيها فهو ينقل الحكايات والروايات للزبائن ·· اذن لابد من أن يخرج (مرسى) وهذا اسمه ، وهو راض تماما لتكون دعايته كبيرة للشيخ عطعوط ·

وبعد أن أطلق الشيخ مصطفى البخور وتمتم معى ·· وجهز الشيخ حسن العدة قلت له اسمع يا راجل انت اسمك مرسى وأمك اسمها حميدة وأنت عليك عفاريت دايما تقوم بالليل وتضرب ولادك بالخيزرانة باستمرار وتصحى كل اهالى القرية ·· ولا يحدث هذا الا فى ساعات متأخرة من الليل · كذلك يحدث فى الظهيرة ·· وعندما تفوق تجلس وتبكى ·· وانت دائم السير فى الشوارع وتقول محكمة لذلك سموك مرسى محكمة ·

وهنا صرخ مرسى وقال : بركاتك يا سيدنا الشيخ ·· ربنا ينصرك أمى دى المشايخ واللا بلاش يا رجاله ·· مش قلت لكم يا ناس ان على عفاريت ·· باقوم أضرب أولادى بالخيزرانة ·· حد فى الدنيا يضرب أولاده من غير سبب الا أنا ··

وعاد مرسى ليقول ·· والنبى يا سيدنا الشيخ تقول مين اللى عمل لى العمل ده ·· قلت له : العمل المعمول عمل سفلى يا مرسى فيه ولاد حرام عملوا لك هذا العمل ·

قال : والله يا سيدنا الشيخ أنا عارفهم لابد أن أضربهم بالنار ·· قلت له أعقل يا مرسى النار مش تمام اسمع كلام الشيخ عطعوط ·· ادعى لهم بالهداية واتركهم فى حالهم ·· وأوعى تفكر ·· الشيخ عطعوط سيبطل كل الاعمال وأوعى ترتكب اى حماقة ·

قال : خلاص يا سيدنا الشيخ اللى تشوفه ماشى .

وهدأت بعد انزعاجى عندما سمعت مرسى وهو يقول أضربهم بالنار .. ثم سمع كلامى .. وأدركت ماذا كان يحدث لو كان مكانى دجال حقيقى .. أكيد أن مرسى كان سيرتكب هذه الجريمة .. وكتبت لمرسى ورقة بالهداية باللون الاحمر وقلت له : خذ يا مرسى هذه الورقة وبلها فى الماء واستحم بها يوم الجمعة قبل الصلاة .. وكل شىء سيكون بعد ذلك عاديا .. وقبل أن يترك مرسى مكانه جاءت زينب (الحالة الاولى) وهى تقول :
بركاتك يا سى الشيخ الولد شفى .. سكت لم يعد يبكى .. ونظرت الى الولد فوجدته نائما .

قلت لها : اتركيه يا زينب .

قالت : لابد أن تاخذ النقود وحياة سيدنا محمد .. قلت لها وحياة سيدنا محمد كله من عند الله .

وقال لها مرسى : ده شيخ مبروك ربنا بعته لنا من السماء .. وخرج مرسى وزينب وهما يتندران ببركات الشيخ عطعوط وبعد قليل وجدت زحاما من أهالى القرية .. كل منهم يحب أن يكون له الاولوية فى مقابلة الشيخ عطعوط لان مرسى وزينب طافا بالقرية يقولان ويبالغان ويضخمان لاصدقائهما عن الشيخ الموجود الذى يعرف كل شىء بأمر الله .

وأغرب حالة جاءت الى .. كانت حالة متسول أخذ يتوسل الى لكى أكتب له حجابا بالقبول عند الناس حتى اذا تسول يعطى له الناس النقود دون أن يرفضوه . فقلت له أمام أهل القرية يابنى اذهب واعمل فالله لايحب العاطلين .

حالات عديدة وكثيرة جاءت الى من قرية دبيركى .. وفى يوم واحد كشفت على ما يقرب من ٣٠ حالة كلها حالات تدور حول المرض والحب .. العانس التى تريد الزواج والعاقر التى تريد انجاب اطفال .. والذى يشكو من عمل معمول له ومدفون فى مكان بعيد .. والاسرة التى هربت ابنتها .. كل انواع الحالات رأيتها وكشفت عليها .

●●●

وسمعت أهل القرية يبالغون فى كراماتى .. فزينب قالت ان ابنها قد شفى ومرسى قال بانه لاول مرة لم يضرب أولاده بالخيزرانة وأم هاشم .. كل واحد وواحدة أخذ يبالغ فى كرامات الشيخ

عطوط بدرجة مثيرة .. وعندما خرجت من المنزل لاغادر القــرية تمسك أهل القرية بى وقالوا لى :

لا بد من بناء مقام لك يا شيخ عطعوط لا بد أن تمكث فى بلدنا ولا تتركها .. ومسكوا فى بينما جاءت سيدة ورائى تحاول اعطائى نقودا .. وقالت اتصرف فيها ان شاء الله حتى ترميها فى المصرف دول حلاوة ؟؟

ـ الولد خف .. والله لا يمكن أخدهم أبدا .. وتركت النقود وجريت .. وهى تقول يا حلاوة يا شيخ عطعوط ..

ولم يتركنى أهل القرية الا بعــد أن وعدتهم بأننى سأسافر الى مصر باذن الله وأصفى أعمالى وأحضر الى قريتهم ويبنوا لى المقـام وأستقر فيه .

ملحوظة :

فى هذه القرية وحدها ٣٨ مقاما لـ ٣٨ شيخا .. وتركت قرية دبيركى فى المساء .. تركتهم يتكلمون عن بركات وكرامات الشيخ عطعوط .

وذهبت الى قرية أم صالح مركز بركة السبع .. وكانت أخبارى سبقتنى الى هناك وكما فعلت فى قرية دبيركى اخترت أحد منازل القرية ونزلت فيه .. وبدأ الزحام .. الحالات تتوافد وكل واحد يريد أن يكون لهالاسبقية للكشف عند الشيخ عطعوط .

ودخلت أولى الحالات .. كانت تقول فى عرضك يا سـيدنا الشيخ .. أنا بنتى تعبانة .. ولفيت بها على كل الناس قالوا انها مخاوية عفاريت وتقوم بالليل وتعمل حركات هسـتيرية .. فالناس قالوا لى مايخففهاش الا الشيخ عطعوط .. اعمل معروف .

قلت لها : كله بأمر الله .. يا حى يا قيوم .. أطلق البخور يا شيخ مصطفى .

وكتبت لها الحجاب وقلت لها : ضعيه تحت المخدة التى تنام عليها ابنتك وان شاء الله كل شىء سيسير على ما يرام ..

ودخلت على سيدة وهى تقول لى : بركاتك يا عم الشيخ يا مبروك يااللى بتعرف كل شىء .. صيتك لف السبع مديريات ؟؟

عاوزة أعرف ايه اللى يوجعنى وتشوف حكاية ابنى وبنتى ..

قلت لها : أولا أنت اسمك هانم وأمك اسمها فاطمة ٠٠ وبنتك ان شاء الله ستتزوج ٠

قالت : والنبى يا سيدنا الشيخ أجوزها لمين فيهم ما هم اتنين ٠٠ أنت تعرف الاصلح يا أبو ايد مبروكة ٠

قلت لها : حاعرف وبعدين أقول لك ٠٠ انما مؤقتا خدى هذا الحجاب بالقبول واسألى البنت أى عريس تريد ٠٠ وبعدين قولى لى ٠٠ وأنا أقول موافق واللا لا ٠٠

ثم دخل شخص عمره ٤٢ عاما ٠٠ كان يود أن يرى الشيخ عطعوط ٠٠ وعندما دخل قبل يدى وقال بركاتك ٠٠ أنا خدامك يا سى الشيخ ٠

قلت له : انت اسمك على وأمك اسمها هانم ٠٠ وسبق انك كنت وراء سور عالى ٠٠ يا ترى ايه ده ؟ ٠٠ مستشفى واللا مدرسة ٠٠ واللا سجن ؟

أجاب : سجن يا سيدنا الشيخ ٠٠ كنت شقى زمان وتبت ودخلت السجن ثلاث مرات وطالب التوبة ٠

ـ انت فيه نية خبيثة عندك يا شيخ على وهذا لايصح أبدا ٠

ـ لكن يا سيدنا الشيخ فيه ناس بيعكسونى ويستفزونى ٠٠ أعمل فيهم يه ٠٠ ؟

ـ اصبر يا على ٠٠ وحاكتب لك ورقة بالهداية انما يا على أوعى ترتكب أى عمل مخالف واللا تعود للشقاوة زى زمان ٠

ـ أنا بصمت بالعشرة يا سيدنا الشيخ ٠٠ والله لو حتى ضربونى لا يمكن أرد عليهم ٠

وكتبت له حجابا بالقلم الاحمر ٠٠

وقلت : يا على ٠٠ بلل هذه الورقة فى الماء ٠٠ اشرب من منقوعها ثلاث مرات فقط كل يوم جمعة بعد الصلاة بعد أن تضع على المنقوع عصير ليمونة !!

وخرج على وهو يصيح ٠٠ والله يا ناس أنا بصمت بالعشرة ده شيخ مبروك قوى قال لى على كل اللى فى سرى ٠

وبعده دخلت شابة فى حوالى العشرين من عمرها ٠٠ وجلست

وهى مرتابة . وبعد أن طلبت من الشيخ مصطفى أن يطلق البخور ويتمتم .

قلت لها : أهلا باتوال يا بنت نفسية ده انت عروسة .. مالك وعلانة يا عروسة ؟؟ فيه شوية زعل بينك وبين عائلة زوجك . وانت مش عاوزه الجوازة دى تتم وفيه شوية كره مش كده واللا ايه؟

قالت : اى والله يا سيدنا الشيخ هو كده مضبوط .

قلت : شوفى يا بنتى جوزك كويس ومافيش منه واتكلى على الله وادخلى ودى جوازة كويسة وربنا سـيوفقك ان شاء الله وأنا حاعمل لك حجاب بالمحبة تحطيه تحت عقب الباب فيمنع الشيطان باذن الله وكتبت لها الحجاب .

وخرجت نوال وبعد فترة وجدت أن أمها دخلت وغيرت اسمها امامى وقالت أن اسمها نفيسة .. وكانت تود أن تمتحنى .

وظلت امامى وطلبت أن يطلق الشيخ مصطفى البخور .. وبعد فترة قلت لها لماذا تكذبى يا نفيسة يا بنت عيشة .. لماذا الكذب .. وصححت فيها ونهرتها .. وبعد ذلك قلت لها انت جاية لاجل بنتك نوال العروسة مش كده واللا ايه .. وأنت جاية تمتحنينى والحمد لله خرجت وأنت أكثر ايمانا بالشيخ عطعوط .. وأنا على كل حال سأكتب لك الحجاب .. فوجدت أن الست تبكى وتقول صدقتك يا سيدنا الشيخ . فظلت تقبل يدى مدة طويلة .. وتقول بركاتك يا شيخ عطعوط .

ودخلت الحالة الثالثة وكانت سيدة فى حوالى الخامسة والثلاثين وبعد اطلاق البخور والقراءة من الكتاب الاصفر .

قلت لها : انت توحيده بنت هانم .. وطبعا أنا حاقولك انت جايه علشان ايه .. انت جايه لاجل الخلف عاوزه أولاد .

وانتظرت توحيدة فترة وقالت أولاد يا سيدنا الشيخ ده أنا عندى شوقى وحاتم .

ولاول مرة ارتبكت وصحت وقلت ياشيخ مصطفى ايه هو الورد اختلف واللا ايه .. ولمحت معانى الارتباك على كل من فى الحجرة من مساعدين .

وقال الشيخ مصطفى لابد أن يكون الورد مختلفا ياسيدنا الشيخ .

وحمدت الله وقلت بصوت عال هل عندك العادة الشهرية .



بعيدا عن الناظرين وعن المساعدين اخذت هذه السيدة المسنة تهمس فى اذنى الشيخ عطعوط لكي يعمل لها «الحجاب» !!

قالت : أيوه ياسيدنا الشيخ

فقلت لها : احضر الى بعد ان تذهب العـادة وتكون متوضية ومصلية فالذى يحضر أمام الشيخ عطعوط لابد أن يكون طاهر .. أنت عاوزة تطفشي الجان وتنفس جميع من فى الحجرة ونظروا الى بشيء من الارتياح .. وكان هذا هو المأزق الوحيد .

●●●

وحالة أخرى لسـيدة عمرها ٦٥ عاما .. عجوز .. جاءت الى وبعد فترة قلت لها لابد أنك مريضة وتريدين حجابا . أجابت أبدا يا سيدنا الشيخ ومالت على أذنى وقالت اننى أريد ورقة لترجع الدورة الشهرية حتى أنجب طفلا لزوجى .

وقلت لها : اننى سأكتب لك ورقة .. وكل شيء يعلم الله هو الوحيد الذى يفعل ما يريد .. وهو على كل شيء قدير . حى . حى .

وكتبت لها الحجاب وقبلت يدى .. وقالت والله ياسيدنا الشيخ لابد أن أحضر لك الحلاوة .. انت فين عنوانك كل أهـل البلد عاوزين يزوروك فى مصر .

قلت لها : عند الباب الاخضر أمام سيدنا الحسين .

قالت : بركة يا حسين .. والنبى عمر ما جاء لبلدنا رجـل مبروك زيك كده يا شيخ عطعوط .

وظللت أكشف وأرى وأسمع حوالى ٢٠ حالة مختلفة من رجال وسيدات وشيوخ وشبان ثم قلت للاتباع للرجال : خلاص انتهينا النهارده .. فتجمهر الناس على باب الحجرة ودفع احـد الفلاحين عشرة جنيهات لاحـد أتباعى وقال عشرة جنيهات أهى .. ولابد أن الشيخ عطعوط يشوفنى ويشوف ابنى .

وفلاح آخر حمل ابنه وقال أنا مستعد أدفع مائة جنيه .. وكل ثروتى التى تقدر بالوف الجنيهات تحت أمر الشيخ عطعوط حتى يشفى ابنى المريض والله لو نمت أسبوع على البـاب لابد أن يرى الشيخ عطعوط ابنى .

وعندما وجدت الزحام شديدا أرسلت أحـد أتباعى الى الناس فى الخارج وقال لهم أن الشيخ عطعوط يعدكم بأنه سـيمر مرة أخرى لان الجان تعبت فى هذا اليوم وكمان الشيخ عطعوط تعب قوى وأنتم لا ترضون أن يتعب الشيخ عطعوط .. وانصرف الناس وتناولنا الغداء بعد أن أرسلت القرية الغداء المكون من البط والحمام

وخلافه حتى يتغدى الشيخ عطعوط وأتباعه وانصرفت فى المساء .. وأهالى القرية يقابلوننى فى الشارع ويقبلون يدى والسعيد هو الذى يتبرك ويقبل الشيخ عطعوط .

وبعد أن شاهدت العديد من الحالات أردت أن أنصرف من القرية الا أن أهل القرية الثانية أرادوا أيضا بناء مقام لى .. ولكنى تركتهم .

●●●

وتبدأ قصة هذه المغامرة عندما أردت أن أعمل تجربة حية تجارب الدجالين والمشعوذين فاستعنت بالمباحث الجنائية بالمنوفية وبالشئون العامة بالداخلية وقد أمر العقيد عبد العال شطا رئيس المباحث فى ذلك الوقت أن يصحبنى النقيب فاروق مكى ويتنكر فى زى مشعوذ (الشيخ مصطفى) وحتى يشاهد التحقيق على الطبيعة ويرافقنى فى التحقيق حسن سعد المصور الصحفى بأخبار اليوم (الشيخ حسن) وتوفيق عبد القادر رئيس التمثيل بالمنوفية والذى يقوم بعمل المكياج لى وقبل أن نذهب الى القرى أرسلنا من يقول بأنه سيحضر الى القرية شيخ ذاع صيته اسمه الشيخ عطعوط وله كرامات الى أن وصلنا القرية فوجدنا الناس فى اشتياق على أحر من الجمر .

وذهبت الى هذه القرى قبل أن أتنكر وتفاهمت مع بعض أبنائها حتى يقولوا لى على أسماء هذه الحالات قبل أن أكشف عليها وحتى يكون عندى معلومات كثيرة عن كل حالة .. ثم أقولها أمام الرجل أو السيدة فتفاجأ باننى أعرف عنه أو عنها الكثير فيؤمنون بى

وعندما فهم أبناء هذه القرى هدفى من التحقيق الذى أقوم به وافقوا على أن يساعدونى ولم أقل لاكثر من واحد فى أى قرية حتى لا ينتشر الخبر ويفشل التحقيق .

وبعد أن نشرت المغامرة الصحفية فى الجريدة ذهبت مرة أخرى الى القريتين ولم أكن فى هذه المرة الشيخ عطعوط بل كنت الصحفى عبد العاطى حامد وشرحت لهم أساليب الدجل والشعوذة واننى كنت أستطيع أن أسرقهم وأحتال عليهم بمنتهى السهولة لو كنت دجالا .. وتحدث عبد اللطيف عطا الله أمين الاتحاد الاشتراكى وشيخ جامع قرية ديركى والذين ساعدونى وبصروا الاهالى باساليب الدجل والشعوذة . وخرجت من القريتين وأنا أشد ايمانا بأن الريف المصرى يحتاج الى كثير من التوعية .

كلمة بسيطة في النهاية اقولها للقراء ٠٠ ان هـذه المغامرة تعطى صورة واضحة بان المشعوذين والدجالين المنتشرين بالمئات في القرى والذين يشكلون خطرا كبيرا على السذج من اهالى القرى ويبتزون اموالهم ويضحكون على عقولهم ما هم الا صورة مصغرة من الشيخ عطعوط ٠ الذى استطاع ان يخدع اهالى القريتين بانه شيخ باتع الكرامات الى درجة ان اهل القريتين بنوا له مقاما في كل قرية حتى يستقر فيها، وعرضوا عليه آلاف الجنيهات بينما في الحقيقة ما هو الا مواطن عادي يعمل صحفيا في أخبار اليوم ويقوم بمغامرة صحفية ، واعتقد انني نجحت في هذا لدرجة ان الشيخ عطعوط اصبح مثلا ٠٠ فلو اراد اي مواطن من قرية أخرى ان يضحك مع اى مواطن من اهل القريتين اللتين قمت فيهما بالمغامرة فيقول له :
بعدين بقى ٠٠ مش انت من بلد « الشيخ عطعوط »
وكان كل هدفي من هذا الا ينخدع الناس الطيبون ، في اشخاص يحاولون استغلال طيبة الناس وثقتهم بالغريب لكي يضحك على ذقونهم ويكسب من ورائهم كسبا ماديا ويثقون فيه بينما هو ليس الا انسانا مزيفا يحاول ان يضر بالدين وبسمعة الدين وادعاء شيء ليس فيه ٠٠ وهذا ما يجب ان نحاربه جميعا !





طبيب مزيف في قصر العيني

ما الذى يجرى داخل «عنابر قصر العينى ؟».. كيف يرقد المرضى

.. كيف يجرى علاجهم .. وكيف تتم معاملتهم .. لقد استطعت أن اتنكر فى زى طبيب وعشت التجربة المثيرة داخل اقسام العلاج المختلفة .. لقد كانت تجربة مثيرة ومر. رايت تفاصيلها فى دهاليز قصر العينى .
لبست البالطو الابيض .. ووضعت السماعة حول عنقى .. ودخلت قصر العينى .. لم يعترض طريقى احد ولم يسالنى احد من انت .. افترض الجميع ببساطة انتى واحد من الاطباء .. لماذا .. ؟

ربما بسبب البالطو والسماعة . ان كل من يستعملها لابد أن يكون طبيبا .. اما أن يكون طبيبا مزيفا .. فهذا آخر ما يفكر فيه العاملون فى قصر العينى .

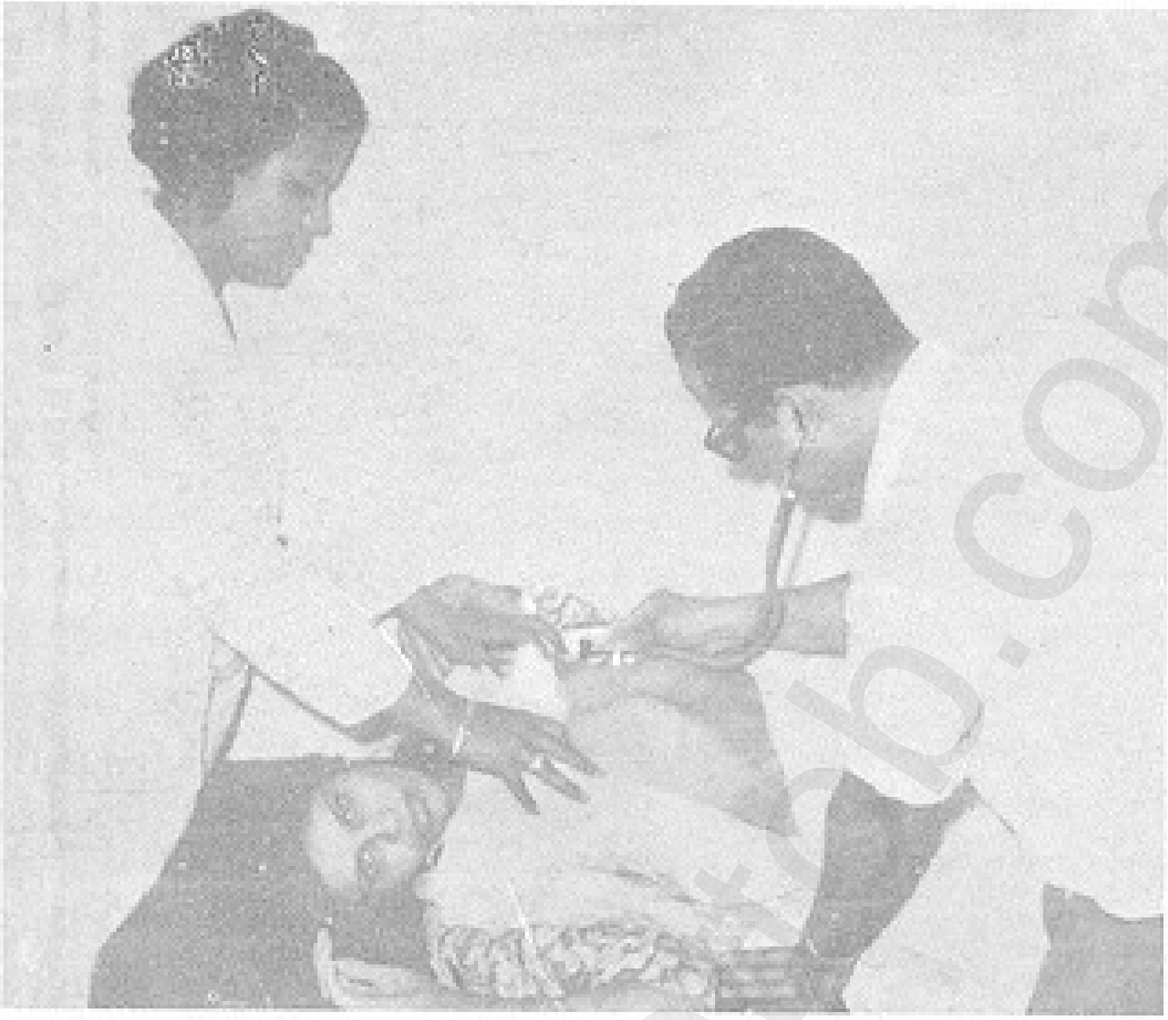
ومضيت أتنقل من قسم الى قسم آخر فى صحبة الاطباء زاعما اننى طبيب من اسيوط .. ولم يشك أحد فى شخصيتى .. ولم يتصور أحد أننى صحفى جئت الى قصر العينى متنكرا فى زى طبيب حتى أرى الحقيقة بغير تزييف .. وحتى أتمكن من نقلها الى القارىء بعيدا عن الوهم والخيال .

ولو اننى تماديت فى تمثيل دورى ، وكشفت على عدد كبير من المرضى .. لما اعترض أحد .. ولو انى كتبت لهم روشتات خاطئة .. لما سالنى أحد .. ماذا تكتب ؟ وربما لو صحبت العديد منهم الى غرفة العمليات لكى أعمل لهم عمليات لا أساس لها ، لما سالنى أحد : الى أين ؟

ان كل شىء ممكن داخل قصر العينى ..!

● ● ●

ذهبت الى أحد أصدقائى من الاطباء ، وطلبت منه أن أتعلم بعض الاصطلاحات الطبية عن الامراض الشائعة التى يستخدمونها عادة فى حالات المرضى الذين يذهبون الى الاستقبال أو الى العيادة



كشفت هذه السيدة عن بطنها لكي اكشف
عليهـــا بينما وقفت الممرضـــة تساعدنى
ومضيت فترة طويلة ولم يكشفنى احد ..

الخارجية وكتب لى بعض هذه الاصـــطلاحات الضرورية فى ورقة وحفظتها .. وكذلك طلبت أن أتعلم منه طريقة اعطاء الحقن .

وبدأنا بالاصعب : تعليم اعطاء الحقن .. واخذت فكرة نظرية وعملية عن طريقة اعطاء الحقن . وان كنت للآن لم أتقنهـــا كما يجب .. ثم بدأت أتعلم بعض الاصطلاحات للأمراض الشائعة . وكتبتها فى ورقة حملتها داخل جيبى .

وبدأت العمل .. وذهبت الى العيادة الخارجية مرتديا البالطو الابيض وتتدلى فوق صـــدرى السماعة ودخلت على بعض الاطباء وقلت : الدكتور عبد العاطى محمود زميل لكم فى أحد مستشفيات الصعيد .

فوجدت ترحيبا منقطع النظير .. أهلا بك يا دكتور وعرفونى بأنفسهم : أطباء امتياز ، ونواب .

وكنت قد تعلمت الفرق بين الطبيب الامتياز والنائب .. فطبيب الامتياز هو الطبيب حديث التخرج .. ثم بعد ذلك « النائب » الذى يختار من بين أطباء الامتياز المتفوقين .. ثم يستعد بعد ذلك لكى يتدرج فى سلك التدريس ليكون معيدا ثم مدرسا ثم أستاذا مساعدا .. الى بقية وظائف سلك التدريس العادية .

وتركت هذه المجموعة .. وتعرفت بمجموعة أخرى ، قسم الامراض العصبية والنفسية ثم مجموعة ثالثة .. ورابعة وهكذا .. وأردت بها ألا يكون شكلى غريبا على أى مجموعة بقدر ما أستطيع وذلك حتى يمكننى أن أواصل تجربتى بنجاح .. والكل يرحب بى ولا أحد يشك فى اطلاقا .

وطلبت من أحد الزملاء .. الذين تعرفت بهم أن أسهر معه فى نوبتجية الليلة فى قسم الاستقبال .. حتى أستطيع أن أسجل بعض حالات البحث الذى أقوم به ، والذى أخذت له أجازة خصيصا من عملى .. وحمدت الله أنه لم يسألنى عن البحث وعناصره أو أى شىء .. وكنت قد فكرت أنه اذا سأل عن البحث فسأقول له اننى سوف أحضر لك العناصر وأغير الموضوع الى موضوع آخر بسرعة .

وقال لى الدكتور مصطفى :

سأنتظر يا دكتور فى استقبال قصر العينى الجديد الساعة العاشرة والنصف مساء ، وأبلغت الزميل المصور محمد حسن والذى كنت أفكر فيه أكثر مما أفكر فى الموضوع كيف سيدخل وسيتاح له التصوير .

ووضعت يدى لاول مرة على قلبى من الخوف .

ودخلت الاستقبال .

ووجدت الطبيب فى انتظارى وهو يقول فى ابتسامة ضاحكة :

— ابن حلال .. انا كنت لسه بافكر فيك .. فيه حالة هنا حتعجبك واصطحبنى الى سيدة ضخمة تنام فوق عربة الاستقبال وعندها أورام كبيرة فى بطنها .

وأخذ الطبيب يتكلم كلمات بالانجليزية معى لا أفهمها .. وأسعفنى تفكيرى بأن أقول كلمة كان قد قالها لى الطبيب الذى أعطانى أسماء الامراض فى أول الامر وقال لى ساعتها أن كل حالة من المرض تحتاج الى أبحاث وبالانجليزية « انفستيجيشن » .

قلت للدكتور مصطفى بعد أن انتهى من كلامه باللغة الانجليزية والذى لم افهم معظمه :

أنا رأيي يا دكتور نعمـــل لها « انفستيجيشن » ، (مزيد من التحاليل) ٠

ووافقنى الطبيب ٠٠ وقال فعلا هـــذه الحالة تحتاج الى أبحاث وتحاليل ٠٠ وأخذ يتكلم معى مرة أخرى بالانجليزية فقاطعتـــه وقلت له اعمل لها ورقة « الانفستيجيشن » ٠٠ كل هذا والسيدة تنظر الى بتوسل ٠٠ ولا تفهم ماذا تريد ٠

وحمدت الله على أن مر المأزق فى أول مرة ٠٠ وقال لها الطبيب فوتى علينا بكره علشان تحلل ٠

وجلست فترة مع الطبيب أكلمه عن الصعيد وأن الواحد نسى فيه الطب وكم أنا مشغول هذه الايام وعندى مشـــاكل وأعصابى متوترة وقلت كل هذا ليكون مقدمات حتى اذا ما أخطأت يعذرنى ٠٠ وقطع على الزميل حبل تفكيرى وكلامى فى نفس الوقت وقال :

مش تعرفنا بالاخ اللى معاك ٠

وسكت فترة ٠٠ وفكرت فى الاجابة وقلت : أى أخ ؟
فشاور بأصبعه على المصور ٠

قلت : يا خبر هو أنا لسه معرفتكوش ببعض ٠٠ ده الاخ محمد ابن خالتى خريج كلية الآداب ٠٠ وغاوى تصوير ٠٠ قلت أجيبه معايا يسجل لى الحالات بالصور علشان البحث ٠٠ كمان علشان افتكر الحالات ٠

وسررت عندما وجدت الترحيب يزداد ٠ وذهب الطبيب ليحضر لنا البن والشـــاى والسكر الذى أحضره من منزله وذلك لعـــدم وجود بوفيه فى الاستقبال ٠٠ وحتى اذا وجد فى الصباح تكون الطلبات غير مضبوطة ٠

وأثناء انتظـــار حضور الطبيب تابعت الموظفين الموجودين فى الحجرة ٠ الممرضة مشغولة باعطـــاء حقن لبعض التمرجية عرفت فيما بعـــد أنها كانت حقن مخصصة للمرضى ٠٠ كذلك مشغولة « باللبانة » فى فترة من الفترات ٠ على باب الحجرة موظفون لكتابة التذاكر ٠٠ التذكرة عبارة عن ورقة صغيرة جدا ومقطعة ٠٠ ويدخل بعض التمرجية على فترات ليتنـــاولوا الحقن ٠٠ ولا أعرف كيف

جاءوا بكل هذه الحقن ٠٠ وبعضهم يترك المرضة ويطلب زميله لاعطاء حقنة له ٠

وفي هـــذه الاثناء حضر الى موظف الاســـتقبال وقال لى :
ــ يادكتور فيه حالة مستعجلة جدا ٠٠ عاوزين سيادتك تشوفها على بال ما ييجى الدكتور من فوق !!

وقلت له: معلش اطلب الطبيب من فـــوق أحســـن لان دى حالاته هو ٠

وبعد فترة قليلة حضرالطبيب ٠٠ وقال لى : ليـــه يا دكتور ما شفتش الحالة دى ٠٠ أنا بالعكس مش حازعل ده عرف متبع ٠

قلت له : معلش انا أفضل اشـــوف الحالات معـــاك وأنت موجود أحسن ٠

كان المريض يتلوى ويصرخ من الالم ٠٠ وطلب مني أن أضع السماعة وأكشف عليه معه ٠٠ ووضـــعت الســـماعة على أذنى وطلبت من المريض أن يخلع ملابسه ٠ وأخذت أضع السماعة فى أماكن متفرقة ٠٠ وانا افكر ماذا ساقول للطبيب ٠

واسعفنى هو بالاجابة قال لى : أشك يا دكتور أن تكون حالة (جاستريك كوليك) ٠

همهمت وقلت وأنا أهز رأسي ٠٠ جســـتريك ٠٠ جاســـتريك كوليك ٠٠ وتذكرت وقلت فعلا دى مغص معوى ٠٠ وقلت الكلمة بالعربى لكى أثبت للطبيب أنى أفهم فى الطب ٠

وبعد أن كشف قال لى دى فعلا زى ما قلنا (أنا وهو) وكتب دواء للمـــريض على الورقة الخضراء الصـــغيرة ٠٠ وطلب من الحكيمة أن تعطيه الحقن ٠٠ وقبل أن يكمل الورقة قالت الحكيمة :

من فضلك يا دكتور ما تكتبش حاجة غير نوفالجين ده بس اللى موجود عندنا ٠٠ وحتى بكميات بسيطة ٠

وهنا قلت : هو لسه برضه حكاية النوفالجين دى !!

قلت هذا لـــكى ابين أننى عاصرت أى شيء فى القصر العينى ٠ وفى نفس الوقت أعرف المزيد منه ٠

قال الطبيب زى ما انت شايف ٠٠ وسأل المرضة : ماتطلبيش من الرئيسة ليه ان الحقن تكون متوافرة بقى ده معقول يا عالم ؟ فين الشخص اللى جايب العيان ده ٠



وقفت اطلب من المرضى الوقوف صفا واحدا لاكشف عليهم !!

ودخل الشخص ، وكتب له الطبيب روشته ٠ وقال له اذهب الى أى صيدلية واحضر الحقن دى ٠٠ وتعالى علشان الممرضة تعطيها له واذا كان عندك حد بيعطى حقن خد الميان وخليه يعطيها له ٠

ونظر الشخص الى الطبيب باستغراب ٠٠ وفى نفس الوقت نظر المريض كأنه يستعطفه وذلك لكى ينتهى الالم الذى يعانى منه كأنه يقول ٠٠ خلصونى بقى ٠

وقطع صوت الطبيب تفكيرى وقال :

ـ بسرعة روح هات الحقن وتعالى ٠٠ ماتعطلش وقتك٠٠ علشان نشوف بقية المرضى ٠

قلت له : يا دكتور ازاى ما يكونش فيه الاستعدادات الكافية لو فرض أن فيه واحد ماممعهش فلوس يعمل ايه بنضحك على العالم

اجاب الدكتور : نعمل ايه ٠٠ ما انت عارف النتيجة ٠٠ انت عارف احنا مسميين الاستقبال هنا ايه ؟

قلت له : ايه ؟؟

اجاب : استهبال ٠٠ يعنى احنا بنضحك على العالم ٠٠ تصور مريض جاى بالليل الساعة واحدة أو اتنين أو تلاته صباحا وطبعا جاى بتاكسى من آخر الدنيا ٠٠ علشان الواحد منا يقول له ٠٠

انت عندك تسمم ما هو عارف ٠٠ وياريت فيه اسعاف من الحقن ٠٠ اللابرضه نقول له اشترى حقن من بره ٠٠

وقطع الحديث صوت أم تحمل طفـــلا صغيرا ٠٠ ونازلة من التاكسى وصراخها مسموع وهى تقول :

الحقنى يادكتور الواد ابنى بلع قرش أحمــر كبير ٠٠ ومش عارفه أطن واقف فى زوره ٠٠ أعمل أيه ٠٠

واخذت تبكى وزوجها يهدىء من روعها ٠ وهو يقول :

ـ ياولية استنى شويه خلى الدكتور يشوف شغله ٠

واستدعانى الطبيب ٠٠ لكى نراه ٠٠ وكشف على الطفل وأعطانى السماعة لان الطفل كان يصرخ من ألم فى بطنه وليس فى حلقه كما تقول ولدته ٠

وقال الطبيب : روحى ياستى لمستشفى أبـو الريش لان الولد صغير وهما حيقوموا بالواجب ٠

ولم تفارق الام الاستقبال الا بعد أن اقنعتها بأن الامكانيات فى مستشفى أبو الريش أحسن ٠٠ ولم تعد الام بعدها ٠

ودخلت حالة أخرى ســيدة تبلغ من العمر حوالى الخامســة والستين تتنفس بصعوبة ٠٠ وتكاد أن تقع ٠٠ فقال لى الطبيب قبل أن تدخل :

مسكينة هذه السيدة عندها (برونكيال ازما) أى ربو شعبى ٠ أحيانا تضطر أن تنام فى الاستقبال لكى تأخــذ الحقن المخصصة ضد المرض ٠

وطلب الدكتور من الممرضة أن تعطيها حقنة ٠ فتعللت الممرضة بعدم وجود الحقنة فقال لها : اطلبى علشان خاطرى استلفى حقنة من أى مكان حتى للصبح لان الست عيانة وتعبانة ودى لوحدهــا ٠٠ ويمكن تموت فى السكة ٠

وذهبت الممرضة وهى تتمتم بكلمات غير مفهومة كل الذى فهمته انها تلعن اليوم الذى رأت فيه وجه هذه السيدة ٠

●●●

وعرضت على الطبيب حالات أخرى مشابهة مثـل التى تعرضنا لها ٠ وهنا كنا قد وصلنا الى الساعة الرابعة والنصف صباحا ٠٠ فقلت للطبيب أستاذن أنا يمكن أسهر غدا ٠٠ وتركت الطبيب ينام على السرير فى حجرة الاستقبال لحين حضور حالات أخـــرى ٠٠ وقال الطبيب عند انصرافى بكره الاستقبال فى المساء حيكون فى قصر العينى القديم ٠ لان الثلاثة أيام الاولى من الاســبوع يكون

الاستقبال فى قصر العيني الجـــديد . والثلاثه أيام الاخرى تكون فى القديم .

وفى حوالى الساعة العاشرة والنصف ذهبت فى اليوم التالى الى قصر العينى القديم وهناك صدمت لان حجرة الاســتقبال هنـــاك عبارة عن حجرة صغيرة ومظلمة وقذرة وبها سريران مخصصـــان للكشف . ومكتب الطبيب . وعـــدد من المرضين والتمورجية بعضهم مشغول فى اعطاء الحقن لنفسه ولزملائه وأخـرج بعضهم الحقن من جيبه والبعض الآخر استلفها من زميله .. والآخر ذهب الى القلاية لكى يغلى الحقن .

وحضر الطبيب وعرفته بنفسى . وقال لى فعلا أنا سمعت عنك من الزملاء .

ودخل مريض محمول على نقالة وعلى رجله وعلى ملابســه آثار دماء شديدة وعيناه غائرتان .

ونظر اليه الطبيب وقال : دى حاله ليدلنج (أى نزيف) وادركت أن المريض عنـــده نزيف .. وفى نفس الـــوقت قال الطبيب للتومرجى : اعطنى ورقة دخول فورا .

وقبل أن يحضر التومرجى ورقة الدخول كان قد حضر طبيب آخر من الامتياز أيضا وعرفه بى الطبيب المذكور : الدكتور عبد العاطى محمود دكتور من الصعيد .

وعرفنى الطبيب الآخر بنفسه .. وقمنا نحن الثلاثة لكى نرى الحالة .. وسمعت منهم أنها حالة خطيرة جدا ..

وكتب الطبيب ورقة الدخول وطلب من التومرجى أن يصعد به الى فوق لدى طبيب الحوادث السهران .

وهنا سمعت ضجة على الباب .. شاب فى حوالى الســادسة عشرة من العمر معه أثنان من الرجال واحـــد منهما يرتدى الملابس البلدية وهو والده والآخر يرتدى الملابس الافرنجية وهو عمه .

وقال الاخير : الحقنا يا دكتور ده ابن أخويا فى سنة ثانية تجارة ثانوى رسب فيها مرتين .. أصيب بهذه الحالة .. والده أحضره لى وذهبنا به الى الطبيب المشهور فى الامراض النفسية والعصبية .. وبعد أن أخذ الدواء زاد فى الهياج . وكسر الشقة وبها أشياء أكثر من الف جنيه .. عـــلاوة على انه ضربنى أنا ووالده .. وصحى العمارة كلها فى العجوزة .

ودخل الشاب وبدأ الطبيب يناقشه فى أعراض مرضه فقـــال الشاب :

لا تناقشني يا دكتور .. أنا نبي مرسل على الارض لكي ارفع منها الفساد وسوء الاخلاق .. ونظر الينا جميعا في الحجرة .. وقال أنا عارفكم ياغجر .. ابن عم محمود باعتكم وورايا علشان تشوفوا أنا عامل ايه .. أنا حطهر الارض من الفساد اللى فيها . ونظر الى وقال اسمع يا دكتور انت مش انت ابن أبو غزالة . انت مش عارفني أنا حامد الفقى اللى ضربتك علقة .

واستطرد الشاب يتكلم بالفاظ عصبية بالعربية الفصحى أحيانا والعامية مرة أخرى وهو يقول :

اوعى حد يقربني انا لن اروح . ولن أستسلم لكم أبدا مهما فعلتم . ونظر الى الممرضة وقال ابعدوا هذه الحرمة عنى واياها ان تقربني .

تكلم معى الطبيب بالانجليزى وهمهمت كاني أتحسر على الواد وما جرى له .. وكتب الطبيب على بعض حقن يحضرها له والده من الخارج .. وذهب عمه لاحضار الحقن .. وتجمع كل من فى الحجرة لكي يتكاثروا على الشاب الذى هاج ويحاول ضرب كل من فى الحجرة .

●●●

ودخلت حالة أخرى : انها حالة نزيف وقال الدكتور وهو يتكلم مع زميله انها حالة (هيمايتمسز) .. وكنت قد نسيت الكلمة .. وكانت معى الورقة المكتوبة فاخرجتها دون أن يدرى احد وسارعت وقلت لهم :

ــ لاحظوا يا جماعة بان النزيف الدموى من الامعاء يحتاج الى علاج سريع .. ونظروا الى كمن يقولون .. احنا عارفين .. !

وسأل الطبيب من معه بعض الاسئلة عن آخر مرة نزف فيها ومواعيد النزف .. والاكل .. وكل شئ وطلب من التومرجى أن يصعد معه لطبيب الحوادث لكي يحجزه لعمل اسعاف سريع وصعد المريض ومن معه .

واخذت اتكلم مع الاطباء وكلما يجئ الحديث عن الطب والاطباء أحول الحديث الى موضوعات اخرى .

وهنا دخلت حالة مغص كلوى (رينال كوليك) وسأل الدكتور الممرضة : فيه حقن ؟

أجابت الممرضة لا يوجد الا النوفالجين وكان فيه ثلاثة أمبولات كالسيوم .

وتعجبت من الاجابة وتمتمت وأنا أقول ده فعلا استهبال فقال الدكتور وهو يضحك : هي وصلتك ·· الاستهبال تصور مافيش حاجة الا النوفالجين ·· ومين عارف الدوا ده بيروح فين ·· على كل ونظر الى المريضة وطلب من المرافق لها أن يذهب لشراء الحقن ·

ودخلت سيدة أخرى ممتلئة الجسم ووجهها به أورام وبطنها أيضا به أورام ·· وهي تقول : الحقوني يا دكاتره ونامت السيدة على العربة الموجودة في الحجرة وكشف عليها الطبيب ونادى علينا وقال لنا لاول مرة بالعربي دى حالة حساسية وحمدت الله أنه تكلم بالعربي ·· وقال لها الطبيب ·· أنت كلتي ايه النهارده ؟

فاجابت السيدة : أكلت فسيخ وبعدين نفسي هفتني على القشطة فاكلتها ·

وبعد مناقشة طويلة ظهر أن السيدة عندها حساسية من القشطة ·· وطلب الدكتور أن تعطى حقنة كالسيوم ·· وطلب مني أن أقوم باعطائها الحقنة في يدها فخشيت أن ينكشف أمرى ، قلت له : أنا ايدى تعبانه شويه اضرب أنت الحقنة في العرق وأنا حاكمل عليها أو بالمعنى شوف أنت العرق وأنا حاكمل لانني مرهق ·

وأعلن التومرجي عن دخول حالة مستعجلة وهي حالة تسمم عرفتها هي الاخرى من الورقة التي معي بعد ما سمعت الطبيب ينطق بانها حالة توكسيتي (تسمم عام) وأحضر الطبيب ورقة ·· وطلب أن يصعد التومرجي مع المريض المصاب بالتسمم الى فوق وهنا قال التومرجي : يا دكتور ده حالات النزيف اللي انت أرسلتها رجعت تاني فانزعج الطبيب وقال :

ـ ازاى ترجع تاني دى حالات نزيف خطيرة ؟

فقال التومرجي : أصل دكتور الحوادث قال بأن لا يوجد عنده زجاجات دم ولا نقل دم ·· كمان مافيش سراير وهو لا يستطيع أن يتحمل المسئولية ·· وطلب أن يعيد المريض ومن معه الى الاستقبال أو نصرفهم الى الصباح ·· وفعلا صرفناهم ، وهنا ضرب الطبيب كفا بكف وهو يقول :

يا عالم دى حالات خطيرة جدا ·· دول أكيد ماتوا في السكة ·· على كل ما تصرفش الحالة دى وطلعها فوق وأنا حاطلع أنا والدكاترة نقابل طبيب الاستقبال في الحوادث ··

ودخلت حالة أخرى لرجل يصرخ ويتلوى من الالم ومعه عدد من الرجال وقد غطوه ببطانية وهو يصرخ .. وبعـــد الكشف عليه قال الطبيب دى حالة (هيرينا كبيرة) .. وذهبت مع الاطباء دون أن أعلق ودون أن أخرج الورقة .. وكشفت معهم على المريض .. وعرفت ساعتها أن هيرينا هى حالة (الفتاق) .

وللمرة الثانية طلب الطبيب أن يدخل الرجل المريض المستشفى ولو بأى طريقة وأن تحضر سيارة الاسعاف لتحمله لانه لو ســـار بعد ذلك سينفجر (الفتاق) ويموت المريض . وانتظر التومرجى فترة الى أن تحضر سيارة الاسعاف .. وقال التومرجى للطبيب على ايه اسعاف أنا حاطلعه كده فوق حاخليه يستند على .

وهنا قال الطبيب تعالوا معانا نطلع فوق نشـــوف ايه حكاية العيانين اللى بيرجعوا تانى وهم فى حالة خطيرة .. وذهبنا وقابلنا طبيب الحوادث وسأله الطبيب .. لماذا عاد المرضى وهم فى حالة خطرة جدا .

فقال الطبيب : أولا أنا ما عنديش نقل دم ولا نقطة دم احتياطى لكى أسعف بها المرضى ؟ ولا يوجد سراير ولا امكانيـــات طلبت انصرافهم لاى مستشفى آخر يجوز يكون فيه امكانيات .

وهنا جاءت ســـيدة وهى تعوى الحقوا يا دكاتره البنت بتموت .. وذهبنا جميعا الى عنبر الحريم فوجدنا سيدة فى ربيع العمر تنازع . فى حالة ضيق تنفس ونادى طبيب الحوادث على التومرجية واسمها فاطمة فقال لها فين الحكيمة ؟

قالت له : نايمةيا سعادة البيه ؟

فثار الطبيب وقال ازاى تنام واحنا سهرانين .. العيانة بتموت اندهى لها بسرعة .. بسرعة علشان تفتح أنبوبة الاوكسجين .. وتشوف العيانة عاوزه ايه .

وفى نفس الوقت قامت مريضة أخرى تئن وهى نائمة على الارض وتطلب من الدكتور أن يكتب لها دواء يخفف حدة المرض .

فقال لها الطبيب : حاضر . والتفت الينـــا وقال هو فين الدوا اللى حاكتبو لها .. وهنـــا حضرت زينب وقال لهـــا الطبيب : افتحوا أنبوبة الاوكسجين وأرجوك بلاش نوم دلوقتى لحد مانشوف اليوم ده حيعدى ازاى ..

التفت الى الطبيب الآخر وهو يقول : الواحد كان طالع يشوف ايه .. رجع بهموم الدنيا .. وأثناء كلامى مع الطبيب تدخـــل

تومرجي عندما رأى الزميـــل محمد حسن يصـــور فقال له : انتم جايين تصوروا عم محروس المسجون ٠

فقلت للتومرجي : دى صور حاجة تانية ، احنا بنصور الحالات المرضية علشان البحث ٠

فقال المرض أنا آسف يا سعادة البيه باحسبه مصور البوليس ٠

وقبل أن أترك الاستقبال الى العنابر والاقسام الداخلية وجدت الحقيقة المرة تقول سطورها :

× يستطيع أى شخص ببالطو وسماعة أن يصـــبح طبيبا فى الاستقبال ويمارس العمل ويكشف على المرضى ٠

× بعض التومرجية والمرضات يستولون على الحقن المخصصة للمرضى ويأخذونها ويعطونها للأقارب والاصحاب ٠

× لا يوجد فى الاستقبال الا النوفالجين وغير معقول أن تعالج كل الامراض بالنوفالجين وأحيانا بالكالسيوم بينما الدواء متوافر فى بعض الاقسام وغير مستعمل ولا ينزل للمرضى الا بالواسطة والمحسوبية وغالبا بأساليب أخرى !

× كذلك كميات الدم المفروض توافرها فى الاقسام للاسعافات السريعة غير موجودة ويحدث أن تحضر حالات نزيف وتحتاج الى اسعاف سريع وتعاد مرة أخرى الى الشـــارع لعدم وجود نقل دم ٠٠ ويلقى بالحالات فى الشارع لتموت بعيـــدا عن قصر العينى وخوفا من المسئولية ٠

× الاستقبال يعانى من حالة قذارة دائمة فى كل شئ فسراير المرضى الموجودة فى الاســـتقبال غير نظيفة على الاطلاق والملايات والبطاطين ممزقة كذلك الحقن والغلايات غير نظيفة بعضها أكله الصدأ والبعض الآخر فى حالة لاتسمح له بالعمل ٠٠ كذلك لاتوجد مقاعد للانتظار والمرضى يجلسون على البلاط فى انتظـــار الكشف وذلك لعدم وجود مقاعد كافية كذلك فدورات المياه غير نظيفة على الاطلاق وتؤدى الى انتشار الامراض ٠٠ كما أن حجرة واحدة فيها كل العاملين فى الاستقبال ابتداء من التومرجى الى الطبيب المختص وهذا يؤدى الى تعطيـــل الطبيب عن عمله واحراج بعض المواطنين وذلك لانشغال التومرجية والمرضى فى الكلام ٠

× الذى يحدث أن يكون الطبيب السهران هو طبيب امتياز وهو غالبا ليس على مستوى كبار الاطباء المفروض فيهم أن يسهروا لكى يتابعوا الحالات مما يؤدى الى خطأ فى التشخيص أحيانا ٠

وسألت الاطباء : لماذا لا يوجد مسئول وخصوصا فى الليل ؟ .. لماذا كل هذا الاهمال .. ولماذا لا توجد اسعافات وخصوصا نقل الدم ؟ واين تذهب الحقن والاسعافات الاولية .. ولماذا الاستهانة بأرواح الناس ؟ .

وأجاب الاطباء :

ـ يا دكتور .. اذا أردت أن تعرف الحقيقة فاذهب الى الاقسام بالادوار العليا .. ان ما تراه فى الاستقبال لا يقارن بما يحدث فى عنابر المرضى .

● ● ●

انتقلت من قسم الاستقبال .. ودخلت الى قسم (أمراض باطنة) .. ومن هذا القسم الكبير كانت بداية الجولة .. وقسم أمراض باطنة تتفرع منه أقسام عديدة مثل الامراض المتوطنة . القلب . الصدر . الاعصاب . وقسم باطنة عام . ويحتل أيضا عنابر كثيرة داخل قصر العينى .

ودخلت أحد هذه العنابر . على أحد الاسرة كان يرقد شخص كأنه قام لتوه من القبر . بطنه منتفخ وجسمه صغير ضئيل ويبدو عليه الهزال الشديد . مرضه استسقاء وشاهدت الطبيب يصرخ بأعلى صوته أمام سرير المريض : فين الممرضة المسئولة عن العنبر ؟

الممرضة لا تجيب . ويصرخ الدكتور مرة أخرى . ويحضر أحد التومرجية وهو يلهث . ويرد قائلا : نعم يا سعادة الدكتور .. الممرضة ذهبت الى الخزينة لكى تأخذ مرتبها .. أى خدمة ؟

ويصيح الطبيب وهو يتفحص المريض : فين الحزام .. المريض سيحدث له نزيف يا عالم وبينما يتفحص الطبيب المريض ، يعثر على « حلة » صغيرة مخبأة وسط ملاية السرير .. ويعلو صوت الطبيب مرة ثالثة : حلة لحم بالصلصلة .. يا خبر أسود .. أنت عاوز تموت ؟

واكتفى المريض بالاشارة . فهو لا يستطيع النطق . وأجاب زميله على السرير المجاور زوجته يا بيه أحضرت له الاكل فى الزيارة . لان أكل المستشفى مش عاجبه .

ويلتفت الطبيب الى التومرجى ويقول له : المريض ده ياكل أكل مخصوص وبدون ملح .

ووصلنا الى عنبر آخر ·· الطبيب وأنا · والتقينا هناك بطبيب ثان · وقمنا نحن الثلاثة بجولة ·

العنبر كبير · ولكن القذارة في كل جانب منه · ربما لانه كانت هناك زيارة ؟

وأمام أحد الاسرة وقف الطبيب · المريض هنا عنــده هبوط فى القلب ، ناتج عن تعب فى الصمامات بسبب حمى روماتيزمية فى الصغر نتيجة التهاب فى اللوز أهمل علاجه ·· ونظر الطبيب الى أوراق المريض وقال : هنا أيضا اهمال واضح ·

وتظاهرت بأننى أعرف ولا أسمع ·

واستمر الطبيب فى كلامه : هــذا المريض يجب ألا يقوم بأى مجهــود · لابد أن يكون سريره مرفوعا · والاكل بدون ملح · والعلاج بانتظام ·

ولكن الذى أراه شيء مختلف تماما · السرير ليس فى وضعه الطبيعى ، كل شيء مختلف ·

ويسأل الطبيب : متى كانت آخر مرة أخذوا فيها النبض والضغط؟

ويرد المريض بصوت خافت : النهارده الصبح ياسعادة البيه ·

ويصيح الطبيب : المفروض انهم يقيسوا النبض والضغط أكثر من مرة فى اليوم ·

ويسأل ثانيا : أكلت ايه النهارده يا حاج ؟

ويرد المريض باعياء شديد : أنا تعبان جدا يا دكتور من الاكل ·· أكلت « صابعين كفته » من الزيارة بتاعة امبارح ·

ويصرخ الطبيب : كفتة ايه يا راجل ؟ فين الممرضة أو الحكيمة؟

وبالصدفة كانت الممرضة تمر وسمعت الصوت فحضرت · وقال لها الطبيب عن المخالفات التى تحدث مع هذا المريض ، وعن الاكل الذى يتناوله ·

وترد الممرضة : وأنا ها عمل ايه يا دكتور ·· أنا لوحدى هنا · ومطلوب منى كام عيان ·· أنا أعمل ايه واللا ايه ·· ده أنا زى اللى دايره فى ساقيه ·· والله العظيم أنا سأترك هذا العمل «المهبب» ·

و ·· هكذا يسير التمريض فى قصر العينى ·

● ● ●

وفى الطريق الى قسم آخر ـ الطبيب وأنا ـ التقينا بأحد أطباء الامتياز

وسأله الطبيب : هل عرفت مرتبك يا دكتور أحمد ؟
ويرد طبيب الامتياز : ١٥ جنيها ٠٠ كل مرتبي في الشهر !
ويقول الطبيب : ١٥ جنيها في الشهر٠٠الطبيب يعمل ١٨ ساعة في اليوم بـ ٥٠ قرشا ٠٠ ده ولا حتى عمال التراحيل ٠٠ هذه هي مرتبات الاطباء ٠

٠٠ وكأنني لم اسمع شيئا ٠

ودخلنا قسما آخر من أقسام الباطنة ٠٠ شاهدت شابة صغيرة (حوالى ١٧ سنة) ضعيفة لدرجة لا تستطيع معها القيام من على السرير ٠ وعرفت أنها مريضة بحالة لوكيميا حادة أو سرطان في الدم ٠ انها تحتاج الى نقل دم باستمرار ٠٠ ولكن الاهمال واضح ٠

وأسمع من الطبيب أنه يوجد نقص في كميات الدم ٠٠ كما أنه لابد أن تجلس حكيمة متخصصة للاشراف على عملية نقل الدم بنفسها ، منعا من حدوث مضاعفات يمكن أن تسبب رعشة وآلاما في جسم المريضة الهزيل ٠

ويبحث الطبيب عن الممرضة فلا يجدها ٠ وتحضر ممرضة من العنبر الآخر المجاور ٠٠ زميلتي ذهبت للعنبر التاني ٠٠ أي خدمة يا دكتور ؟

وينظر اليها الطبيب ثم يقول : المريضه تحتاج الى نقل دم ٠

وترد الممرضة : مافيش دم موجود هنا ٠٠ وسامية ـ الممرضة الاخرى ـ ذهبت لاحضار كمية دم ٠

فعلا ٠٠ مافيش دم !

● ● ●

آخر حالة شاهدتها في قسم الامراض الباطنـــة كانت لطفـل صغير (١٢ سنة) ٠ وجهه أزرق ٠ نفسه مقطوع ٠ خيل الى أنه في النزع الاخير ٠

والطفل ـ كما علمت ـ عنده عيب أو تشويه خلقي في القلب ٠ علاجه في الخارج سهل ميســـور ، حيث تجرى للمريض عملية تصحيح للتشويه الموجود في القلب ٠

ولكن في قصر العيني العملية غير ميسورة ٠ والعلاج هو منع المضاعفات التي يمكن أن تحدث للمريض ٠

ويقترب والد المريض منا ويقول : يا دكاترة ابني تعبان ٠ كل يوم أشوف الطلبة بيقلبوا فيه ٠٠ اذا ما كانش فيه أمل أخده معى للبيت وأمرى الى الله بدلا من هذه البهدلة ٠



اثناء تجولي في العنبر للتفتيش على النظافه والاستماع لشكاوى المرضى ومباشرة عملي كطبيب نوبتجي ..!!

وفهمت من مناقشة بين طبيبين أن الاجهزة التى تعـــالج القلب موجودة عنـــدنا ولكنها عطلانة · بعضـــها يحتاج الى قطع غيار بسيطة · ولكن لا أحد يســـأل بالرغم من أن ثمن الاجهزة غال جدا · وهى نادرة · بينما ثمن قطع الغيار تافه جدا ·

ولكن لا أحد ـ كما رأيت ـ يسأل ·· وتبقى الاجهزة جثة هامدة ·

واكتفيت بهذه الحالات فى أقسام الامراض الباطنة وانصرفت ·

●●●

فى اليوم التالى حضرت مبكرا ، وذهبت ـ وأنا أرتدى البالطو الابيض وأضع السماعة حول عنقى ـ الى قسم آخر من أقســـام العلاج فى قصر العينى ·· قسم الجراحة ·

وأخذنى الطبيب لكى يرينى أول حالة ·· وعرفت أنها حالة استئصال جزء من المعدة ·

وقال الطبيب : هذه الحالة سببها البلهارسيا ·· وذلك لتضخم بعض الاوردة فى جدار المعدة نتيجة لتليف الـكبد الذى نتج عن الاصابة بالبلهارسيا وهـــذا يسبب نزيفا فى المعدة ·· وفى هذه الحالة قد يكون من الضرورى استئصال جزء من المعدة الموجودة فى الاوردة المتضخمة ·

ويمكن أيضا استئصال جزء من المعدة نتيجة قرحة فى المعـــدة وذلك بعد فشل العلاج الطبى بالادوية لفترة طويلة وهذا ينتج عن عدم تنظيم وجبات الاكل ·· كذلك الاكل الحريف مثـــل الفلفل والشطة وشرب الكحول والتدخين ·

ونظرت على اللوحة الموجودة فوجدت العلاج : حقن مضـــادات حيوية ، وفيتامينات ، وحقن جلوكوز فى الوريد وحقن مسكنة بالليل ·

ودار حوار بين الطبيب والمريض ·

قال الطبيب : سلامتك فيه حاجة بتشكى منها ·· ؟

قال المريض : يا دكتور فى الصبح أبقى كويس ·· وفى الليل لا أنام · ولا أحـــد بيسأل عنى ·· وأنا باتعب كتير ·· والست الحكيمة بتكون نايمة وحتى اذا صحيت بتشتمنى وتطلع عينى حتى أكون عبرة لغيرى فلا يفكر أحـــد فى أن يقلق نومهـــا ·· واذا شكوناها تؤدبنا وتعاقبنا ·· !!

وقال الطبيب : معلش قدم الشكوى المرة دى ولا تخف بـأحققها بنفسى ·

وذهبت مع الطبيب لحالة أخـــرى ٠٠ فعنبر الجراحة مملوء بالحالات الغريبة والعجيبة من كل أنحاء الجمهورية ٠

قال لى الطبيب أمام احدى الحالات دى حالة بتر فى القدم ٠٠ لان المريض كان عنده سكر ولم يواظب على أخذ العلاج المخصص للسكر كما يجب فأصيبت رجله (بغرغرينا) ٠

ونظر الطبيب الى المريض وقال له غيرت امتى يا راجل ؟

ويرد المريض : صباح أول أمس يا دكتور ٠٠ !!

ودهش الطبيب ٠

وجاءت الممرضـة عنـدما علمت بوجود الطبيب ومعها الغيار وقالت : أنا حاغير له حالا ٠٠ !!

ونظر الطبيب الى اللوحة الموجودة وقال : المفـروض أن يأخذ علاج السكر مثل الانسولين وفيتامينات ويأخذ كبسولات تيراميسين مع الغيار اليومى من القطن والشاش النظيف طبعا ٠٠ !

فقـالت الممرضة : كل حاجة بنعملهـا يا دكتـور على حسب الامكانيات الموجودة ٠٠ فيه دواء كتير ناقص ٠٠ نعمل ايه ياريت يعطونا مرتبات كبيرة واحنا نشترى دواء على حسابنا ٠ !

●●●

وذهبت مع الطبيب الى قسم جراحة الحـريق أحد الاقســـام التابعة لقسم الجراحة الذى يضم أيضا أقســـام جراحة الصدر والمخ والعظام والجراحة العامة وقسم الحريق ٠

وهناك رأيت مناظر تثير الشفقة وقصصا كثيرة تنهـال عليك فى هذا القسم ٠٠ هذا شخص حرق نفســـه من أجل الحب ٠٠ وثان حرق نفسه لان زوجتـه أهانته ٠٠ وثالث حـرق نفسه لان والده قال له يا راسب ٠٠ ورابع حرق نفسه لان والده حال بينه وبين ابنة عمه ٠٠ وأنات أخرى تنبعث يصحبها صراخ وألم وبكاء ٠٠

واقترب منا قريب لاحد المرضى ، يبدو أنه طالب جامعى وقال : يا دكتور المريض رائحته لا تطاق من عـدم الغيـار وهو يتبول ويتبرز على نفسه ٠٠ !

وردت الممرضة : أنا حاعمل ايه ده عاوز غيـــار مستمر ٠٠ الاحق عليه منين ٠٠ !

احنا يا دكتور دائما فى وش المدفع ٠٠ أى خطأ سببه الممرضة ٠٠ لماذا لا نقول ان السبب هو عدم توافر الامكانيات ٠٠ سواء من الغيار أو الفرش الذى يحتاج الى غسيل مستمر أو الغذاء الذى

يصل ناقصا او . النظافة التى تحتـــاج الى أيد عاملة كثيرة لكى تتولاها فى قصر العينى ..

وهنا عرفت لماذا يشكو الناس من القذارة فى قصر العينى !!

وصحبنى الطبيب وهو يقول : كـلامها معقـول حتعمل ايه .. المفروض أن يكون لديها الامكانيات لان مريض الحريق بيـــأخذ سوائل كثيرة لان الحريق يفقده كميات كبيرة من السوائل الموجودة فى جســـمه .. والغيار مهم جدا فى علاج الحريق بالذات فجسم المريض لابد ان يكون نظيفا .. وينام المريض فيما يشـــبه الخيمة بحيث أن الغطاء لا يلامس جســـمه .. وفى نفس الوقت يجلب له الدفء هذا علاوة على علاجه بميكروكروم وشاش وفازلين يدهن به الجسم وتيراميسين مع فيتامينات .

●●●

وتركنا قسم الحريق .. وانتقلنـــا الى عنبـــر اخر للجراحة .. الحالات الغالبة فيه هى البواسير والفتاق .. واستوقفنـــا أحـــد المرضى وهو يقول : بقى يرضيكم يادكاتره الاكل يكون بالشكل ده!

وبعد أن عرض علينا الرجل طبق الخضار لم أتبين ملامحه على الاطلاق ولم نستطع أن نقول اذا كان الاكل كوسة أو فاصوليا أو ملوخية كذلك لايمكن تمييز حبات الارز فهو عبارة عن قطعة واحدة وقال المريض : ده أكل بالله العظيم .. ده قصر العينى أصـــبح « ملطشة المريض الفقير » .. ربنا لا يرضى بكده أبدا .. يا رب انتقم من اللى بيعملوا كده .. !

وجاء مريض آخر وقال : الواحد مش عاوز يتكلم تصـــور أن المريض هو اللى بيقوم يخدم نفسه .. لان التومرجية يا دكتـــور لاتسأل عنا .. واذا كلمنا التومرجى أو التومرجية تســبنا بأفظع الالفاظ .. كمان يا دكتور الزيارة بتاعتنا بيـــاخدها التومرجى لنفسه ويقول لنا الزيارة ممنوعة وعلشـــان كده كل ما قرايبنا يحضروا لنا الاكل يحضروا للتومرجى مثله حتى لا يأخذه منا .

وقال ثالث : يادكتور الفقير هنا مالوش مكان .. يعنى يدوسوه بالاحذية .. كل شيء بالنسبة للتومرجية بيجرى بالقرش واذا لم يأخذ التومرجى بقشيش مايعملش حاجـــة ويكون وقعة المريض سوده !

وشكاوى كثيرة سمعتها عن الاكل والهواء والمعاملة وعدم الغيار .. وعرفت ان الناس على حق عندما يشكون من قصر العينى ..!

خرجت من قسم الجراحة وذهبت الى قسم الانف والاذن والحنجرة ..

كان القسم يعاني من ضغط مخيف !

تساءلت : لماذا .. ؟

أجابوا : بسبب عمليات اللوز .. الحجز لها يستغرق أكثر من سنة لعدم وجود سراير .

وتجولت فى القسم ووجدته لا يختلف عن الاقسام السابقة .. نفس المشاكل !

●●●

وفى اليوم التالى ذهبت ـ وأنا أرتدى البالطو الابيض واضع السماعة حول عنقي ـ مع احد الاطباء الى قسم أمراض النساء وشاهدت حجرة مفتوحة يمر من أمامها الجمهور وبها زحام شديد فحوالى أكثر من ٥٠ طالبا موجودين فيها .. وصوت سيدة تصرخ بشدة .

ان طلبة كلية الطب يشاهدون اجهزى حالات الولادة .. بينما باب الغرفة مفتوح وخطوات الناس لاتنقطع .. حول الباب !

وشاهدت الطلبة يقفزون بدون قناع أو « ماسك » على وجوههم رغم ما فى ذلك من خطر على السيدة .. ورغم مخالفة ذلك لابسط قواعد الطب !

اكثر من هذا .. الجوانتي المخصص للكشف غير معقم لان الجوانتي يغسل ثم تقلبه التومرجية بفمها من غير تعقيم .. وهذا قد يؤدى الى حمى نفاس .. ويؤدى أيضا عند اصابة المريضة بهذه العدوى الى أن تمكث مدة طويلة فى القسم الداخلى مما يؤدى الى صرف حقن ومضادات حيوية وشغل السرير عدة أسابيع .. وقد تنقل العدوى الى المريضات الاخريات ..

وفى العيادة الخارجية فى قسم أمراض النساء يرتدى الطبيب جوانتي واحدا ويفحص به جميع المريضات مما يؤدى الى تسلل العدوى من مريضة الى أخرى ..

وهذا فى أى دولة يعتبرونه جريمة فى حق المرضى .. !!

وفى كلية الطب .. يعلمون الطلبة ـ نظريا ـ ان كل شىء لابد ان يكون معقما .

ولكن فى قصر العيني تختفى هذه النظرية .. ولا يصبح هناك فرق كبير بين السيدة التى تلد فى عنابر القصر الكبير والسيدة التى تلد فى الشارع .

وزاد الطين بلة عندما طلب مني رئيس القسم أن أســاعده في عملية ولادة وان ارتدى الجوانتي وأقوم بعمل العملية ·· تذكرت فورا ماذا يمكن ان يحدث لو اكتشفوا بعد ذلك انني لست طبيبا · وافقت على صوت رئيس القسم وهو يقول لي يالله يا دكتور خليك معايا ·· يظهر ان الحالة مستعصية ومش عاوزين نلجأ لفتح البطن الا في الآخر ·

يا خبر اسود الحكاية فيها فتح بطن كمان ، هكذا قلت ·

ولبست الجوانتي وطلبت منه ان يضع يده ·· وبعد أن أخرجها قال لسه تونفنجر (أى صابعين) وبعد مرة قال ، ضع يدك فوضعت يدي فقلت له (ترى فنجر) أى ثلاثة أصابع وقال ، الطبيب يظهر العملية حتقف على الثلاث صوابع فقط واللا ايه ·

وسكت لحظة وقلت والله في الخارج سمعت بأن المريضــة بتلد عندما يمكن وضع ثلاث أصابع فقط ·· فــــرد الطبيب رئيس القسم على وهو يقول أبدا يادكتور دى حكمة ربنـــا عندما تضــع أصابعك الخمسة كلها أو بالمعنى الصحيح قبضة يدك ، على طول يبقى العيل على وشك النزول ·

وعرفت بداهة أنه لابد ان تتسع الفتحة لخمسة صوابع حتى ينزل راس ، العيل ، ·· يا لحكمة الله ·

وافقت بعد لحظة على صوت الطبيب وهو يقول (لابد أن نقوى لها الطلق ونادى على الممرضة لتراقب الاكسجين واخذ هو يلاحظ الحالة ويطلب مني ملاحظاتها ·

وعندما نزل راس المولود ·· طلبت منه ان يقوم هو بعمليـــة تخليص ، الجنين ، حتى يـــكون اسرع وقلت له يا دكتور مافيش اسرع منك طبيب امراض نسا في العالم انما انا لسه مع انني طبيب انما انا كتلميذ أمامك وانت استاذنا ·

فشكرني الطبيب رئيس القسم وبدأ هو يقوم بالعملية وحمدنا الله على أن انتهت حالة الولادة وخرجت من الامتحـــــان وكنت على أعصابي ·· وكان هذا موقفا لا أنساه فقد كانت الامكانيات غـــير موجودة والآلات قديمة حتى الشاش والادوات الطبية الاخرى ناقصة ولولا مهارة الطبيب لماتت المريضة وخصوصا اذا كنت ســـأجرى لها أنا العملية ·

وفي احد عنابر أمراض النساء ـ أثناء الزيارة ـ رأيت شيئا



هذه السيدة «المسنة» كانت تصرخ من الالم واستدعوني للكشف عليها ، وحاولت بكل جهدى ان اساعدها ولو حتى بالـكلام حتى يخف المرض !

مثيرا ٠٠ غرفة زجاجية وســـط العنبر مغطاة بأوراق الصحف والجرائد ٠٠

ولم أتمالك نفسي وسألت : ما هذه الخيمة الصحفية ؟

ضحك الطبيب وقال :

ــ المفروض أن هذه الحجرة كانت موجودة في وسط العنبرين لتشاهد منها الحكيمة أو الممرضة العنبرين معــا ٠ وكانت هــذه الحجرة تسمى حجرة المشاهدة وذلك لكي تشــاهد منها الحكيمة الحركة في العنبرين ٠٠ وتحــولت هــذه الحجرة بقدرة قادر الى حجـــرة مخصصة لاحدى المريضـــات الموصى عليها من قبل احد الدكاترة وغطوها بالصحف وسموها حجرة المحاسيب ٠٠ اى ان المريضة الموجودة في هذه الحجرة مريضة مـوصى عليها وتنـــال رعاية خاصة ٠٠ !!

●●●

وتركت قسم أمراض النساء وأثناء نزولى بالمصعد الموجود فيه سمعت صوتا غريبا وسألت احد التومرجية عن مصدر الصوت ٠

فقال : ان المجارى طفحت على قسم أمراض النساء ٠٠ والقذارة تزكم الانوف هذا علاوة على الروائح الكريهة الاخرى التي تجذب الناموس الموجود بكثرة في قصر العيني ٠٠وقد أدي هذا الى أصابة مريضة بمرض التيتنوس منذ فترة قصيرة ٠٠ ولذلك كانت توجد خطورة على العمليات والحالات التى تجرى فى حجرة العمليات ٠

وأثناء انصرافنا من قسم أمراض النساء سمعت أنه يوجد عدد كبير من المريضات يدخلن لعمل اشعة فى قسم امراض النســـاء وتبقى المريضة فترة طويلة تشغل فيها سريرا وتتناول علاجا وغذاء ودواء الى أن تتم الاشعة ٠٠ ولاتتم الاشعة عادة الا بعد أسـبوعين ويجوز ثلاثة ٠ فتكون النتيجة أن المريضة التى تدخل لعمل اشعة تكلف الكثير في هذه المدة بدون داع ٠٠ والسبب ان قسم أمـراض النساء يظل في انتظار وجود أفلام الاشـعة فترة طويلة وهذا يؤدي الى شغل السراير ٠٠ بينما تطرد حالات أخرى فى الشارع لعدم وجود سرير واحد خال ٠٠ !

وبعد انصرافي من قسم أمراض النساء ذهبت لاحد المسئولين عن الاقسام الادارية في المســتشفى الـكبير وجلست أدردش معه ٠٠ قلت : ــ كما لو كان الامر لايهم ــ لدينا خبرة صحية جيدة يقابلها نقص في الناحية الادارية ٠٠ !

قال لي : يا دكتور فيه قصة معروفة في قصر العيني .. منذ حوالي شهر ونصف وجد مراقب عام الشئون المالية والاداريه هنا ثغرات وخلافه .. فماذا كانت النتيجه ؟

قلت : لابد انه أخذ مكافأة .

قال الرجل : بالعكس لم يستطع الاصلاح وبدلا من أن يرقوه نقلوه من وظيفته الى وظيفة أصغر .. واشتكى الرجل (لطوب الارض) ولم يسمع الا كلمة واحدة من زملائه ورؤسائه : انت مالك انت يعني حتصلح الكون لماذا لاتتساهل يا أخي ..

كله بيخاف يا دكتور قصر العيني عايز هزة كبيرة في الناحية الادارية والامكانيات .

●●●

وتركت الرجل وفي ذهني حقيقة تقول :

ـ قصر العيني ينقصه ادارة متخصصة ، فادارة المستشفيات لم تعد (فهلوه) انما أصبح معروفا في العالم كله أن ادارة المستشفيات أصبحت علما كبيرا يدرس .. وهذا العلم له دبلوم وماجستير ودكتوراه .. كما أن ادارة المستشفيات تحتاج الى تفرغ كامل أما في قصر العيني فسواء مدير مستشفى قصر العيني الجديد أو مدير مستشفى قصر العيني القديم أو مدير مستشفى أمراض النساء أو مستشفى الاطفال كلهم غير متفرغين لادارة المستشفى .. بينما الادارة تحتاج الى تفرغ كامل .

وأي مدير في قصر العيني يعمل في الصباح كأستاذ أو عميد في كلية الطب .. ثم يرى المرضى وفي خلال فترات النهار يتردد على عيادته الخاصة ويدير أعمال المستشفى في وقت فراغه .. لانه في الصباح مشغول بالكلية .. وفي المساء مشغول بالعيادة .. وهذا أدى الى خلق نوع من الفوضى في مستشفيات قصر العيني لعدم وجود المدير المسئول بصفة منتظمة .. والمدير المتفرغ .

× الغذاء يصرف بكميات قليلة . وطريقة الطبخ طريقة غير انسانية وهذا يجعل المريض يتناول غذاءه من الخارج . والسبب الاهمال في مواصفات الغذاء وفي الاشراف عليه .

× قصر العيني يعاني من نقص كبير في هيئة التمريض في المستشفى بصورة واضحة ولولا طالبات مدرسة التمريض لسارت الخدمة من سيىء الى أسوأ .

× حجرات العمليـــات أيضـــا بهـــا نقص واضح في بعض الامكانيات وبعض الآلات فيها لا يصلح على الاطـــلاق واشـــتكى المسئولون أكثر من مرة حتى يستكمل هذا النقص ٠٠ ولامن مجيب ٠

× نقص الادوية ٠٠ وفي مرات كثيرة يحتاج المريض الى الدواء وليس لديه امكانية شرائه من الخارج فاما أن يتسول المريض ثمن الدواء أو يدفعه الطبيب من جيبه الخاص ٠٠ !!

× الحشيش الاخضر الموجود بين الاقسام تحول بقدر قادر الى أماكن تلقى فيها الزبالة والمهملات والفضلات الى درجة أن الحشيش لايظهر في بعض الاماكن ٠٠ كما أن القـــذارة موجودة في بعض الاماكن وهذا يؤدى الى انتشار الناموس والامراض المعدية ٠

× الآلات الطبية التي اشترتها الدولة بآلاف الجنيهـــات من العملة الصعبة لاتعمل والسبب عدم وجود قطع غيار تقدر بجنيهات قليلة ٠٠ هذا أدى الى أن بعض هذه الالات قد أكله الصدأ وأصبح غير صالح للاستعمال ٠

× مرتب طبيب الامتياز لا يكفيه وهذا يجعله في حالة سـيئة بصفة مستمرة كذلك أجور التومرجية والممرضـــات والحكيمـات لا تتناسب مع جهدهم ٠٠ ولهذا يلجأ الكثيرون الى تكملة مرتباتهم بالبقشيش ٠٠ كما يقولون !

× جميع الاجـــراس في المستشفى معطلة ٠٠ كذلك اختفت مقابض الابواب والشبابيك ٠٠ ممـــا يجعل الابواب عرضة للفتح بسبب وبلا سبب حتى الهواء يفتحها ٠

× ينقص قصر العيني الامكانيات ٠٠ خصوصا في الاشـــياء الهامة والضرورية كالدم والجوانتيات والمفارش والادوية ٠

ومشـكلة قصر العيني في كلمتين ٠٠ الامكانيات أولا والادارة ثانيـا ٠

وبعد ان نشرت تحقيقى هذا بحوالى ثـــلاثة اعوام ، ومنذ فترة قصيرة ، دخل اثنان من المحتالين الى قصر العيني وفعـــلا به مثلمـــا فعلت ٠٠ وعندما قال لى بعض القراء والاصدقاء كيف يحدث هذا ولماذا الم يتعلموا ؟ ٠٠ قلت لهم المثل يقول: « تعلم في المتبلم يصبح ناسي » وقصر العيني من هذا النوع !!



موظف وهمي..

في البوستة!

لقد نشرت هذه المغامرة الصحفية في «أخبار اليوم»

بعنوان . مجهول يدخل هيئة البريد ويحصل على مجموعة من الخطابات الهامة المسجلة ... وتحديت يومها هيئة البريد ان تكذب سطرا واحدا فيه بعد ان حصلت على مجموعه الخطابات وعملت في هيئة البريد موظفا دون ان اكون موظفا .. واثبت لهيئة البريد انه من الممكن جدا ان يدخل شخص بجاكتة سمراء هيئة البريد ويحصل على ما يريد على اعتبار انه موظف وحدثت ضجة كبيرة !!

فكرت بعد أن سمعت عن الثغرات والعيوب التى تعانى منها هيئة البريد أن أكشف النقاب عن هذه العيوب والثغرات وأراها على الواقع وفى نفس الوقت أقترح العلاج ..

حصلت بطريقة ما على جاكتة سوداء وهى الزى الرسمى لموظفى البريد ومن باب الموظفين بجوار المطافىء دخلت واستوقفنى عامل البوابة وقال : من أنت ؟

قلت : عامل جديد .

ـ من أى مدة ؟

قلت : منذ أسبوعين .

قال : فى أى قسم ؟

قلت : فى قسم فرز الخطابات .

كنت أكلمه ويدى على قلبى خوفا أن يطلب منى أى اثبات ولكن الله سلم ودخلت وكانت المشكلة التى أفكر فيها كيف أتعامل مع الموظفين فى الداخل .. وسألت عن رئيس القسم وبهدوء قدمت له نفسى أنا محمود عبد الموجود الموظف الجديد ونظر الى رئيس القسم نظرة من فوق لتحت وقال هيه أنت بقى اللى وصى عليك الاستاذ حاد ؟ .. ولم أدر ماذا فعلت سوى أننى أومأت برأسى مرتين وسرحت ولم أفق الا بعد أن سمعته يقول بصوت مرتفع .. انت يا أخينا .. باقول معاك شهادة ايه ؟ ..

قلت : الاعدادية وساقط ثانوية عامة ومقدم فيها السنة دى ..

ووجدته مال على زميل له وقال شوف يا أخي الواسطة تفل الحديد .. أهو ساقط ثانوية عامة واتعين على طول .. انما الغلابة اللى زى حالتنا واقفين فى الطابور ويقولوا لهم انتظروا الاعلان وكله ماشي بالكوسة .

وأدركت على الفور أنني قدمت نفسي على أنني موظف وأن الظروف ساعدتني وحدث لبس بين اسمي واسم موظف جديد . وفكرت ولكن ماذا يحدث لو وصل الموظف الجديد فجأة .. ماذا يكون مصيري .. ولم افكر ماذا يحدث لى الا أن رئيس القسم اخذ يعطيني النصائح ويطلب مني ان أبتعد عن أصدقاء السوء مثلا فلان .. وفلان .. وقال لى عن رئيس الوردية زميله أنه رجل جاهل ولا يفهم شيء علشان كده البوستة بتتاخر وكل يوم بتحدث له مصيبة .

ولكي أكسب رئيس القسم قلت له : أنا تحت أمرك .. أنا سأكون مثل الخاتم في أصبعك .. واللى تقول عليه يمشي .. الخ .

فقال رئيس القسم : أنت واد تمام ريفي .. أهو كده الموظفين .. ووقف بجانبي وطلب ان أقوم بعملي واخذ يمرنني .. وفي أثناء الشرح الذى يقوم به سكت لحظة وقال : اسمع أنت وقعت فى الدفتر والا لا ؟ ..

قلت دفتر ايه ؟ ..

قال : ياه انت باين عليك خام .. ولما ظهرت على وجهي علامة التأثر قال : قصدي انت لسة مش واخد على الشغل لابد عند الحضور أن توقع في الدفتر وفي بعض الاحيان بيكون فيه فى بعض المناطق شريط الساعة .. واخذ يشرح لى أسلوب العمل وكيف أبلغ عرضي وكيف أبلغ مرضي وكيف أعاكس رئيسي وكيف يعاكسني رئيسي ويقطع انفاسي واخذ يركز على هذه الفقرة الاخيرة بالذات حتى أخاف منه ..

وبدأت أعرف سير العمل وخباياه ..

فعشرات الالوف من الخطابات التي توضع في صناديق البريد المنتشرة في أنحاء الجمهورية ويلقى المواطنون في داخلها بخطاباتهم وتنتهي مهمة الفرد عند هذا الصندوق لتبدأ مهمة الهيئة اذ يتوجه الوف من موظفيها الى هذه الصناديق ليفرغوا الخطابات المكدسة بداخلها في مواعيد منظمة ، ويسلموا الخطابات بعد ذلك الى قسم السفريات الذى يقوم بفصل الخطابات عن بعضها فيجمع جزءا ويضعه فى أكياس ويطلق عليه اسم « المرور » وهى الخطابات

التى ترسل الى الاقاليم أما خطابات القاهرة فتجمع وحدها فى أكياس ويطلق عليها اسم « مصر بلد » ثم تذهب بعد ذلك الى مركز التجميع والتوزيع الذى يقوم بفرزها وتوزيعها على المناطق فالقاهرة مثلا مقسمة الى مناطق : المنطقة الشـــمالية والجنوبية والغربية والشرقية . وتأتي الخطابات بعد ذلك في أكياس ويتم الفرز عن طريق ما يسمى الطاولة وهى تشبه « صاج » العيش الكبير وتفرغ الاكياس في الطاولة ويتولى موظف عملية ختم الخطابات ثم تذهب الخطابات الى الفراز الذى يقوم بفرزها عن طريق « الكاريه » وهو مصنوع من الصاج ومقسم الى خانات كثيرة ·· كل خانة فيها اسم حى فمثلا خانة شبرا وخانة للترعة البولاقية ·· والخانات مقسمة حسب مكاتب البريد القريبة للتوزيع ·· ثم تتولى مكاتب البريد توزيع هذه الخطابات على الجمهور ··

وقد سألت بعض الموظفين في الهيئة ·· لماذا تتأخر الخطابات وتضيع ؟ ··

قالوا : « النظام سيىء بعيد عنك » الخطابات لا تسلم بعدد فالخطابات تسلم الى السفريات بالكوم والى الطاولة بالكوم ثم الى الفرز بالكوم أيضا ! ··

والمفروض أن يقف على الطاولة موظفان أو أكثر وعلى الكاريه اكثر من واحد لانجاز العمل بسرعة ·

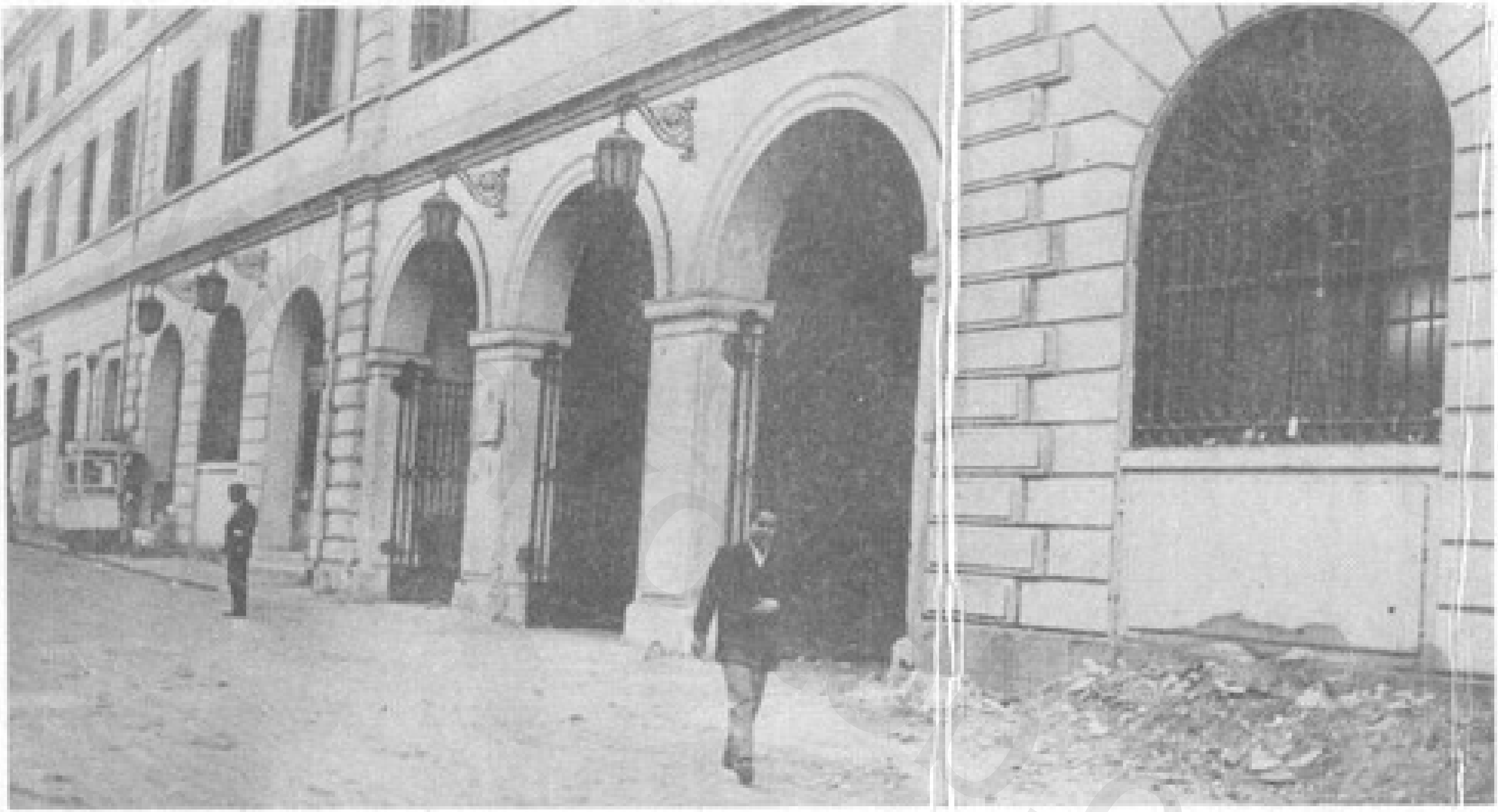
وسألت : الا يمكن أن تضبط حركة اى خطاب ·· لو فقد اى خطاب مثلا هل نستطيع أن نعرف القسم المسئول عن فقده ؟ ··

وكان الجواب : لا يمكن ·· فالمسئولية على المشاع ·· اذا فقد خطاب يجازى المفرغ والموظف الذى يقف على الطاولة والسفريات والتوزيع وموظف الفرز والسبب ·· عدم النظام ··

وهذا الكلام صحيح الى حد بعيد ·· فانك اذا مررت بأقسام السفريات والتوزيع وبقية الاقسام تجد فيها الخطابات بالاكوام ·· وتجد خطابات كثيرة مبعثرة يمينا وشمالا ·· وهناك خطابات لهيئات ومؤسسات واضحة العنوان كل الوضوح ·· ومع ذلك لا تجد اليد التى توجهها الى ذويها من أجل الصالح العام ··

قلت لزميل الموظف : ولكن ما هو سر هذه الفوضى وعدم النظام ؟

الكثيرون فى المصلحة يقولون أن السبب هو كثرة ضغط العمل والنظام القائم عليه توزيع الخطابات ·· وهذا يقودنا الى نقطة جديدة :



اثناء خروجي من مبنى هيئة البريد، وانا بزى الموظفين وكنت احصل على عدد من الخطابات يوميا حتى اثبت للمسئولين بانني عملت كموظف في الهيئـــة دون أن يعلمـوا ٠٠ !!

فقد حدث أن استدعت الهيئة خبراء من الخـــارج ليعملوا في الاشراف على تنظيم العمــــل البريدي بالجمهورية .. وجاء مستر لوخت الهولندي لينظم حركة الخطابات من يوم تصديرها الى يوم وصولها الى الجمهور ووضع نظاما وتخطيطا كبيرا . واشار بتكوين مدرسة للتدريب على الفرز الحديث .. وبعد أن رحـــل الخبير الاجنبي وانشئت المدرسة وعهد الى المصريين بالتدريس فيها .. تحولت المدرسة عن الغرض الذي أنشئت من أجله ولم تخـــرج فرازين بالمعنى الصحيح وكانت النتيجة ان أغلقت بعد أن وجد أنه لا مبرر لوجودها .. وحادت هيئة البريد عن النظم التي وضعها الخبير الهولندي .. وجاء بعض كبار الموظفين بفكرة جديدة وأمروا بان تقسم القاهرة الى عدة مناطق وان تتمركز حركة الخطابات في المبنى الرئيسي بالعتبة فاذا أردت ارســـال خطاب من الجيزة الى الجيزة يذهب أولا الى المركز الرئيسي بالعتبـــة ثم يعود ثانيا الى الجيزة .. كذلك قسموا الاقاليم الى مناطق بحيث اذا أرسلت خطابا الى نفس الجهة لا بد أن يذهب الى منطقة التجميع ثم يعود الى نفس الجهة مرة أخرى .. وهذا أدى الى تكديس العمل في المنطقة المركزية بالعتبة وزاد الضغط على الموظفين ولا توجـــد الامكانيات اللازمة لذلك .. ولم يقتنع المنظمون بخطئهم بل أصروا على أن يسير النظام المركزي ..

قلت : على طريقة ودنك منين يا جحا ..

قال : تمام ويزيد عليه دوخيني يا لونة !!

ويقول الموظف الكبير في الهيئة ان هذا النظام خطأ ويجب أن يعاد العمــــل الى ما كان عليه قبل « مستر لوخت » وهو ورود الخطابات من الاقاليم الى المناطق ذاتها .. فاذا أرسلت خطابا من كفر الشيخ الى مصر الجديدة .. فيجب أن يذهب الخطاب الى منطقة مصر الجديدة مباشرة وليس للعتبة لتحوله الى مصر الجديدة لان هذا يستغرق وقتا .. فضلا عن احتمال ضياع الخطابات ، وأرادت الهيئة أن تخفف الضغط على الموظفين بعد أن تكدست الرسائل في العتبة .. وبدأ الناس يشكون .. ولحل هذا قررت الهيئة الاستعانة بماكينات الفرز الآلية .. ولها قصة غريبة :

ذهب أحد الموظفين الى أحد الافراد وطلب منه أن يشتري للهيئة ماكينات آلية من الخارج ويستوردها باسمه الى مصلحة البريد.. وفعلا قام الشخص باستيراد اربع ماكينات آلية للمصلحة لم تعمل منها الا ماكينتان فقط وتوقفت اثنتان .. واتضح أنهم استوردوها

بحالة سيئة وغير صالحة للعمـــل ·· وتركت الماكينتان معطلتين يأكلهما الصدأ ·· مع أن ثمنهما عدة ألوف من الجنيهات !!

قلت : ياعيني ·· ولماذا لا يحاسب المسئول ؟ ··

قال : مسئول مين يا عم قول يا باسط ·· ؟!

وأيضا ·· المكان بالمبنى الرئيسي له هو الآخر قصة ·· فقبل تركيب الماكينات الآلية صدرت الاوامر بأن ينقل الموظفون الى باب الحديد ويتركوا المبنى الرئيسي حتى يتسع المكان وتركب فيه الماكينات وتنظم الهيئة على أحدث التنظيمات وتنظف ويستريح الموظفون ·· وذهبت ادارة الحركة فعلا الى باب الحديد ·· وعملوا في ظروف قاسية ·· في البدرومات ·· والحرارة قاسية جدا في الصيف · وفي الشتاء برد قارس ·· ومرت ثلاث سنوات وصدرت الاوامر الى الموظفين بالرجوع الى العتبة مرة ثانية ·· وتصور الموظفون أنهم سيجدون الراحة ·· ولكنهم وجدوا المكان كما تركوه ·· لم يحدث فيه شيء الا تجميل بعض مكاتب كبار الموظفين !!

وكان من الممكن أن يخف الضغط وتنتهي الشكوى لو عمم النظام الآلي ·· ولو اشتغلت الماكينتان المعطلتان !!

زد على هذا انه تكونت في هيئة البريد ادارة للتنظيم والمشروعات والاسم مغر فعلا . والذي يسمعه يتصور أن النظام في البريد على ما يرام ولكن الادارة الجديدة لم تدخل أنظمة جديدة تحدد المسئولية عند ضياع أي خطاب أو سرقته ·· لانه من الممكن وبســـهولة أن تسرق الخطابات أو تفقد أثناء فرزها أو أثناء وجودها في الطاولة ولا أحد يدري ! ·· (مثلما فعلت أنا ·· فقد سرقت الخطابات بالكوم ولم يشعر بي أحد الا بعد أن كتبت عنها) ·

وكل الذي فعلته ادارة التنظيم والمشروعات أنهـــا عملت بعض المكاتب البريدية النموذجية في الاحياء وذلك ليعرف الجمهور أن الخدمة تحسنت ·· كما أنه توجد هوة كبيرة بين الموظفين الفنيين (موظفي الحركة) والادارة ·

وسمعت أحد الموظفين يتكلم عن الادارة ويقول :

فيه ظلم ·· فيه تفرقة بين الفنيين والاداريين في كل شيء المعطلات الرسمية والاجازات يتمتع بها الموظفون الاداريون الذين يعملون في المكاتب أما الذين يعملون في الحركة فلا يستفيدون ··

وسألت زميل الموظف الذي ضاق من كثرة الاسئلة عن المكافآت ·· فقال :

توجد مكافآت ولكن ليست لنا ٠٠ المكافآت يصرفها الاداريون ٠ أما نحن الذين نعمل فلا نجد الا جزاءات ٠٠

وسمعت نفس الكلام من الكثيرين وعرفت أن الادارة تخصم وتجازي وقد حدث أن خصم من موظف ١٣٠ يوما في شهر قسطت على شهور السنة ٠ !!

وموظف آخر خصم منه ٧١ يوما في شهر وموظف ثالث خصم من مرتبه خمسة جنيهات في شهر !!

وسبب وقوع هذه الاخطاء بين الفريقين هو أن بعض الاداريين ليست لهم خبرة بالاعمال البريدية الفنية ٠

وتركت زميل واتجهت الى موظف كبير واسمه (٠٠٠٠٠٠) وجلست اتكلم معه في أحوالي وأحواله ٠٠ وحظي السيء الذي أوقعني في هيئة البريد والكلام الذي سمعته وسألته سؤالا :

ما هو دور مدارس البريد المتوسطة والعالية في تخريج اداريين وفنيين وموظفين فنيين ؟

قال الموظف الكبير : مدرسة الفرز الحديث أهو انت سمعت عنها ٠

أما مدرسة البريد العالي ٠٠ وهي من الحاصلين على الاعدادية وبعد تخرجهم عملوا باقلام الحركة والتوزيع واختلطوا بموظفي البريد القدامى ٠٠ ولمسوا عن كثب الحالة المزرية التي وصل اليها رجال البريد من عدم وجود حوافز ولا حماس لممارسة العمل ٠٠ لقد تحولوا الى مشاغبين يريدون ترك العمل بأي طريقة لانهم مقيدون بالعمل في المصلحة لمدة خمس سنوات بنص العقد المبرم بينهم وبين المصلحة ٠

أما مدرسة البريد الثانوية فطلبتها بعد الثانوية العامة ٠٠ ونأمل أن يتخرج فيها الاداريون الفنيون ٠٠

سكت برهة وسألت :

ولكن ماذا فعل الموظفون الذين اوفدتهم هيئة البريد في بعثات الى الخارج ؟

صحيح جاءوا بنظم جديدة ٠٠ ومشاريع جديدة ٠٠ ولكن معظمها أودع في الادراج ٠٠ واشتغل الموظفون الذين رجعوا من البعثات التي أرسلت الى ألمانيا وهولندا في أعمال ادارية في الحسابات والمراجعة ٠٠ قليل جدا منهم اشتغلوا في تنظيم الحركة ٠٠ ولم يعملوا في الاقسام الفنية كأقسام الفرز والتوزيع والسفريات وخلافه ٠٠

والمشروع الوحيد الذي نفذوه عندما عادوا من الخارج هو زي البريد .. عبارة عن جاكيت أسود وشـــارة البريد .. ووضعت الادارة في اللائحة جزاء خمسة أيام لكل من لا يرتدي الزي .. وفضل كثير من موظفي المصلحة الخصم على ارتداء الزي لانه كما يقولون غير عملي وغير لائق ويشبه زي الحانوتية !!

وفي الاقسام الفنية شكاوى كثيرة كلها تتركز في أن الموظفين يعملون في جو غير ملائم فلا يوجد الحافز ولا الاستعداد النفسي ولا توجد اختصاصات ولا سلطات واضحة فمباحث البريد تتداخل في الادارة .. ولا تعرف سلطة مباحث البريد من سلطة الادارة .

●●●

قلت لرئيس الحركة :

ولكن ألا يعلم المدير بكل هذه الاخطاء ؟ .. وأين دور الاتحاد الاشتراكي واللجنة النقابية ؟ ..

وقبل أن يجيب على وجدته يشك في أمري وانتظر فترة بعد أن نظر الى من فوق الى تحت وأشعل السيجارة وقال بتهكم وبسخرية : ان المدير العام أمر أن يكون باب مكتبه مفتوحا .. ولكن بعض الموظفين وخاصة في السكرتارية .. وبعض المديرين المســـاعدين يمنعون صغار الموظفين من مقابلة المدير ! وسأحكي لك هذه القصة :

زميل لنا أراد مقابلة المدير العـــام وذهب الى مكتبه فقال له أحد الموظفين الذين يعملون في مكتبه :

ـ تقابل المدير العام ليه ؟ .. هو انت عندك مشروعات مهمة .. والا أنت فاكر نفسك باشمهندس .. والا وزير ؟ ..

قال له : « امال فين الباب المفتوح ؟ »

قال : مفتوح ايه ومقفول ايه .. دا الباب المفتوح ده .. في السينما يا ابني .. روح شوف شغلك أحسن أبلغ عنك بأنك سايب الوردية ينخصم لك يومين !!

ولابد أن تعلم أنه لا لجنة الاتحاد الاشتراكي ولا اللجنة النقابية في الهيئة لهما الفاعلية المطلوبة وأن الادارة أقوى بكثير من صغار الموظفين والفنيين الذين يقع عليهم عبء العمل كله واذا تكلم أي موظف أو عضو من أعضاء اللجنة والاتحاد يكون مصيره الاضطهاد والتشريد !

●●●

قلت : اريد أن أسألك سؤالا بعد أن أمضيت طول هذا العمر في الخدمة البريدية ؟

.. والعلاج .. ؟؟

قال الرجل :

× اعادة تخطيط الحركة البريدية من جديد بحيث يمكن تتبع الخطاب من مرحلة ارساله الى وصوله للجمهور .. وتحديد المسئولية ليجازى المخطىء ويثاب المصيب .. واعادة تنظيم العمل في جميع اقسام الحركة من جديد بحيث يسير العمل في سهولة ويسر .. وبعيدا عن التعقيدات والاهمال .. وتلافي الاخطاء الجسيمة عن تمركز العمل وتكدسه في مكان واحد ..

× التحام المسئولين بالموظفين الصغار لمعرفة شكواهم ومقترحاتهم .. واعتقد أنهم سيجدون الكثير ..

× تحرير الهيئة من الروتين والبيروقراطية .. وصرف الاجر الاضافي للمواطنين بالكامل لكي يؤدوا عملهم ويتنافسوا على العمل النظيف .

× رفع الروح المعنوية لموظفي الحركة وعدم التفرقة بينهم وبين موظفي الاقسام الادارية .. ويأتي ذلك عن طريق رعاية الموظفين صحيا واجتماعيا لان الهيئة مشتركة في مستشفى السكة الحديد وتدفع لها رسوما لعلاج موظفيها ويقول الموظفون انهم لا يصرفون الا المزيج !!

× يجب ان يشعر الموظف البريدي بالاحترام المتبادل بينه وبين الجمهور والزي الموجود لا يشجع على ذلك ..

× ان يشترك بعض الموظفين الفنيين العاملين فعلا في الحركة في مجلس ادارة هيئة البريد ليعرضوا مطالبهم لتجاب فورا دون تعقيدات وهذا لصالح العمل .

وسكت الرجل .. وسكت معه وانصرف ومكثت فترة طويلة افكر ماذا أفعل !! واهتديت الى خطة ..

فبعد أن عرفت كل هذه الاسرار وأنا موظف في قسم الفرز سرقت عددا كبيرا من الخطابات وطلبت من الزميل المصور،أحمد عبدالعزيز تصوير الدفاتر التي وقعت فيها بالحضور والانصراف والدفاتر التي قبضت فيها مرتبي في هذه المدة وذلك حتى تسكت هيئة البريد اذا ارادت ان ترد ولكن هيئة البريد لم ترد بالرغم من أنني نشرت

عن هيئة البريد اكثر من مقال اهاجمها فيه وعرفت منها الخطابات وبدون أن اشير الى انني دخلت الهيئة كموظف متنكر ولكن كل الذى فعلته الهيئة بعد أن حاولت أن تنكر ولم تجد جدوى طلبت أن تكف أخبار اليوم عن النشر وهي مستعدة لسد كل الثغرات ..

●●●

وبعد النشر حضر الى مكتبى ضابط برتبة عقيد وقدم نفسه لى : انا العقيد محمد نبوى اسماعيل رئيس مباحث النقل والمواصلات وقال أنني اريد ان أعرف منك السلبيات والايجابيات ، وكيف دخلت وكيف خرجت وكيف حصلت على الخطابات .

قلت له : ان كل الذى عندى كتبته ولا يوجد جديد ، فانا اكتب ما اراه سواء سلبيات أو ايجابيات ولهذا افكر فيموضوعات واتحمل الكثير لكى أكتب ما اريد .

قال العقيد نبوى :

ولماذا لا تقابل اللواء عبد العزيز شاكر – رئيس مجلس ادارة البريد لكى يتحدث معك ولكى تتفقوا على نقاط العلاج التى شرحتها .

قلت له انني لا اقابل « الامبراطور » وعبد العزيز شاكر امبراطور فى هيئة البريد .. !!

قال العقيد محمد نبوى اسماعيل انني ساكون معك وهدفنا واعتقد أن هدفك ايضا هو الاصلاح .

وذهبت مع العقيد محمد نبوى اسماعيل رئيس المباحث وقتها وقابلت اللواء عبد العزيز شاكر ودار حوار ساخن بيني وبينه .

قلت له : اني أريد أن تنزل من برجك العاجي وتختلط مع الموظفين وتعرف مشاكلهم .. تعرف ماحلولهم وما هى اقتراحاتهم .

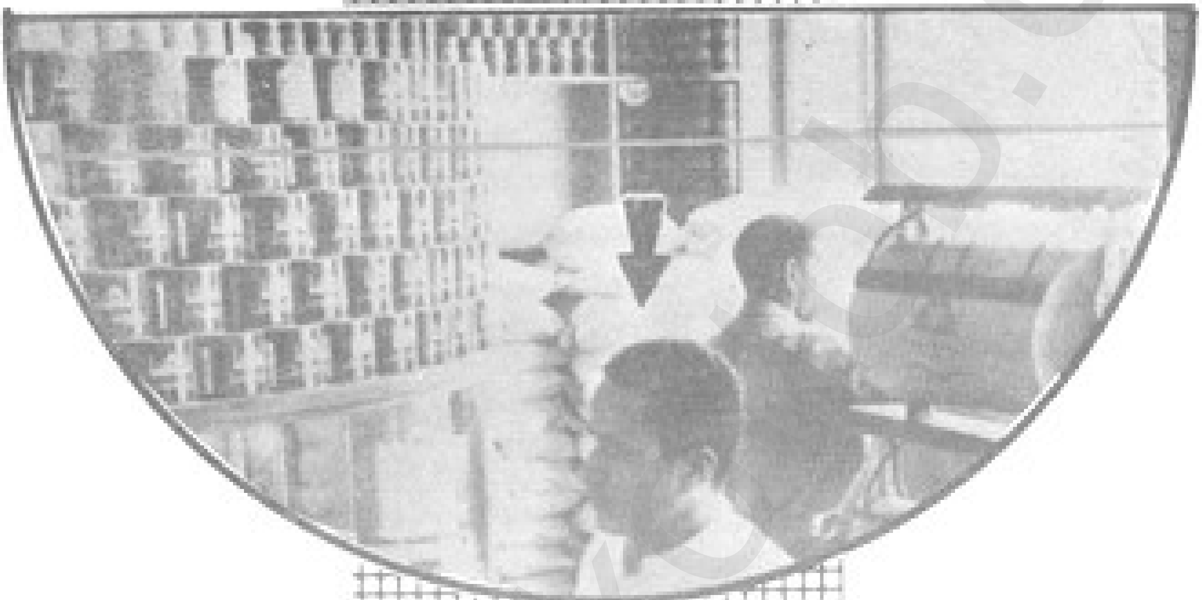
وتدخل العقيد نبوى اسماعيل باسلوبه الممتاز وبلباقته المعهودة وقال على كل نحن الاطراف الثلاثة يهمنا أن نرتفع بمستوى البريد اذن نتفق على الحل لكى تكتب أنت عنه فى الاسبوع المقبل : وكان الحل هو رفع سعر ورقة البوستة من قرش الى قرشين .. وتوفير الامكانيات والاعتمادات اللازمة للهيئة وارسال بعثات الى الخارج . وكتبت أكثر من مرة حتى ارتفع ثمن طابع البريد الى قرشين وأعطيت الاعتمادات والامكانيات لهيئة البريد ووافقت الحكومة على ارسال البعثات الى الخارج .

ومن يومها وانا اتابع هيئة البريد .. وتوطدت صداقتي بالعميد محمد نبوي اسماعيل منذ وقتها وهو رئيس لمباحث النقل والمواصلات الى ان اصبح نائب مدير ادارة شرطة النقل والمواصلات ثم مديرا لمكتب السيد ممدوح سالم . ثم نائبا لوزير الداخليـــة . ثم وزيرا للداخلية .

وهو وانا مازلنا نتابع هيئة البريد .. وتطـــور هيئة البريد والصعاب التي تقابلها منذ وقتها الى الآن .. !!

●●●





صبي بقال..
في الجمعية!!

لقد استطعت أن أتنكر في شخصية طالب وظيفة في إحدى الجمعيات التعاونية الاستهلاكية

وحصلت على عمل صبي بقال ‥ وتنقلت في اربع جمعيات تعاونية وكنت اسجل تجربتي من الواقع يوما بيوم وامضيت في هذا العمل اكثر من شهرين ووصلت الى الخبايا واساليب التحايل والغش التي يلجأ اليها بعض موظفي الجمعيات الاستهلاكية ليفسدوا الهدف الشريف الذي انشئت من اجله هذه الصورة الجميلة ‥ واحيل التحقيق الى المباحث الجنائية والى المحكمة وكانت ضجة كبيرة بعد نشر هـذا التحقيق ووضعت امام المحكمة الاساليب الخفية في قضية الجمعيات التعاونية الاستهلاكية والتي كنت السبب في اظهارها !!

اخفيت بطاقتي الشخصية ‥ غيرت اسمي من عبد العاطي حامد الى محمد أحمد مصطفى ! ‥ قلت انني لا أحمل مؤهلات ‥ ادعيت أن لى خبرة سابقة فى أعمال البقالة ! ‥ ذكرت أننى كنت أعمـل بقالا فى دكان والدى بمنية السيرج الذى اغلقه بعد ان أفلس ! ‥

كتبت كل هذا فى الطلب الذى قدمته للعمل كصبى بقـال فى الجمعية التعاونية الاستهلاكية ‥ كنت أريد أن أكشف عن الاخطاء التى تحدث فى هذه الجمعيات ‥ قبلوا طلبى واجريت امتحـانا عمليا فى أعمال البقـالة واعطونى خطابا للكشف الطبى حينئذ وضعت يدى على قلبى لان عينى اليسرى ضـعيفة جدا ‥ ولكن الله سلم ونجحت !

بدأت ادارة المستخدمين تطالبنى بأوراقى ‥ خشيت أن تكتشف حقيقتى ‥ قمت بعدة محاولات ووساطات لاقناع بعض المسئولين بأن أبدأ فى العمل حتى أتمكن من اتمام أوراقى نظـرا لانى فى اشد الحاجة للعمل من اجل اعانة اسرة كبيرة فقيرة ! ‥ خذوا على تعهدا بأن اقدم أوراقى خلال ثلاثة شهور على أن أعمـل بالمكافأة خلال هذه الفترة !

تمكنت خلال هذه الفترة أن اكشف عددا كبيرا من عمليـات التلاعب والاختلاس وأن أضع يدى على كثير من الحقائق الخطيرة ! وكنت اتقاضى مرتبى كاملا الى جانب البقشيش الذى كان يعـادل اربعة اضعاف مرتبى والذى كان يمثل ضريبـة على الزبون والا حصل على بضاعة لاتصلح للاكل أو الطبخ ‥ واحيانا كانت بضاعة الزبون تصل الى منزله لانه فضل أن يهين قرشه ولا يهين نفسه !! تنقلت بين عدد كبير من الجمعيات ! ‥ تبين لى أن هناك جمعيات



وقفت كصبي بقال ابيع للزبائن وكنت احاول ان اجارى الموظفين في سرقة الجمهور وكيف نتبارى في اخـذ البقشيش وفى اخفـاء البضـاعة !!

تحتاج الى هزة شديدة فيها وتصحيح أوضاعها وبها أهمال شـديد واستهانة بمصالح الجماهير .

استلمت عمل فى جمعية منشية الصدر ثم باب الشعرية فالسيدة زينب فمصر الجديدة .. كنت أوقع على كشوف الحضور والانصراف .. انتقلت بعد ذلك بواسطة أحد المسئولين بعد أن أوهمتـه أننى من طرف صديق عزيز عليه .

بعد أن عرفت ما يدور في هذه الجمعيات ، عملت باليـــومية في مستودع الجمعية بسوق الخضار بروض الفرج ·· في أثنـاء ذلك علمت أن رئيس مجلس الادارة قد علم بأمري وارسل في طلب كشف الموظفين ليبحث عن اسمي ·· ولكنه لم يجده لانى كنت قد زورت أسمى كما ذكرت !

وجمع رئيس مجلس الادارة مديرى الجمعيات وعددهم ٢٨٠ مديرا ووبخهم واتهمهم بالغباء وكيف أن صحفيا استطاع أن يخـــدع الجميع ! ولم أنشر تحقيقى يومها ·· بعـــد أن أعلنت عنــه فى التليفزيون حرصا على الا يتهرب المتلاعبون والمرتشـــون من أيدي العدالة · فبعد أن أعلنت عنه جاء الى بعض المسئولين واخذوا منى تفصيلات عن الجمعية ويومها طلبوا منى الا أنشر شيئا عن الجمعيات لانه سيتم القبض على كل هؤلاء ·· وستضع المباحث الجنـــائية العسكرية يدها عليهم ·· ووعـــدتهم بأن أؤجـــل النشر ·· وأن أضحى بتعبي وبالعذاب الذى لاقيته اذا كان هذا سيخدم الصالح العـــام ·

وفى قسم البقالة الذى اشتغلت فيه ·· وهو أكبر قسم تكثر فيه الاختلاسات لان به كثيرا من الاشياء التي يمكن التلاعب فيها بسهولة لان معظمها أشياء تستهلك يوميـــا كالجبن والزيتون والطـــرشى فمعظمها مال سايب والمال السايب يعلم السرقة كما يقـــولون أو تكون الاختلاسات عن طريق تزوير البونات أو استعمال البـــون مرتين او التنقيص في الميزان · وقد تسببت فى كشف بعض الحقائق المثيرة منها :

× اختلس أحد البقالين في جمعية تعاونية أشـــياء من قسم البقالة قيمتها ١٨٠٠ جنيه ولم يضبط الا بعد أن أبلغ عنه شركاؤه، ذلك لانهم اختلفوا في القسمة ، ولولا الاختلاف لما ظهر العجز ·

× حققت نيابة باب الشعرية مع مديرى اربع جمعيات تعاونية بتهمة اختلاس مواد من قسم البقالة ، وكشف التحقيق عن حقائق خطيرة ، وعن طرق الاحتيال والتلاعب التي يقوم بها بعض مديرى الجمعيات ·· ومن بين هـــذه الطرق ذلك الذى يقوم به عامـــل الكونترول باستيلائه على عـــدد من البونات وتسليمهـــا لبعض معـــارفه ، لاعادة صرف بضائع بموجبها دون ســـداد الثمن وذلك بمساعدة بقية العاملين فى الجمعية ·· وقدر حلمى الشنوانى وعلى عبد الشكور وكيلا النيابة ـ في ذلك الوقت ـ هذه الاختلاســـات بمبلغ كبير · وقيدت القضـــية تحت رقم ٥٧ محضر تحقيق قسم باب الشعرية ·



فى الجمعية الاستهلاكية المركزيه .. كنت احمل اقفاص الفاكهة والخضر وصناديق الكريز لكبار المسئولين!!

× بعض المواد التموينية بقسم البقالة . يقوم رؤساء الوحدات بالمجمعات باستيرادها مباشرة دون وجود لجنة للمشتريات ، التى لم تتكون الا أخيرا . بعد أن زادت الاختلاسات فى هـذا القسم .. كذلك ترسى العطاءات على موردين معينين بقـدرة قادر لبيع المواد التموينية باسعار عالية ومرتفعة ليحققوا أرباحا على حساب هذا الشعب المسكين ..

وأثناء عملى بمجمع باب الشعرية دخل أحمد الزيانى .. وطلب منى باربعة قروش جبن ووزنت له الكمية .. وبينما أستعد لوضعها

فى الورقة .. استوقفنى زميل البقـــال وقال فى همس دون أن يسمع الزبون .. أعطيه بما يساوى ثلاثة قروش ونصف قرش .

قلت : ليه !

قال : انت عارف أن الميزان بيعجـــز .. ولازم الواحد ياخـــد احتياطاته واعطيت الزبون جبنا بثلاثة قروش ونصف قرش بينما البون بأربعة قروش .. وفى آخر الليل وقبل أن تقفل الجمعيــة بساعة رأيت طفلا صغيرا وقف امام صاحبنا هذا فأعطاه ما يقرب من نصف كيلو جبنة بيضة قطعها فى الحال .

ولما سألته عن البون قال لى : ملكش دعوة .. أنا اللى هحاسب مش أنت .. أوعى تتدخل فى المســائل اللى زى دى أحسن احيلك للنيابة .. وعرفت فيما بعد أن هذا الطفل قريب البقـــال ويحضر يوميا .. ويأخذ الكمية منه دون أن يدفع الثمن .. فاللى يوفره من الزبائن يعطيه له .. !

وفى يوم آخر لاحظت طفلا معينـا يحضر ويأخذ كمية من علب (السلمن) فى الصباح والمساء .. بينما لايعطى لاى شـخص من الجمهور الا علبة واحدة ..

وسألت المعلم أو زميل البقال فقال : أصل ده من عند واحد بقال صاحبنا معرفة .. بيخدمنا .. انت مالك يا أخى كتير الســؤال كده ..

أما حجارة البطاريات فقد كانت تختفى من المجمع فور وصـولها بقدرة قادر .. وشاهدت شخصين يقفان فى الطابور .. ويشتريان كمية كبيرة من الحجارة بالاتفاق مع عامل الكونترول بالمجمـع .. وعرفت من الساعى بأنهما تجار حجارة بطاريات يبيعونها فى العتبة الحجر الواحد بأربعة قروش .. بينما يباع فى الجمعية بقـروشين ونصف قرش . وسألت أحد زملائى البقالين .. ما العمل اذا جاءت مباحث التموين وامسكت أحد البقالين وهو يبيع البضاعة ناقصـة الميزان ..

فقال وهو يضحك .. يا بلدينا القضية تحفظ على طول .. دى حكومة يا عم فى بعضها .. هم بيقولوا اننا مالناش مصـلحة فى كده .. !

ولما عرفوا بأننى كثير السؤال بدأت مشاجراتهم معى ..وطلبت نقلى .. وذهبت الى مجمع منشية الصــدر .. فعرفت أن الاعيب واحدة فى اقسام البقالة ..

وأردت ان اعرف شيئا عن قسم اللحوم ·· تصاحبت مع مساعد الجزار ·· وتقربت اليه وأخذت اذم له في رئيسه ·· فقال : تعرف أن الراجل ده ضلالى ··

قلت : ليه ·· ؟

قال : له طرق عجيبة في الاحتيال على عبـــاد الله ·· اللحم فى الجمعية أصناف ، فيه صنف ممتاز كالفلتو والتلبيانكو والانتركوت وده ثمنه مرتفع واذا جاء أحد الزبائن وطلب لحم ممتــاز يعطيه من اللحم العادى ·

قلت : طيب وفرق الثمن بين العادى والممتاز بيروح فين ·· ؟

قال : ياسيدى لنفسه ··ابنه بيجى آخر النهار·· لوا اى واحد من قرايبه يعطيه ما يوازى الفرق ·· يعنى دى شغلانة !

قلت : أنا شايف ان فيه زحمــــة على الدجاج ·· وواقفين طابور طويل ·· !

قال وهو يضحك : بشرفى ما فى واحد منهم واخد حاجة ·

قلت باندهاش : ليه ؟

قال : يا عم الفراخ اتوزعت من لحظة ما العربية نزلتهـــا يا عم المحاسيب والمعارف ربنا يخليهم ·· كل واحد منهم ياخد تمانيـــة فراخ أو عشرة بينما الجماهير تقف فى الطابور بالساعات ·

سألته : والمفروض الواحد ياخد كام فرخة ·· فصدق المشترى العادى ·· ؟

قال : فرخة واحدة لاغير ·

قلت : يمكن الجمعية دى لوحدها ؟

قال : يا عم كل الجمعيات كده ·· وفيه واحد صاحبنا بيشتغل فى جمعية حدائق القبة ·· اشترى من جمعية مصر الجديدة أربعين فرخة فى يومين ·

قلت مش معقول ·· امتى ده ؟

قال : فى الشهر اللى فات يمكن لو رحت الجمعيـــة وبحثت عن البونات تلاقيهم ·· ده مولد يا عم ·

سألته : طيب افترض ان واحدا من الناس اللى واقفين فى الطبور محتاج لفرخة ضرورى ·· يعمل أيه ؟

قال وهو يضحك : يظرف ٠٠ يدفع بقشيش ٠٠ جرى أيه يا أخى أنت سيد المدردحين ٠٠ !

قلت : يدفع كام ؟

أجاب : زيادة ثلاثة قروش ونصف بس أو خمسة قروش ٠٠ مش احسن من وقوفه فى الطابور ٠٠ !

ثم قال لى : الحاجات دى حاوريها لك علشان تصدق ٠٠

وبدأ صاحبى عنـــدما يلاحظ أى واقعة يغمز لى بعينيه لـــكى اشاهدها بعينى ٠٠ وعرفت أن ما قاله الزميل صبى الجزار صورة مصغرة للحقيقة ٠٠ ! فلقد رأيت الكثير من الوقائع سواء السرقة فى البضائع أو توزيع المواد التموينية والدجاج واللحوم على المحاسيب والاقارب ٠٠

وفى مجمع السيدة زينب ٠٠ وبعد أن توسلت الى المسئول الذى عيننى ـ والذى أعرفه جيدا ـ رجوته أن ينقلنى الى السيدة زينب ٠٠ يمكن بركات الست تهدينى ٠٠ أو تهدى العاملين فى المجمعات هنـــاك ٠٠ !

وهناك وجدت الحال من بعضه ٠٠ البقالة هى البقـــالة ٠٠ قسم اللحوم ٠٠ هو نفس حكاية منشية الصدر ٠٠ الصورة متشابهة ٠

واردت ان احقق ما يجرى فى قسم الاسماك ٠٠ وتصـــادقت مع السماك ٠٠ أحضرت له الشـــــاى ٠٠ حكيت له ظروفى المريرة ٠٠ وكيف أن الزمن غدار وكان والدى بقـــالا معتبرا ٠٠ واطمأن لى السماك ٠٠ واعطانى سره ٠٠ !

ففى يوم رأيت اربعة أشـــخاص حضروا الى السماك ٠٠ ووزنوا كميات كبيرة من السمك ٠٠

وسألت السماك : يظهر الجماعة دول عندهم أولاد كتير قوى ٠٠ ؟

قال : لا اولاد ولا حاجة ٠٠ دول تجار سمك ٠٠ !

قلت : وبيشتروا من هنا ليه ٠٠ ؟

قال : شوف يا سيدى الجمعية لها جرارات وسفن صيد كبيرة بتصيد لحساب الجمعية ٠٠ ومحصول هذه الجرارات يشـــحن من الغردقة يوميا ٠٠ أصل الجرارات بتصيد فى البحـــــر الاحمر ٠٠ ويوزع على الجمعيات على طول ٠٠ علشان ما يبقاش فيه تجار فى الوسط بين الجمعية والمشترى فترفع السعر ٠٠ لذلك تجـــــد أن الجمعية تبيع بسعر رخيص جدا يختلف عن سعر الخـــارج الذى

يبيع به التجار .. لذلك يحضر أصحاب المحال ويشتروا من هنـــا .. أصلهم مساكين زينا .. ! والواحد منا بيعمل للزمن..وشيلني واشيلك . والا ايه .. ؟!

وتركت المجمعات وذهبت الى قسم الخضر والفاكهة وانا (بزي) الجمعية .. وطلبت أن أعمل فيها منذ الصباح الباكر كوقت عمل أضافي .. لكي اتمكن من الصرف على اشقائي اليتامى .. ونجحت الحيلة .. وأعطاني المدير الذى عينني كارتا الى المسئول في وحدة الخضر والفاكهة ..

وعملت هناك .. كنت أقوم من نومي في الساعة الثانية صباحا واصل هناك في الرابعة لكي أنقل الفاكهة والخضراوات مع العمال الى السيارات .. وهناك وجدت حقائق غريبة ..

القائم باستيراد الفاكهة والخضراوات أحد المهندسين الزارعيين بنفسه ولحسابه ويوزعها على المجمعات مباشرة ولا رقيب عليه وهو الذى يشترى من الجمعيات بعد ذلك الفائض من الفاكهة والخضراوات

المستودع غير منظم فالفواكه والخضر متروكة بدون تنظيم في عملية الحفظ .. فالجمعية تشـــترى الخضر والفواكه من ملاك حدائق الفاكهة وكبار التجار .. هذا علاوة على الكمية التى تعاقدت الجمعية على شرائها من مديرية التحرير والتى يقف النقل عقبـة كبيرة في شحنها الى القـاهرة .. لانه لاتوجد خطة مدروســة في عملية النقل .. !

لذلك تتلف كمية كبيرة من الخضر والفاكهة ويبلغ قيمة التالف سنويا ٢٠ ألف جنيه .

وهذا الرقم ليس من عندى بل من العمال والموظفين بعــــد أن كونت معهم صـــداقات كثيرة .. ويمكن الرجوع الى السجـلات للتحقيق من هذا الرقم .. !

وتتلف الخضر نتيجة لسوء التوزيع وعدم العناية في الحفظ .. باستثناء التفاح والبطيخ وهما صنفان نادرا الوجود في الجمعية لان التوزيع يجرى للمعارف فور وصولهما .

استوردت الجمعية ٢٢٠ صندوقا من الكريز بطائرة خاصة لاحد الوزراء والمسئولين في ذلك الوقت وعندما علم رئيس الوزراء وقتها بما حدث من الوزير استدعاه ليعاتبه وعنـــدما ذهب الوزير الى رئيس الوزراء ليبدى اعتذاره قال له رئيس الوزراء : انني لم أزعل منك لانك اشتريت ٢٢٠ صندوقا من الكريز لنفسك ولكن اعتب عليك لانك لم تشتر الكريز لى ولبعض المسئولين أيضا .. وفعلا استورد

الوزير الكريز .. ولكن هل تعلم ماهو ثمن صـــندوق الكريز .. عشرون قرشا .. وكانت فضيحة ولا أحد يستطيع أن يتكلم فقد كانت مصر في سنة ١٩٦٤ سجنا مفتوحا لا أحد يفتح فمه والا كان مصيره السجن الحربي وكلاب حمزة البسيوني وملوك التعذيب !!

ملحوظة : كل هذه الحقـــائق التي كتب عنهـا ثابتة في دفاتر حسابات الجمعية ولا يمكن انكارها

●●●

هذه صورة مصغرة عن بعض ما يجري في أقســـام الجمعيات التعاونية الذي يحتاج الى علاج سريع .. وهذا لا يعني أن النظام في الجمعيات التعاونية كلها نظام فاشل .. وانها تعتمـــد على السرقة والرشوة والمحسوبية .. وهذا بسبب الخسارة الماليـــة الجسيمة في المجمعات والتي اعلن عنها أخيرا .. ولكن شهـــادة حق .. لقد وجدت أثناء تجولي وعملي في الجمعيـــات .. أربع جمعيات يسير النظام فيها على قدم وســاق .. ولا توجد مجـــال للوساطة .. وان كل شيء يسير في مجراه الطبيعي .. بفضـــل المديرين المؤهلين الذين يعملون فيها ..

ومن هنا أبرز نقطة جديدة في الموضوع .. لماذا يهرب المديرون المثقفون من الجمعيات .. ؟ ولماذا يرتشي بعض المديرين بها ؟ .. اثناء عملي بالجمعيات عرفت الاجابة .. ذلك أن الجمعيـــة تعين خريجي الجامعة بعشرين جنيها .. علما بأن ساعات العمل أكثر من ١٥ ساعة .. تعطيهم الجمعية خمسة جنيهات فقط للاجـــر الاضافي طول الشهر ..

ثم سؤال اخر : لماذا يختلس ويرتشي موظفو الجمعية من البقالين والسماكين وغيرهم .. ؟

ووجدت الاجابة على لسان أحد البقالين قال لي : يا عم احنـــا كنا بنشتغل بقالين .. واصحاب دكاكين كبيرة .. وعندما ابتدت الجمعية احتكرت توزيع اصناف البقـــالة .. وهي اللي بتـــوزع البقالة على البقالين .. والواحد لازم يدفع مقدما .. وكان الواحد بياخد من التـــاجر .. ويلبس طاقية ده .. لده .. يعني الواحد ياخد من تاجر ويبيع ويسدد ديون تاجر تاني .. وهكذا .. انما أقسام البقالة في الجمعيات تحتاج بأن الواحد يدفع على طول .. والجمعيات بتبيع بسعر أقل .. فمقدرناش نقف قصادها .. قفلنا المحلات .. واشتغلنا بقالين في الجمعيات .. !

وانت عارف بأن مرتب الجمعيـــة بسيط ولا يكفي الاولاد ..

فالواحد لازم يرضيه يشوف حاجة ثانية من هنا أو من هنا ٠٠ ! والبركة فى السوق السوداء !

كذلك ظهرت فئة جديدة من البلطجية الذين يتزاحمون ويقفون فى الصفوف الأولى ويشترون اللحوم والدجاج ٠٠ ويبيعونها فى الخارج بثمن مرتفع ويخلقون سوقا سوداء فى السلع ٠٠

واحيانا يصطدم الجمهور مع موظفى الجمعية كثيرا ويسبونهم بدون سبب ٠٠ فقد حدث وأنا أعمل فى مجمع السيدة زينب ٠٠ أن طلبت من سيدة ٠٠ أن تقف فى الطابور فشتمتنى وقالت لى : يا مجعلص يابو وش عكر ٠٠ وشتيمة أخرى يعاقب عليها قانون العقوبات ٠٠ !

وجاء أحد المشترين وهددنى ان لم يأخذ كمية كبيرة من علب السلمون سيشتكينى فى الشرطة ٠٠ ويدعى على بتهم باطلة ٠٠ علاوة على أن بعض الافراد يلجأ الى طرق ملتوية ٠ فيحاول رشوة البائع واعطاءه أزيد من الثمن لكى يتصرف بسرعة ٠٠ هذه كلها أساليب تضر بالصالح العام وتؤدى الى تشويه هذا العمل الكبير ٠٠ !

ولقد مكثت فى تحقيقى هذا أنا والزميل محمد لطفى ثلاثة شهور ٠٠ كان يقشيشنى فى الشهر الواحد ١٤ جنيها بخلاف مرتبى ٠٠ واعطيتك صورة عما يدور فى الجمعيات ٠٠ واقترحت الطرق السليمة لعلاج هذه المسائل ٠

وبعد أن عرفت كل خبايا الجمعيات التعاونية كصبى بقال فيها مارس التجربة على الواقع ورأى كل الثغرات ذهبت لرئيس مجلس ادارتها فى هذا الوقت لاناقشه فى كل الثغرات التى قابلتها فى هذا الوقت ابتداء من تعيينى الى يوم خروجى ٠٠ فقال : أما عن تعيينك فانت طرقت الباب السليم ٠٠ وقدمت أوراقك واختبرت ٠٠ ويستطيع أى فرد من الجمهور أن يلتحق بالجمعية عندما تعلن عن وظائف خالية بشرط أن تستوفى شروط التعيين ٠٠

واعترف رئيس مجلس الادارة أنه توجد مخالفات كثيرة فى بعض الاقسام ٠٠

وأما عن مخالفات السماكين والجزارين والبقالين المعينين فمعظمهم جاء من محال القطاع الخاص ٠٠ لذلك فان لهم روابط وصداقات مع معلميهم السابقين أو زملائهم وبالتالى فهو يسهل لهم شراء كميات من بضاعة الجمعية ٠٠ خاصة أن الشراء يتم بعد سداد القيمة ببونات متفرقة ويجب أن يعلم الجميع أن بناء الاخلاق من

أصعب الامور ·· ولقد عينا عددا كبيرا من المشرفين وأصدرنا قرارات منها :

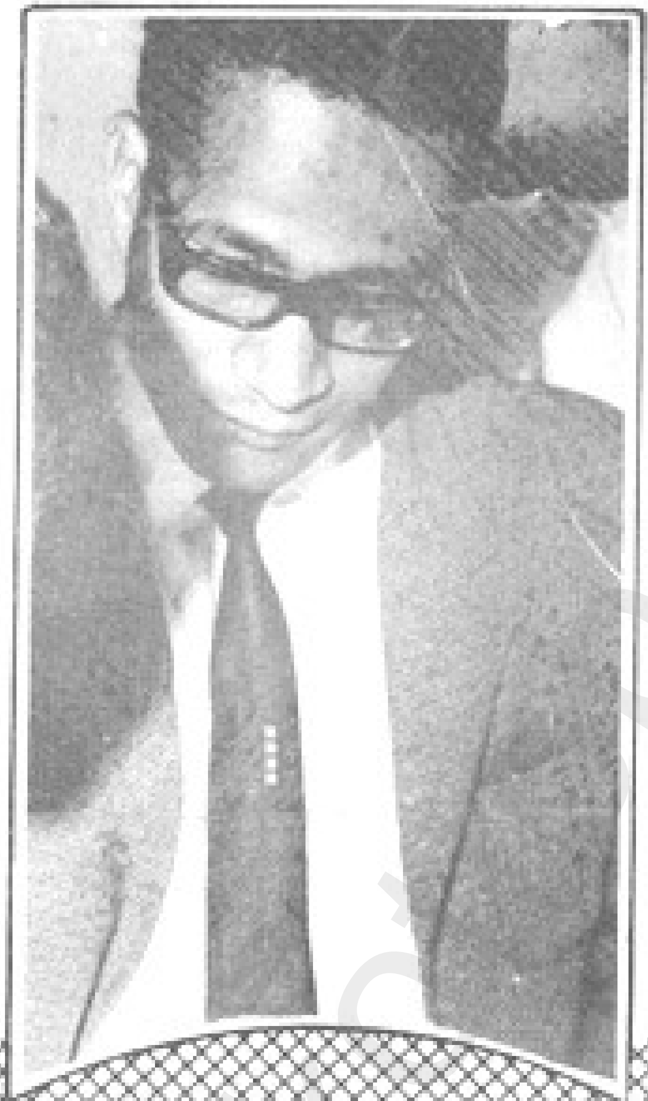
(غير مسموح للعاملين بالجمعيات شراء أية أصناف من المجمع الذي يعملون فيه) ·

وأما عن البيع للاصدقاء والمعارف ·· فان هذا لا يمكن منعه لانهم يترددون على المجمعات كافراد عاديين ·· وأن الرقابة شددت الان وتتم عن طريق الاجهزة الاتية : ادارة الرقابة بالمؤسسة وأدارة التفتيش العام بالجمعية وادارة التفتيش بالمؤسسة وادارة التفتيش بادارة المحال بالجمعية وادارة الامن بالمؤسسة ·· وقسم مباحث الجمعية ·· وبخلاف ذلك يوجد صندوق للشكاوى والمقترحات أمام كل مجمع ·

وتركت رئيس مجلس الادارة ولم أقتنع بكلامه في ذلك الوقت وصممت أن أكتب التحقيق عن مهازل الجمعيات وماذا يدور فيها ·

وقبل أن ينشر التحقيق ·· كانت المباحث الجنائية العسكرية تحقق في كل حرف فيه ·· وتم ضبط المخالفين في الجمعيات الاستهلاكية ·· وعرضت القضية على المحكمة وكانت مواد هذا التحقيق الصحفي موضع بحث كل المسئولين حتى يحاولوا سد الثغرات الموجودة في الجمعيات التعاونية الاستهلاكية ·· لقد كنت شاهدا أمام المحكمة وقلت ما رايته وكتبت بعض ما عرفته ·

وقد كانت هذه التجربة محاولة الغرض منها ان نجعل من تلك التجربة الرائدة وسيلة لرفاهية الشعب وتطهيرها من كل من يحاول أن يشوه هذا العمل الثوري بتصرفات هي أبعد ماتكون عن روح مجتمعنا الاشتراكي وخلقه ·



وأصبح

عادل الإسماعيل

مفتش تحقيقات!

بعد أن خدعت مقاولى الأنفار والتحقت بخدمتهم عاملاً للتراحيل وكشفت كافة مخالفاتهم

تحولت وتنكرت الى مفتش تحقيقات بوزارة الاصلاح الزراعى ، واكتشفت الاعيب وحقائق مثيرة ، ورأيت اشياء لايمكن ان يصدقها انسان . وكانت يومها فضيحة بجلاجل .. فوجئت بأمام عامل التليفون بأخبار اليوم يبحث عنى فى كل مكان . والحقيقة دهشت عندما عثر على امام فى استديو من استديوهات الاذاعة وكنت اسجل حديثا بمناسبة موضوعاتى التنكرية .

قال أمام عامل التليفونات بأخبار اليوم : أين انت بحثت عنك فى كل مكان وكنت اريد طلب بوليس النجدة ليبحث عنك ..

قلت خيرا ..

قال : السيد عبد المحسن أبو النور نائب رئيس الوزراء للزراعة والرى – فى هذا الوقت – يبحث عنك فى كل مكان ويريدك فورا . وطلب منى اذا سمعت صوتك أن اطلبه لكى يكلمك لامر هام .

وفعلا طلب « أمام » السيد عبد المحسن أبو النور نائب رئيس الوزراء للزراعة والرى فى ذلك الوقت وكان فى منزله وطلب منهم فى المنزل أن يصحوه فورا اذا علموا بأن الطالب أمام فى أخبار اليوم .. ما هذه الاهمية كلها .. لابد أن شيئا ما قد حدث وأن على أن استعد لتحمل كافة العواقب الناتجة عن موضوع « عمال التراحيل » ..

وفعلا سمعت صوت عبد المحسن ابو النور نائب رئيس الوزراء – فى هذا الوقت – وهو يقول :

– هل ممكن أن أراك فى مكتبى الساعة السابعة مساء – أى بعد ساعتين – من الآن ؟

قلت :

– أرجو أن تقبل عذرى لان بعد تسجيل حديثى للاذاعة والذى سيستغرق حوال ساعة ، وأنا فعلا أكلم سيادتك من الاستديو ، وبعد ذلك يوجد حديث آخر فى التليفزيون وسينتهى هذا حوالى الساعة الثامنة .

قال نائب رئيس الوزارة :

– على أى حال سأنتظرك بعد تسجيل التليفزيون .

وكالعادة في تسجيلات التليفزيون تأخرت في الاستديو وانتهى حديثي الساعة العاشرة مساء ، وذهبت الى الوزارة وأنا فاقد الامل تماما في وجود نائب رئيس الوزراء ·· الا أنه كانت المفاجأة فسيادة النائب منتظرك ·· قالها موظف الاستعلامات وهو يجرى ليحضر لي المصعد · وعندما دخلت مكتب السكرتارية الخاصة بالنائب تنهد الجميع تنهدات طويلة كأنهم يقولون ·· دوختنا يا أخي ، فينك من بدري نريد أن نذهب الى بيوتنا ·· !

ثارت الشكوك في نفسي وبدأت علامات الاستفهام تتلاحق بسرعة لعلها تجد الاجابة على كل هذه الاهتمامات ·

في دقائق كنت أمام عبد المحسن أبو النور نائب رئيس الوزراء ـ في ذلك الوقت ـ وأمامه آخر ساعة وهو يقول : يا أخي دوختني ·

ـ يا افندم ·· ولم أكمل كلامي حتى قاطعني بقوله :

ـ الكلام اللي انكتب عن عمال التراحيل ده حقيقي ؟

ـ قلت حقائق كثيرة أخرى لم أستطع ذكرها ·

قال : مثل ؟ ··

قلت : الاعتداء على كرامة وشرف النساء والرجال والاطفال ·· أن ما يجرى تحت اسم عمال التراحيل ما هو الا مهزلة أخلاقية يجب أن يوضع لها حد ··

قال : هذا أمر ··

قلت : والامر الثاني هو الاختلاسات بالجملة في مديرية التحرير ·· يعني ان هذه المديرية خلقت للاختلاسات ، ولقد فاحت الريحة وأصبحت في عفونة الـ ···

قال نائب رئيس الوزراء : لا تكمل ·· وانما أريد أن تضع يدينا على هذه الرائحة أو بالمعنى الصحيح على جسم الجريمة ·

قلت : ليست مهمتي ، ولكنها مهمتكم ، فيوجد أكثر من جهاز للرقابة ففي كل شركة أو كل مؤسسة جهاز أمن ثم أجهزة الرقابة الادارية وأجهزة المباحث ، والنيابة الادارية و ··· و ··· وما أكثر هذه الاجهزة عندنا ··

قال : فعلا ولكن أناشدك بصفتك مواطنا حريصا على بلدك ·

قلت : اذن أصدر أمرك بتعييني مفتش عموم تحقيقات وزارة الزراعة والاصلاح الزراعي ··

قال : كيف أعينك ؟ ··

قلت : تعيين صوري ، أو بمعنى أن يكون لي حق رئاسة لجنة للتحقيقات والتفتيش وأنا وهم رزقنا على الله ·

قال : وأنا وافقت ··

وبدأت الاجراءات ..

وغيرت اسمي بعدها الى فتحي حامد مفتش عموم التحقيقات وطالبت أن ترسل الوزارة اشارة الى المسئولين في مديرية التحرير بأن الوزارة عينت مفتشا جديدا لعموم تحقيقات الوزارة (أي المفتش العام لوزارة الزراعة) وبحيث يعلم كل من في الوزارة بهذه النشرة وفعلا تم ما أراد .. فقد أخطر مدير عام الشئون الماليـــة والادارية المسئولين بمديرية التحرير وغيرها من القطاعات فيها بخبر تعيين سيادة المفتش العام الجديد ..

وفي مساء نفس اليوم كان لنا اجتماع في مكتب محمود حنفي مدير عام الشئون المالية والادارية في ذلك الوقت ووكيل الوزارة الآن والذى قال لى اننا أحلنا ٤٤٠٤ موظفين الى التحقيق في عام واحـــد !! منهم ١٠٣ الى النيابة العامة و ٩١ الى النيابة الادارية ، والباقون تحقيقات داخلية ..

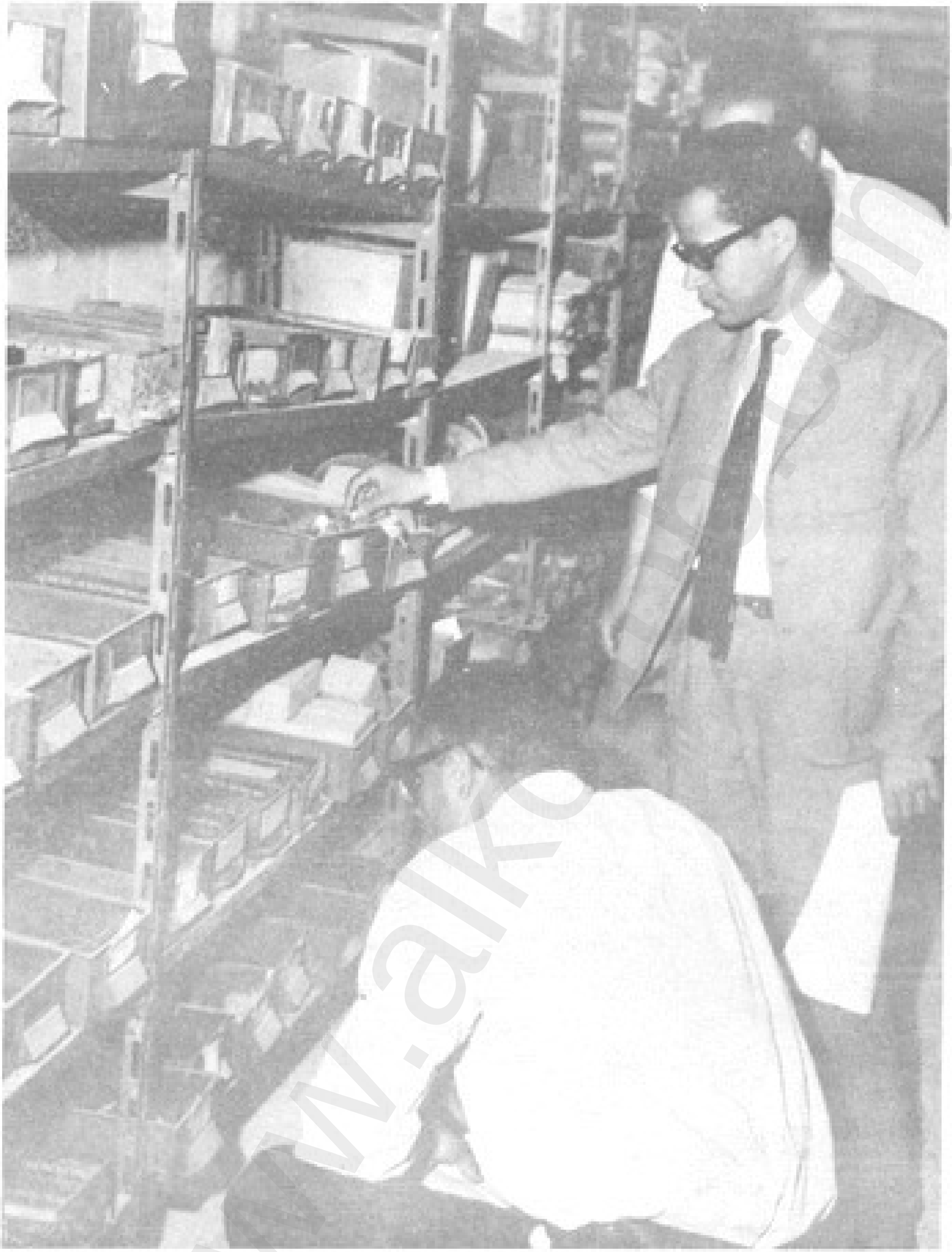
ــ ياه كل هذا العدد .. هكذا قلت .

ورد أحد الجالسين : هـــذا الذى ظهر وما خفى كان أعظم .. المديرية بوظة ، بوظة .. !! يا أستاذ .. !!

وفي الطريق من القاهرة الى مديرية التحرير ومعى عدد من المفتشين والمحاسبين الذين اصطحبتهم معى للتفتيش على دفاتر ومخازن المديرية وفى الظلام كنت أفكر في كلام الموظفين عن المديرية ، وكنت أفكر لماذا وصل الحال بمديرية التحرير الى هذا الشكل ؟ .. ان المديرية برغم الدعاية التى عملت لها الا أنها بنيت على السرقة منذ الاصل .. فقد ضبطت فيها أكثر من قضية كبرى شهد الرأى العام بجسامتها .. وقضايا أخرى أسدل عليها الستار فى ظل الرقابة على الصحف ، وكم من الاشخاص وكم من المديرين انتفخت جيوبهم وبنوا عمارات نتيجة لسرقتهم أموالا طائلة من مديرية التحرير وهنا سألت نفسى : لماذا نترك كل هذا للسوس ينخر فيه ، وتضيع أموال الدولة هكذا بلا رهيب .

وأفقت على كلام زميلى المصور حســن سعد الذى غيرت اسمه الى حسن سالم على أنه مصور الوزارة وهو يقول : هل تعتقد أنهم لن يعرفوك اشك ، وذلك لان صورك منشورة في الجرائد . والمجلات أكثر من مرة ومن مدة قريبة فقط ، وأعتقد أيضا اننا سننال علقة ساخنة وسيضربوننا بالـ ..

قلت له بصوت مرتفع .. اسكت لا تفكر فى هذا ، وأردت بذلك ان أبعد هذا التفكير عن حسن لان حسن ممتاز خلقا ولا يعيبه الا بعض الوسوسة ..



وقفت كمفتش تحقيقات الغش في مخازن مديرية التحـرير وفيها
شـاهدت العجب ورأيت السرقة منتشرة من الكبير الى الصـغير
ولا احد يعلم شيئا عن هـذه العصـابة من اللصـوص !!

ونظرت خلفي فوجدت البعض ان لم يكن أغلبهم قد ناموا ولكنني ظللت أحادث السواق فقد كنت بجانبه لانني أعتقد دائما بأن روح عدوى النوم ممكن ان تتسرب الى السائق ..

المهم وصلنا الى المديرية وبحثت عن أمناء المخازن ، كنت أبحث عن كل واحد بطريقة معينة ولا أخبره بأن الذى يريده كبير المفتشين المهم بطريقتى الخاصة استطعت أن أجمعهم جميعا وأفهمتهم مهمتى وقدمنى لهم محمد الحكيم مندوب الشـــئون المالية والادارية الذين يعرفونه .. سعادة المفتش العام فتحى حامد .. المهم بدأ البحث ، والجرد .. كانت فضيحة بجلاجل .. فالدفاتر شىء ، والواقع شىء آخر مختلف ، كله صورى ، فالادوات والآلات مكتوبة فى الدفاتر ولا يوجد لها أصل .. كله وهم .. فى وهم .. !

سألت : وأين ذهبت كل هذه الاشياء .. ؟

قال : اسأل المدير ورئيس مجلس الادارة .. !

قلت : وأين همـــا .. ؟

قال : واحد ذهب الى السينما فى دمنهور والثانى ذهب الى مصر بعد ان أعدا التكذيب .

ووجدتها فرصة .. وبدأت اطوف على جميع المخازن .. يوجد نقص فظيع . وجردنا النقص مع أعضاء اللجنة وكان يقدر بحوالى مليون ونصف مليون جنيه من جرارات وموتوسـيكلات .. وأين ذهب كل هذا العدد .. ؟؟

قال : كهنة .. فى الزبالة .. !!

قلت : ولكن بعضها مشتراه منذ أقل من عام .. ؟

المدير قال تبقى كهنة ، يعنى كهنة ..

قلت : ولكن توجد أدوات وسيارات لم تدخل المخزن بعـــد .. يعنى انها استوردت ولم تدخل المخزن وتحولت الى كهنة .

قال : أيوه كله بأمر المدير .

وفى هذه الاثناء ضبطت مباحث المديرية قطع غيار السـيارات تباع فى خارج المديرية مع انها خرجت من مخازنها .. !!

قلت : وقطع الغيار التى تباع فى الخارج ؟

قال : واحنا مالنا .. المال السايب يعلم السرقة ، ومال المديرية مش سايب بس .. ده شىء مرمى على الارض ، وكل شىء بلا رقابة ونتج عن ذلك أن اغتنى صغار الموظفين وكبار الموظفين غناء فاحشا .

ـ كيف اغتنى صغار الموظفين وكبار الموظفين ؟

ـ بالطبع لانه اذا رأى الموظف الصغير الموظف الكبير يسرق ولا احد يحاسبه فيهون عليه كل شيء حتى ضميره !!

ـ ولماذا لا تبلغون أو تشتكون ٠٠ ؟

ـ الشكاوى تعود مرة أخرى الى نفس الشخص المشكو في حقه والذي يشتكي تكون نهايته سوداء ٠

وذهبت الى مخزن الزراعة ، فالمديرية فيهـــا مخازن كثيرة ٠٠ مخازن السيارات ٠٠ والجرارات ٠٠ ومخازن الزراعة ٠٠

وقلت لامين المخزن : أين البضائع الموجودة في مخزن الزراعة ؟ وأين دفاتر المخزن ٠٠ ؟

قال : لا يوجد دفاتر للمخزن كل حاجة كده بالبركة ٠

قلت : والبضائع ٠٠ ؟

قال : البضائع كثيرة ولكن أهملت وفسدت ، هل تعلم أنه قد اعدم ٩٥٠ طن بصل بعد أن فسدت باكملها ٠٠ ؟

قلت : لا ٠٠ والسبب ٠٠ ؟

قال : الاهمال ، يوجد يا أستاذ تسيب وده كله من مالنا وعرقنا والضرائب اللي بتخصم من مرتبات الغلابة اللي زينا ٠٠ ويكفي أن تعلم أن الكمية اللي كانت موجودة بمخزن الزراعة ١٠٧٥ طنا من البصل وتركت الكمية في المخزن حتى تعفن البصل وتسربت اليه المياه واصبحت رائحته كريهة ونبت فيه الزرع وبعـــد ذلك طلب المسئولون في المديرية أن يوضع ٩٥٠ طن بصل في المكمورة التي تحول الفضلات الى سماد عضوى والباقي السليم لم يبع الا بثلث القيمة ٠

قلت : حاجة غريبة ٠٠ !!

قال : لا غريبة ولا حاجة ٠٠ فيـــه حاجة تانية ١٤٠٠ طن تقاوى برسيم اترمت في الارض ٠

قلت : ازاي ٠٠ ؟؟

قال : المديرية خزنت ١٤٠٠ طن تقاوى برسيم لمدة طويلة ، مع انها اشترت تقاوى برسيم بعد كده ٠

قلت : ومصير التقاوى دى ايه ؟

قال : فيه مهندس زراعي كشف على التقاوى وكتب تقريرا قال فيه أن نسبة الانبات في تقاوى البرسيم المخزون تقـــل عن ٥٠٪ ولم تنفع تقـــاوى البرســـيم حتى في غذاء الحيوانات وكتاكيت المديرية ٠٠ !!

قلت : هذا شيء خطير ٠٠ !

قال : وتوجد أشياء أكثر خطورة !
قلت : ما هي ؟
قال : ورش السيارات ، يوجد عـــدد من ورش السيارات والجرارات يشرف عليها المهندس الزراعي عبد الفتاح حلمي .
قلت : مهندس زراعي ويشرف على تصليح ورش السيارات والجرارات غير معقول ؟
قال : الحاصل كده .. لذلك يوجد عـــدد كبير من السيارات معطل على أشياء بسيطة جدا ، وتوجد ورشة أخرى يشرف عليها مهندس اسمه هربرت وقد نتج عن عدم التخصص أن عطلت سيارة « بازروس » بعد احضارها بـ ١٥ يوما بسبب عدم الفهم .
وذهبنا الى ورشة السيارات وهناك قابلت المهندس هربرت الذى راح يشكو لى :
ـ اننى لم أعط الامكانيات ، واذا أعطيتمونى الامكانيات فسأصلح ٧٠٪ من السيارات المعطلة .
ولماذا لا تطلب ؟

اذا طالبت يصـــل الامر الى حد المشـــادة ، وتكون النتيجة أن يقول الناس لى .. وأنت مالك .. يا عم دى فلوس الحكومة وليه تخسر الناس .. تشتغل كتير تغلط كتير يرفتوك ، تشتغل قليل تغلط قليل يجازوك..ماتشتغلش ماتغلطش يرقوك .. ثم يقولون يعنى أنت اللى حتصلح الكون ؟ .. وتكون النتيجة انى الزم مكتبى بعد الكثير من المضايقات ، واقتنع فعلا بأننى لن أصلح الـكون !!
تصور لقد طلبت منهم أن يعطونى عهـــده مستديمة لتصـــليح السيارات فاعطونى خمسة جنيهات .. !! فهل المطلوب أن أعمل حاوى وأصلح هذه الســـيارات المعطلة بالجنيهات الخمسة ، رغم ان آلاف الجنيهات ترمى فى التراب .. منتهى أملى ان أقابل اى مسئول كبير احكي له هذه المهزلة .. واذا أردت أن تشاهد المهزلة فاذهب الى صيانة السيارات .
وذهبنا الى مكان مجاور .. آلاف الجرارات والسيارات معطلة كانها آثار حرب طويلة ، وتقدر هذه الأشياء بما يفوق مليون ونصف مليون من الجنيهات .
ياه .. مبلغ كبير !
وأكثر من هذا ، فلوس مدفونة في جبانة ياأستاذ..عبد السميع أمين المخزن يضيف الى كلام مهندس الســـيارات : لقـــد كانت جملة الجرارات المعطلة ٥٠٠ جرار زراعى .. لقـــد سرقت كل



في المساء جلست مع لجنة الجرد الذين ارتدوا البيجامات افحص معهم دفاتر مديرية التحرير باعتباري رئيس اللجنة .. وفي الدفاتر وجدنا العجب العجاب .. !!

أدواتها وبيعت فى الخارج كقطع غيار للجرارات الزراعية الخاصة بالاهالى وثمن الجرارات المعطلة يقدر بالملايين .

ولقد خشي الموظفون أن يحاكموا بتهمة الاهمال الجسيم فأقاموا سورا مرتفعا لاخفاء هذه الجرارات والسيارات عن الاعين وأطلقوا على هذا المكان اسم مقابر الجرارات .

وسألت بصفتي مدير لجنة الجرد ومفتش التحقيقات : من الذى استلم هذه الجرارات ؟ ومن الذى كانت فى عهدته ؟

قال الموظف : لا أحد يعرف .. ولا المسئولون عن المديرية يعرفون .. قلت لسيادتك « مولد وصاحبه غائب » .

وتركت صيانةالسيارات وصيانة الجرارات لاسمع هذه الحكايات والوقائع العجيبة من موظفى المديرية :

× تركت خرفان ومواشى المديرية بدون رعاية طبية وصحية مع العلم بأنه يوجد قسم بيطرى فى المديرية والسبب فى هذا بالطبع أن المواشى كانت تهدى للأصحاب وخصوصا فى عيد الضحية وكان لابد أن تموت المواشى لكى يختفى العجز من الدفاتر .

× وعندما تفشى الجرب والخراريج ومرضت المواشى ذهب أحد المهندسين الزراعيين واسمه فخرى واصف الى الجزارين فى منازلهم فى كوم حماده ليشتروا الخراف المريضـــة والنتيجة أن اشترى الجزارون المواشى بأبخس الاثمان وبعد ذبحها وبيعها أصيبت بعض القرى القريبة من كوم حماده بالمرض !!

× اكتشفت بنفسى عملية اختلاس كبيرة فى كشوفات عمـــال التراحيل ويسمونها « الشواليش » وكان المقـــاولون يكتبون فيها أسماء وهمية الى درجة أنهم كتبوا بين أنفـــار الترحيلة أم كلثوم وعبد الحليم حافظ وصالح سليم ورفعت الفناجيلى على أنهم عمال اشتغلوا فى الحقول وأدوا عملا يستحقون عليه أجرا ينهبه المقاول .. ولقد بحثت فى مســـتندات عمال الزراعة فهـــالنى الارقام والملايين التى تدفع على أسماء وهمية وحدث أن قمت بكبسة على مكان يعمل فيه العمال فوجدت المقيدين ١٥٠٠ عامل بينما الحقيقى منهم ١٥٠ عاملا فقط ، وعندما ســـألت الموظف قال : أعمـــل أيه يا بيه .. الكل بياكل والميه لا تجرى فى العالى .. والكل عارف كده .

× واقعة أخرى ضـــبطتها .. مديرية التحرير تصر على بيع انتاجها من الخضار والفاكهة ومنتجاتها الى تاجر واحد فى سوق الخضار واسمه البنهاوى ، وطريقة بيع وتسويق منتجات المديرية

تتم بطريقة عجيبة فهل تتصـــور كيلو البسلة يباع بـ ٢ مليم والبطيخ الكيلو بـ ٤ مليم ·· واحيـــانا بـ ٢ مليم ، الطمـــاطم الـ ٢ كيلو بـ ٥ مليم ·· بينما كل هذه الخضراوات والفـــاكهة سعرها مرتفع في القاهرة وينتج عن هذا المكسب بالملايين والعمارات التي تبنى من قوت الشعب في أرض أغا خان وفي الدقي ·

× وجدت أيضا أن الدجاج الرومي والدجاج البلدي والخراف واللحوم والفاكهة والخضراوات والعســـل الابيض والبيض تذهب كهدايا الى كبار الموظفين والمســـئولين في القاهرة على حســـاب المديرية ، وذلك حتى يستمر المسئولون عن المديرية في مراكزهم أطول فترة ممكنة ·

ومهازل كثيرة وجدتها ، تخريب ، تخريب ، تخريب ·· هكذا نشوه الصورة الجميلة ·· غير معقول !!

وعدت الى القاهرة وقدمت تقـــريرى الى نائب رئيس الوزراء وقامت الوزارة بالتحقيق في كل الوقائع وأحالت المســـئولين الى التحقيق الادارى والى النيابة العامة ·· ونتج عن ذلك أن وزعت المديرية على عدد من الوزارات فمثلا وزارة الاصـــلاح والزراعة تختص بالزراعة والاستصلاح فقط ، وزارة الكهربا، تقوم بالكهرباء ·· وزارة الرى هي المسئولة عن الرى والمشروعات ·· الصناعة مسئولة عن المصانع الموجودة ·· بعـــد أن كانت المديرية كلها كوحدة واحدة ·

وانا في مكتب نائب رئيس الوزراء قال لى أحد المسئولين الكبار في الوزارة أننا سنكتب في تاريخ المديرية وفي سجلها بناها وسرقها فلان ·· فهو الشخص الوحيد الذى اســـتفاد منها هو وعصابته وسنكتب أيضا أن الذى صفاها وكشف السرقات فيها الصحفى المصرى عبد العاطى حامد والذى تنكر في شخصية فتحي حامد مفتش تحقيقات الوزارة وذلك بعد أن عينه في هذه الوظيفـــة نائب رئيس الوزراء للزراعة والرى لكى يقوم بالتفتيش على مديرية التحرير بعد أن تنكر فيها في شخصية عامل تراحيل ·· وهذا لم يحدث مع اى صحفى مصرى أو عربى أو عالمى من قبل ··

قلت : اذا كانت تصفيتها بحيث تكون مشروعا زراعيا استثماريا قائما على الزراعة وليس على المشروعات التى توجد فيها السرقة وتقضى على اللصوص فهذا هو المطلوب ·· وفي هـــذه الظروف بالذات ·

عزيزى القارئ ..

هذه آخر مغامرة تضمنتها صفحات هذا الكتاب .. وتوجد مغامرات اخرى لم تتسع الصفحات لسردها وامل ان اكون قد قدمت لك صورة مبسطة عما رايته .. وما يجب ان ينتهى، وما يجب ان يكون .

ولقد سالنى الكثير من القراء بعد صدور الطبعة الاولى : كيف كان يتم التصوير واقول لهم كان فى اغلب الاحيان يتنكر المصورون معى .. مثلا تنكر حسن سعد فى دور الشيخ حسن الذى كان يحمل لى المبخرة فى الشيخ عطعوط ، ومحمد لطفى فى شخصية زبال فى موضوع التسول لكى يصورنى من بعيد ، ومحمد حسن فى شخصية الطالب الهاوى تصوير فى تحقيق قصر العينى .. ومحمد سعيد فى شخصية مصور العلاقات العامة بوزارة الداخلية فى تحقيق السجون . وفى تحقيقات اخرى كان الزملاء المصورون يرافقوننى من بعيد .. ففى موضوع الخدم كان يصورنى من على بعد كمال راشد .. وفى موضوع البريد كان يصورنى من على بعد ايضا احمد عبد العزيز ، أما المغامرات الاخرى فكنت اعتمد على نفسى فى التصوير بآلات دقيقة لايتطرق اليها أى شك .

عزيزى القارئ .. شكرا للزملاء المصورين الذين ساهموا معى بجهد مشرف فى تقديم الصورة الكاملة ولولاهم لما صدر هذا الكتاب .

وفى النهاية اقدم لك جزيل شكرى .. على هذا الوقت الثمين الذى استقطعته منك !

فهرس